

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
قسم اللغة العربية

جامعة الأمير عبد القادر  
للعلوم الإسلامية  
- قسنطينة -

## خصائص أسلوب الخطاب القرآني في السور المكية

تحت مُقدّم لنيك شهادة الماجستير في اللغة العربية والدراسات القرآنية  
إعداد الطالب الباحثة:

راجح دوب

كمال خميس

أعضاء اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس	د/ جمال شوالب	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المقرّر (المشرف)	أ.د/ راجح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
العضو	د/ عزيز العكايشي	أستاذ محاضر	جامعة منتوري - قسنطينة -
العضو	د/ باديس فوغالي	م . م . د	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نُوقِشت يوم: 18 شوال 1426هـ  
الموافق لـ : 20 نوفمبر 2005م

السنة الجامعية: 1425-1426هـ / 2004-2005م



إلى كلِّ مَنْ استظلَّ برَايةِ القرآنِ..  
إلى كلِّ مَنْ تشرَّبت رُوْحَهُ رُوْحَ القرآنِ..  
إلى كلِّ مَنْ ترنَّمت شفتاه بعدب آياتِ القرآنِ..  
إلى كلِّ مَنْ اطمأن قلبه بالقرآنِ...  
إلى كلِّ مَنْ كان خُلُقُه القرآنِ..  
إلى كلِّ مَنْ يرومُ أن يُقيمَ في نفسه دَوْلَةَ القرآنِ..  
إلى كلِّ مَنْ تعلَّم القرآنَ وعَلَّمه...  
إلى كلِّ هؤلاء، وإلى كلِّ مَنْ أعانني على إنجازِ هذا البحثِ..  
وإلى كلِّ أساتذتي الذينَ أنا مدينٌ لهم بكلِّ حَرْفٍ من هذه الرِّسالةِ..  
إلى والِدَيَّ الكريمينِ، اللّذينِ طال انتظارُهما هذه الثَّمرةِ...  
وإلى زوجتي الغالية، التي سهرت معي طويلاً..  
أُهدي هذه الثَّمرةَ العلميَّةَ المتواضعةَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ لَدُنِّي بَعْدَهُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

الهُدَى وَالسَّدَادَ

وَأَخَيْرَ الْمَسْأَلَةِ، وَأَخَيْرَ الدُّعَاءِ.

وَأَخَيْرَ الْعِلْمِ، وَأَخَيْرَ النَّجَاحِ

وَأَخَيْرَ الْعَمَلِ، وَأَخَيْرَ الثَّوَابِ



# مُقَدِّمَةٌ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. وبعد:

إن «خصائص أسلوب الخطاب القرآني في السور المكية» موضوع ظل يشد انتباهي منذ سنين خلت، وذلك منذ أن تعلقت بالقرآن تلاوة وإصغاء، فكنت أصغي بكل وجداني إلى هذا القرآن، وأتلو آياته في تأثر يُشعري برهبة وخشوع تتجاوب في أرجاء نفسي دون أن أدرك سببا لهذا التأثير، أو أعي بيانه حق الوعي وذلك لحدائتي سنّي وقلة زادي في علوم العربية والأدب والبلاغة، إلاّ أنني كنت ألمس في السور المكية ولاسيما منها سور الربع الأخير طابعا أسلوبيا يختلف عما هو عليه في السور المدنية، ولم يكن يوسعي الوقوف على ما يُعتمد عليه في إبراز الفروق الأسلوبية بين مكسي القرآن ومدنيّه. إلاّ أنّ الفكرة ظلّت تنمو في ذهني شيئا فشيئا، وتحتّم مع الزمن في نفسي إلى أن بدأت تنضج وتبلور بعد تخصّصي في الدراسات القرآنية، واتصالي بتراث العرب الأدبي، فكنت كلما توسّعت معرفتي بهذا التراث، وبفقه العربية، أمسكتُ بخيوط تهديني إلى تلمس بعض ملامح الأسلوب في السور المكية، مما قوى عزمي للبحث في هذا الموضوع، وجعلني لا أتردد في اختياره على رغم كُثبي له لصعوبته ومخاطره، وكان الذي شجّعني علي جعله مشروعا لرسالة الماجستير، هو الأستاذ المشرف، لما كان أستاذاً لمادة البحث المطوّل في الدراسات العليا، كما كان له الفضل في أن ردّني إلى ثقفي بنفسي في القدرة على إنجاز مثل هذه الرسالة.

وكان مما دفعني وحبّب إلى نفسي الكتابة عن هذا الموضوع والاهتمام به، وبذل الجهد فيه، أسباب متعددة، منها:

أولاً: حاجة المكتبة الإسلامية عموماً والمكتبة القرآنية على وجه الخصوص إلى الأعمال اللغوية النصية التي تعنى بتحليل أقدس النصوص على وجه الأرض، تحليلاً نصياً يجمع بين التراث والمعاصرة.

ثانيا: ميلي الكبير إلى الدراسات التطبيقية التي تتخذ النص القرآني حقلها، ولاسيما تلك التي تتلاقى فيها دراسة كل مستويات النص، اللغوية والبلاغية والجمالية، لأنها تهدينا إلى مواطن التدوق في القرآن الكريم.

ثالثا: شبهات مزعومة لأقلام مسمومة تريد أن تنفث سمومها في إعجاز القرآن الكريم، وذلك من ناحية تفاوت أسلوب القرآن بين المكّي والمدني، ومن ثم -حسب زعمهم الباطل- أن ذلك التفاوت أو الاختلاف والاضطراب في الأسلوب ناتج عن تأثر محمد ﷺ بالبيئة التي يكون فيها.

والحقيقة أن مهمتي في هذا البحث لم تكن سهلة، بل كانت مهمة شاقة وعسيرة تتطلب كثيرا من الجهد والصبر والدرس، لأن كل دراسة أو مقارنة أسلوبية تحاول الإمساك بطوابع خاصة لنص ما ترى من أوجب الواجب أن يتسلح الدارس بقدر من الإحاطة بآليات الفهم والتحليل الأدبي، ومن هنا تتأكد أهمية هذا النمط من الأبحاث، لأنها اختارت نصا مقدسا وفصيحا وأديبا وليس من إنتاج بشري، إذ أن معالجة وتدوق العمل البشري الفني، يختلف عن دراسة وتدوق النظم الإلهي القرآني. فالأول نتدوقه ونحن مدركون في قرارة أنفسنا أن هناك الأفضل، وأن ما رفضنا منه، من الممكن أن يُبدّل أو يُعدّل. أما النظم القرآني، فنحن نتدوقه مدركين أنه ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:1] وأنه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:64]، وأن ذوقنا هذا محكوم بقدراتنا الحسية والعقلية والثقافية، وبرغم أن أسلوب القرآن قد اتخذ تفرّده من نفس العطاء اللغوي الذي عرفه العرب القدماء؛ فالألفاظ والتراكيب والصياغة النحوية هي ما تواتر في أصول اللغة وعرفها العرب، إلا أنه ذو خصوصية متفرّدة وهو نمط في الأسلوب الأدبي بلغ حد الإعجاز.

وتكمن أهمية البحث أيضا في أن هذا النص هو "السور المكية" خاصة، لأنها تحمل وحدة دلالية كلية تتمثل في أنها تعالج القضية الأولى، القضية الأساسية في هذا الدين الخاتم، هي قضية العقيدة، ممثلة في قاعدتها الرئيسية؛ الألوهية والربوبية والعبودية وما يتعلق بها من ذكر آلاء الله، واليوم الآخر، والجنة والنار، والقصص، وكل ما يتعلق بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية. ولكن وجهة هذه الدراسة لم تتحرّر بيان هذه الخصائص الموضوعية التي تركزت في السور المكية، بقدر ما توجهت إلى دراسة سمات الأسلوب الذي حملها وامتزجت به، لإثبات مدى مطابقة الفكرة بالشكل أو المضمون بالعرض، باعتبار أن الموضوع أو السياق العام هو الذي يتحكم في شكل النص أو صياغة أسلوبه؛ إذ أن الموضوع أو السياق الدعوي في السور المكية غير ما هو عليه في السور المدنية، مما

أفرز- وفقا لذلك- تنوعاً في الأسلوب؛ فلكل من مكّي القرآن ومدنيّه أسلوب في الخطاب يخضع لمقتضيات الحال ومتطلبات المقام. ولا ضير على القرآن أن يكون أساس أسلوبه مراعاة الموقف وموافقة السياق، وهذا قوام قوة التأثير والإقناع والجمال فيه؛ فالأسلوب القرآني هو جوهر التحدي وهو رمز المعجزة ووسيلتها وشرفها، ومن ثم كان أسلوبه في بنائه التعبيري يعتمد على عناصر كثيرة، منها تناسقه الكامل مع المعنى، وائتلافه مع دلالات المعاني المصاحبة، وملاءمته للسياق والغرض، و من هنا كانت الوحدة الفنية هي السمة البارزة لهذا النظم الإلهي، بالرغم من أن الوحي المدني يعرض ضروباً من الأفكار والقضايا مخالفة نوعاً ما يعرضه الوحي المكّي، ولكن الأسلوب يظل متكافئاً مهما اختلف الموضوع وتنوعت المعاني، وهذا ما يفسّر عظمة القرآن في أسلوبه المتفرد. كما تكمن هذه العظمة-أيضاً- في أنه خطاب أدبي مزدوج الوظيفة والغاية؛ أي أن له القدرة في الجمع بين إبلاغ المحتوى الدلالي و الوظيفة التأثيرية الجمالية.

وعليه، فإن الحاجة ملحة إلى العناية بأسلوب القرآن الكريم فهما ودرسا، و ينبغي تفحص كل جانب من جوانبه الفنية لسد الفجوات وملء الثغرات. ومامن شك أن القرآن قد أستاذت بعناية واهتمام سلفنا الصالح من العلماء، فدرسوا ما يتعلّق به من مباحث، واجتهدوا في بحث مسائله وتحقيق قضاياه ما وسعهم الوقت والجهد. ومن بين هذه المسائل التي لا يشك أحد في أن علماءنا القدامى قد بحثوها وحققوها مسألة المكّي والمدني أو النوازل المكيّة والنوازل المدنيّة في القرآن، إلا أنهم صرفوا عنايتهم إلى الجزئيات أكثر مما احتفلوا بإبراز ما انطوت عليه كل مرحلة، من ألفاظ وفواصل، وما غلب على بنيتها من تراكيب و أساليب.. كل هذا كان خليقاً بالعناية والمراجعة والدرس لأنّه يُخدم الغرض القرآني في جوهره الفني والدلالي.

إلا أن هناك من الباحثين المعاصرين من تناولوا السور المكيّة بالدراسة والتحليل، وذلك من الوجهة اللغوية والأسلوبية، ويمكن حصرهم وتصنيفهم إلى طائفتين:

الأولى: أنّهم تناولوا بالدراسة كلّ السور المكيّة، بل اقتصرت على سورة واحدة منها لا تتعداها، ومنهم من توسع إلى أكثر من ذلك، كدراسة جزء من القرآن، فقد وقفنا على رسالة مطبوعة عنواها: "لغة القرآن الكريم في جزء عم" لمحمد أحمد نخلة، وهي دراسة لغوية تهدف إلى بيان خصائص التعبير في القرآن من خلال جزء عم، حيث تناولوا بالدراسة ما يقرب من سبع وثلاثين سورة مكيّة ومدنيّة، وذلك من حيث مستويات لغوية عدة: المعجم اللفظي، والمعرب والدخيل، والمستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، ولذلك يمكن اعتبار هذه الدراسة من أهم المقاربات اللغوية

الجادة سواء من حيث المنهج أم من حيث مساحة النص القرآني المدروس. إلا أن الدراسة لم يكن من أهدافها مراعاة السياق الخاص أو السياق العام، ولم تميّز في الدراسة بين كون السورة مكية أو مدنية. الثانية: أنها تناولت بالدراسة كل السور المكية، وتمثلت في بحث عنوانه: "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-دراسة تطبيقية على السور المكية-" لمؤلفه: صبحي إبراهيم الفقي، ولم أقف على غيرها في هذا الباب، وهي دراسة تهدف إلى إثبات مكانة النظرية اللغوية النصية من تحليل النصوص، وذلك من حيث التعريف بها، وتوضيح طبيعتها، وتأصيلها، ثم تحليل تطبيقي للسور المكية على ضوء هذه النظرية. وإن هذه الدراسة ولو أنها تناولت السور المكية ضمن سياقها العام، وتبناها لأهم خصائص السياق وهي: (مصدر الخطاب، والمتلقي، والموضوع، والمقام)، إلا أنها لم تتعرض- ولو بإجمال- إلى ما انطوت عليه السور المكية من خصائص لغوية أو أسلوبية.

\* \* \*

يبد أننا-رغم ذلك- لا يمكن أن نجحد فضل أحد من هؤلاء جميعاً، ومدى مساهمتهم في خدمة القرآن، ولكن تظل المعجزة القرآنية بنظمها البديع، وتأثيرها الفني الذي لا يُقاوم، ميداناً واسعاً من الأسرار واللطائف والنكت ما يفوق طاقة البشر، وهذا ما يفسح لي العذر حين أتقدم إلى هذا الميدان الجليل في حدود جهدي وطاقتي واختصاصي، وذلك ضمن مقارنة أسلوبية تسعى-من خلال عنوان البحث-لتحقيق أهداف لعلها تخدم بعض الأغراض السامية للقرآن، وهي:

أولاً: محاولة الكشف عن أبرز السمات الصوتية والإيقاعية والصرفية والتركيبية التي تواترت في السور المكية قصد إدراك الأبعاد المتعددة للظاهرة اللغوية وكيف تفاعلت وتآلفت ضمن سياق تعبيرى واحد لتشكّل الخصوصية الفنية للقرآن المكي.

ثانياً: محاولة إدراك الخصائص الفنية للغة القرآنية من خلال السور المكية ورصد الظواهر اللغوية والأسلوبية التي ميّزت الطابع المكي عن الطابع المدني.

ثالثاً: محاولة الوصول إلى منهج يساهم في إثراء آليات تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه، و صقل التنوّق الأسلوبى لدى المتصدي لفهم كتاب الله، حيث يجد اختلاف الأساليب، وتلوّناً تابعاً لاختلاف أنماط الناس وأحوالهم، وكيفية التوصل إلى الخطاب الملائم، والاستفادة منها في أسلوب الخطاب و الدعوة.

ولتحقيق هذه الغايات، حرصتُ-جاهدا- على أن أقدر حرمة كلمات القرآن بأدق ما عرفت  
مناهج النصوص من ضوابط، وأن أخلص لفهم النص القرآني متناولا نصه في جوه الإعجازي  
وأصالته اللغوية، محتكما إلى سياقاته، وهذا مما تقاضاني أن أراعي الأمور التالية في البحث:

- 1- الاعتماد على النص القرآني لمعرفة السياق الذي يرتبط به اللفظ أو الأسلوب.
- 2- الاعتماد على كتب التفسير لفهم مدلول الألفاظ والعبارات لاستحلاء المعنى العام للنص.
- 3- الانتفاع قدر المستطاع بالمادة التراثية والمناهج اللغوية المعاصرة ولاسيما اللسانية لاستنتاج  
النص القرآني في السور المكيّة.

\* \* \*

أما المنهج الذي عولج فيه هذا البحث في تحقيق أهدافه العلمية هو المنهج الوصفي التحليلي،  
الذي يتخذ الوصف اللغوي وسيلة للكشف عن الملامح الأسلوبية البارزة في السور المكيّة، مستعينا في  
ذلك بالمنهج الإحصائي الكمي الذي يساعد على مدى واسع في تحديد الملامح الأسلوبية ورصدها  
وضبطها بالدقة الكافية، ومن ثمّ التمكن من دراستها وتحليلها تحليلا موضوعيا بما يتضمّن أو يتناسب  
وطبيعة الخطاب القرآني، فلا يُتعمّف في التأويل ولا يحتمل النص ما لا يتضمّن من القيم الدلالية.  
وإذا كان الأسلوب ينتمي إلى مجال علم اللغة الذي من شأنه بحث التنوعات اللغوية وأنماطها في  
النص الأدبي، فإنّ تحليل الأسلوب ليس إلاّ طريقة من طرق النظر في اللغة، وهذا ما يصطلح عليه  
بـ"الأسلوبية الوصفية" التي تحاول وصف أسلوب اللغة ووصف نمطها الأسلوبي وتوحي إظهار  
البراعة في الاستفادة من طاقات اللغة حسب قوانينها الصوتية والصرفية والتركيبية، وهذا يعود إلى  
القدرة على الاختيار للوحدات اللغوية المشكّلة للخطاب، وحسن تنسيقها في مواقعها، وما يستتبعه  
من مطابقة مقتضى الحال.

ولذلك، فقد استفاد البحث من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني كما تجلّت في كتابيه:  
"دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، ومن اللسانيات و علم الأسلوب-وهو الوجه الجمالي للألسنية-  
باعتبارهما ضرورة تقتضيها حاجتنا إلى عصنة دراسة خطابنا الأدبي وفق مناهج علمية، تمكّنتنا من  
اكتشاف وتحليل الخصائص الأسلوبية للغةنا بإجراءات وأدوات منهجية للوصول إلى نتائج موضوعية،  
ولا سيما إذا تعلق الأمر بدراسة النص القرآني بغية تلامس بنيته اللغوية من جميع جوانبه، ورصد ملامح  
الإعجاز الفني الذي يستمد أصوله من السمات الأسلوبية والخصائص الفنية المتفرقة في النظم قرآني.

لقد حاول البحث تقديم دراسة وصفية للسور المكية قصد تحديد السمات اللغوية البارزة بروزا واضحا، وهذا البروز الأسلوبي محكوم بالتكرار والتواتر لمختلف المستويات اللغوية في الخطاب القرآني (الصوتية، والصرفية، والتركيبية)، "بمعنى أن الملمح الوارد مرة واحدة لا يشكل سمة أسلوبية، لكنّها تتحلّى بالتكرار بإيقاع محدّد يصبح حينئذ سمة أسلوبية"<sup>1</sup>.

وقد استعار البحث لغة الجداول كوسيلة لضبط التكرار النسبي للسمات الأسلوبية، على أن كلّ سمة لغوية حين تحظى بنسبة كافية من التكرار، وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالة تصبح خصائص أسلوبية بارزة في النصوص، إذ "كلما كان المتن المحلّل واسعا كانت نتائج الإحصاء أكيدة"<sup>2</sup>، وهذا ما يُبرّر القياس الكميّ باعتباره معيارا موضوعيا قادرا على تحديد المميزات الأسلوبية للنص. كما تجدر الإشارة-هنا في هذا البحث- إلى أن تحديد الخصائص الأسلوبية في السور المكية كان محكوما بضابطين: أحدهما: تفرّد السور المكية بظاهرة أسلوبية، لا يُوجد نظير لها في السور المدنية. والآخر: تكرار لظاهرة أسلوبية ما بنسبة عالية أكثر مما يقابلها في السور المدنية، وعلى هذا يمكن القول-للتوضيح- أن تميّز نص القرآن المكي باستخدام الجمل القصيرة مثلا لا يعني انعدام الجمل الطويلة، بل كل ما يعنيه أن ثمة نزعة مركزية غالبية إلى استخدام الجمل القصيرة مع احتمال ورود الجمل الطويلة بتكرارات أقل. وهكذا الأمر في رصد الخصائص الأسلوبية الأخرى فهي في الأكثر أغلبية وليست على إطلاقها.

هذا وإنّ البحث - حسب المنهج المتبع هنا- لم يكتف باستقراء و تصنيف مجموعة الظواهر اللغوية للأساليب البارزة في السور المكية وتوصيف أشكالها وأنماطها، وإنما باعتبارها كخطوة منهجية تمهيدية للعبور إلى المرحلة الثانية من المنهج، بمعنى أن المقاربة الأسلوبية تتوسّل الواقع الإحصائي للنص، تمهيدا لبلورة معطيات تدلّ على صفات الخطاب الأدبي في حدود أدواته اللغوية و البلاغية والجمالية، وهذا يتمكّن الدارس من تحليل الظاهرة الأدبية من جميع جوانبها النبوية والوظيفية، وهذا التحليل قوامه التفكيك وأيضا التفسير والتعليل في حدود الإمكان، وذلك لأنّ العلامة اللغوية في التعبير القرآني معلّلة لا تخضع للعفوية إطلاقا لأنها ترتكز على نظام دقيق من الدوال والمدلولات.

ويُقصد بالتفكيك تحليل الظاهرة الأسلوبية(صوتية، صرفية، تركيبية) إلى مكوناتها اللغوية قصد تشريحها لمعرفة كيفية تشكيلها اللغوي و الجمالي من خلال محاولة إظهار حسن تنسيقها ومكان قوتها

<sup>1</sup> صلاح فضل، معاج النقد المعاصر، ط1، القاهرة، دار الأفق العربية، 1417هـ/1997م، ص108.

<sup>2</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص59.

التعبيرية وكيفية أدائها لوظيفتها في مواقعها من التركيب القرآني، وذلك لأغراض منهجية، إذ الانسجام والتآلف والتناسق هو ما يميّز البنية اللغوية في القرآن عموماً، ثم الاهتمام بالجانب الترابطي بين الظاهرة اللغوية والنص، ليساعد ذلك على استخلاص دلالاتها المضمونية من خلال سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن المكي، ولا شك أن المعنى لا يكتمل إلاّ بالسياق الذي يعمل دوراً أساسياً في تحديد مقاصد وأغراض الظاهرة اللغوية، وهذا ما تركّز عليه المنهج خلال فصول البحث كلها، فلم يغفل عن إبراز الجانب الهام في دراسة الأسلوب ألا وهو "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" ويعنون به مراعاة الأسلوب للموقف الذي يستدعيه، وسوق الكلام وفق مقتضى الحال، ومناسبة المقام. وقد حاولت أن أبرز هذا الميزان البلاغي الدقيق في كلّ ظاهرة أسلوبية تميّزت بها السور المكية، باعتبار أنّ الخصائص الأسلوبية ناتجة من السياق اللغوي، ومن خلال الارتباط بالمؤثرات الأسلوبية الأخرى التي تتمثل في طبيعة المخاطب وهو المتلقي للخطاب أو الرسالة: (تكيف طبيعة الخطاب حسب أصناف المخاطبين)، والغرض الذي من أجله سيق الخطاب، والمقام الذي يحدّد مكان وزمان الحدث التواصلية.

ووفقاً لهذا، ولتعليل الظواهر الأسلوبية حاولت أن أركز على إظهار هذا التلاؤم الأسلوبي في النظم القرآني الذي يعود في أساسه إلى دقة الاختيار والانتقاء في كل مستوياته التعبيرية لأداء وظائفه التبليغية والتأثيرية، وهذا الاختيار محكوم باعتبارين أساسيين:

- اختيار محكوم باعتبارات غير لغوية تتعلق بالموقف والمقام وما يندرج ضمنهما.
  - اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة، فحين يُؤثر القرآن كلمة على كلمة أو تركيباً على تركيب فإنما يتخيّر الوجه الأصح أو الأدق والأكثر ملاءمة للتعبير عن المضمون وتوصيل المراد.
- وبناء على ذلك حرص البحث - خلال التحليل - على إبراز نواحي التأثير والإقناع في أساليب القرآن، أي بمعنى محاولة تعيين التأثيرات الجمالية وغير الجمالية للنص على المتلقي، وذلك من منطلق أنّ أسلوب الخطاب القرآني قام على نحوٍ يجمع بين إثارة الوجدان والعقل جميعاً، سواء في ذلك كلّهُ الوحي المكي أو الوحي المدني.

وتجدر الإشارة إلى أنّ التحليل لآيات السور المكية كلّها أمرٌ يثقلُ كاهل البحث، ويؤدّي إلى السطحية والتكرار، هذا فضلاً عن الإطالة غير المفيدة. و من ثمّ يكتفي البحث في كل فصل بعرض نماذج تمثل السمة الأسلوبية، ثم يحال بعد ذلك إلى الجداول الإحصائية.



كما استعان البحث أثناء التحليل ببعض الرسوم البيانية و الأشكال الهندسية التي اقتضى المنهج توظيفها كعامل توضيحي لبعض الجوانب من الدراسة، وأداة من أدوات الاختصار والاقتصاد في التعبير لغاية هي تقريب الفهم وتقوية الدلالة والاستدلال.

\* \* \*

وبناء على النظرة التكاملية التي تجمع بين مختلف الخصائص الأسلوبية للسور المكية، اقتضت خطة البحث أن تشتمل الرسالة على فصل تمهيدي-بعد المقدمة-، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما الفصل التمهيدي- كمدخل نظري عام للموضوع- فتعرضت فيه لأسلوب القرآن بين الوحيين: المكي والمدني، وحاولت أن أبين أثر اختلاف طبيعة المخاطبين وتنوع المواضيع وتعدد أغراض الخطاب وتطور قضايا الدعوة على طبيعة الأسلوب القرآني، كما تناولت مسألة المكي والمدني من حيث المعنى الاصطلاحي، ومن حيث ضوابط التقسيم، وحاولت أن أثبت أهمية المعيار الأسلوبي إلى جانب المعيار الزمني ضمن معايير التمييز بين الوحي المكي والوحي المدني.

**والفصول الثلاثة في صلب الموضوع، وقد تناولت بالدراسة و التحليل الخصائص الأسلوبية** لخطاب القرآن المكي وفق تدرجها اللساني، وذلك من خلال مستويات ثلاثة تشكل بنية النص الأساسية، ووحدة بنوية اندماجية ووظيفية يتم الفصل بينها أثناء التحليل لضرورة إجرائية ومنهجية لا غير.

**الفصل الأول:** في المستوى الصوتي وقد عرضت فيه لأبرز السمات الصوتية والخصائص الإيقاعية التي طبعت البنية الصوتية للسور المكية، والمتمثلة فيما يأتي:

- 1- الإيقاع بالجرس المشاكل للمعنى.
- 2- إيقاع الوحدات اللغوية وتجلى ذلك في: إيقاع بالتجنيس، وإيقاع بالصيغ المتماثلة.
- 3- إيقاع بتكرار القالب الصوتي.
- 4- إيقاع الفواصل القرآنية بمختلف أنواعها وسمات نظامها و أنماطها وأبنيتها.
- 5- إيقاع الحروف المقطعة في فواتح السور المكيّة.

**الفصل الثاني:** في المستوى الصرفي وتناولت فيه أبرز السمات الصرفية التي ميّزت القرآن المكي، والتي تمثلت في وحدات صرفية تظهر في شكل صيغ ومشتقات ذات أثر أسلوبي، فتعرضت لخصائص في الزمن الأسلوبي الذي يتجلى في: 1- الفعل المنى للمجهول. 2- التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل. 3- الماضي المستعمل للتعظيم. 4- دلالات الفعل المضارع في السور المكيّة.



كما تناولت فواتح السور المكية من حيث دلالاتها الصرفية، وظواهر أسلوبية أخرى لصيغ صرفية قوامها العدول الأسلوبية وهي: المبالغة بالصيغ، والتضعيف، وإحلال صيغ محل أخرى.

**الفصل الثالث:** في المستوى التركيبي وتناولت فيه الظواهر التركيبية التي تمثل بروزاً أسلوبياً، حيث ركزت على خصائص السور المكية من حيث الصياغة الشكلية للآيات والجمل، فتناولت ذلك في ملمحين بارزين هما:

1- الآية القصيرة والجملة البسيطة، (وقد كان التركيز -هنا- على سمة الإيجاز ودلالاته).

2- الآية الطويلة ذات التركيب البسيط.

كما تعرضت لخصائص في الأساليب الجمالية وأبرزها:

1- أسلوب الاستفهام وتناولت أهميته البلاغية ومعانيه الدلالية ومختلف أمثاله النحوية.

2- أسلوب القسم وتناولت أهميته البلاغية و مختلف صيغ القسم ودلالاته، وظاهرة حذف

جواب القسم.

وقد استند اختياري لهذه الجمل إلى كثرة تواترها ودورانها في أغلب السور المكية وعلاقتها الدلالية بأهم موضوعات الوحي المكي.

وأخيراً تناولت ظاهرة التكرار بمبحث مستقل بينت فيه أهميته البلاغية، وأسباب توحي القرآن المكي لأسلوب التكرار، كما أوضحت أقسامه ودلالات كل قسم من أقسامه.

أما الخاتمة فقد اشتملت على تلخيص لأبرز وأهم النتائج التي استطعت أن اهتدي إليها من خلال دراستي للموضوع، وأردفت الخاتمة بفهرس لما ورد في غضون البحث من الحديث الشريف والأثر، ولم أشأ أن أحقه بفهرسٍ مثله للآيات الواردة في البحث لأن ذلك يُثقل البحث، ثم أردفت ذلك كله بثبت للمصادر والمراجع، مرتبة حسب الحروف الهجائية.

\* \* \*

وقد اعتمدت في تحرير بحثي على مراجع كثيرة، ومصادر شتى، وكلها عربية خالصة إلا قليلاً منها فهو مترجم، وقد أعانتني في جوانب كثيرة من البحث، فمنها كتب علوم القرآن والدراسات القرآنية، ومنها كتب تفسير القرآن ولاسيما منها ذات الاتجاه البلاغي وإن كانت قليلة، مثل تفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ومنها كتب إعراب القرآن وبيان معانيه، ومنها كتب إعجاز القرآن، ومنها كتب الحديث و السيرة، ومنها كتب النحو واللسانيات و فقه اللغة، ومنها كتب معاجم اللغة والمعاجم المفهومة للقرآن الكريم، كما استدعى منهج البحث أن

أرجع إلى كتب الأدب والنقد والبلاغة وعلم الأسلوب، هذا وقد كان استخدام هذه المصادر و المراجع مراعيًا لشروط الدقة والأمانة العلمية في التحقق من صحة ما أنقله من الأقوال والآراء، وأن أعزوها إلى مصادرها الأصلية، كما أثبتت هذه المصادر في الهوامش، حسب الطريقة المصطلح عليها.

\* \* \*

وقد اعترضتني صعوبات في دراسة هذا الموضوع، ومن جعلتها قلة المصادر والمراجع في هذا الباب؛ لأنّ جل الدراسات القرآنية في هذا الموضوع -حسب إطلاعي المتواضع- لا تعدو أن تكون بحوثًا نظرية لا تنفي بالغرض إلاّ في جوانب قليلة، كما أنه قلّ أن تجد تفسيرًا بلاغيًا للقرآن يشفي غليل من تهمو نفسه إلى تلمس جمال القرآن وروعة أسلوبه، وقلّ من البحوث التي وجّهت عنايتها إلى إبراز أسلوب القرآن بكلّ ظواهره و تجلياته، إلا أنني لا أود أن أذكر مدى الجهود التي بذلتها، والأوقات التي أفنيتها، والصعاب التي اعترضت سبيلي منذ بداية التفكير في إعداد هذه الرسالة إلى أن وفقني الله في إنجاز تحريرها، وإنما فضّلت أن أترك ذلك إلى الذين مرّوا على هذا الطريق من الباحثين قبلي، و ذاقوا مرارة البحث والتنقيب، فهم وحدهم الذين يُقدّرون ذلك حق قدره، ولا سيما في ظروف عويصة، قد قلّ فيها المعين، وتراكت فيها العوائق والصعاب.

\* \* \*

وبعد، فإن كنتُ مدينا- بهذا البحث- لأحد من الناس، فذلك هو أستاذي و المتفضّل بالإشراف على عملي الدكتور رابع دوب، الذي غمّرتني بواسع حلمه وصبره، وشحذ من همّتي لمواصلة السير متخطياً كل الصعاب، والذي اعتنى بقراءة الرسالة تصحيحاً ورعاية وتوجيهها، كما لا يفوتني أن أذكر فضله الكبير عليّ أنّه كان متفهماً لظروفي القاهرة التي حالت دون إنجاز هذا البحث في الموعد الذي أراده، لذلك فإنّي لا أعرفُ كيف أوفيه حقّه من الشكر والعرفان، فجازاه الله تعالى خيراً وأحسن إليه، وزاده علماً وكرمه به.

أما وإني لا أحسبُ هذا العمل إلاّ مساهمة متواضعة في خدمة كتاب الله تعالى وعلومه وما أظنني حققتُ القصد وأشرفتُ على الغاية فهذا مالا يطمع مثلي في الوصول إليه، غير أنني أحسبني أتي بذلتُ كلّ طاقتي وجهدي، وأخلصتُ لعلمي، وأملّي أن أكون قد قدّمتُ بعض ما يفيد، وأن أكون قد ساهمتُ في نشر ثقافة القرآن الكريم، فإن أكن قد وفقتُ فالفضل لله وحده، وإن أكن قد انحطتُ

وجائني الصواب فمن نفسي وتقصيري ومن الشيطان واستغفر الله، كما أسأله تعالى أن يجعل عملي  
هذا خالصاً لوجهه الكريم، و أن يكتبَ لي الأجر والثواب، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

\* \* \*

\*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير

# الفصل التمهيدي

## أسلوب القرآن

بين التنزيل المكي والتنزيل المدني

الإسلامية

## أولاً- التزويل القرآني والبيئة النبوية في مكة والمدينة

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون القرآن الكريم مباناً للكتب السماوية السابقة في كيفية نزوله على محمد- صلى الله عليه وسلم - . فقد كان نزوله منجماً " بحسب الحاجة: خمس آيات، وعشر آيات وأكثر وأقل "1 .

وظلّ الوحي يتدرّج مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية، التي تعاقبت في حياة الرسول ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً على الأصح. فعن ابن عباس ؓ قال: " بُعث رسولُ الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين "2 .

وفي نزوله بهذه الكيفية غايات ومقاصد صرّح بها القرآن نفسه في رده على الذين عابوا نزول القرآن مفزاً ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (32) وَلَا يَأْتُوكَ بِمِثْلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (33) ﴾ [الفرقان]. وكما علل ذلك أيضاً في مكان آخر من القرآن بقوله: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الإسراء:106]

وبذلك كان القرآن مسائراً لسيرة الرسول ﷺ فقد ظلّ يتصل به زمناً في مكة وزمناً في المدينة، مقترناً بالدعوة وتطورها وسيرها وفق حاجاتها المتجددة ومقتضاها الواقعي في كل مراحلها ومنازلها منذ بدايتها حتى اكتمالها<sup>3</sup>؛ مما جعله حياً خالداً بتأثيره في القلوب وبروحانيته التي رافقت النبي- صلى الله عليه وسلم- ما يزيد عن العقدين من الزمان. " و لو أن القرآن كان قد نزل جملة واحدة لتحول سريعاً إلى كلمة مقدسة خامدة وإلى فكرة ميتة، وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدراً يبعث الحياة في حضارة وليدة "4 .

فقد كانت مقتضيات الدعوة في مكة قبل الهجرة، غيرها في المدينة، لاختلاف الظروف والملابسات، وذلك ما راعته الآيات القرآنية في مضامينها غالباً، وهو ما يجعل الصلة قائمة ووثيقة بين الوحي القرآني وما كانت عليه البيعة التي تعيشها الدعوة الإسلامية، إما البيعة المكية أو البيعة المدنية.

<sup>1</sup> السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، د.ط، بيروت - لبنان، دار المعرفة، د.ت، 57/1.

<sup>2</sup> البحاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مبعث النبي (ص)، حديث رقم: 3689، ضبطه ورقمه وشرح ألفاظه وجملة وحجج أحاديثه في صحيح مسلم، ووضع فهرسه: مصطفى ديب البعا، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1992م، 1416/4.

<sup>3</sup> أبو الأعلى المودودي، مبادئ أساسية لفهم القرآن، ترجمة أحمد الخامدي، د.ط، دار السعودية للتوزيع والنشر 1404هـ/ 1984م، ص29.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصمد شاعور، د.ط، دمشق، سورنا، دار الفكر، 1405هـ/ 1985م، ص175.

## 1- القرآن و صفات بيئته المجتمع المكي

أهل بيئته النبي في مكة هم المخاطبون الأولون بالرسالة قبل البعثة، كانوا قوما ذوي عقائد باطلة، يعبدون الأصنام والأوثان ولا حجة لهم في ذلك إلا أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:22] ، ويكذبون بيوم الدين، سادرين في مادية سيطرت عليهم واستولت على تفكيرهم، فأصبحت هي غايتهم، حتى نفوا مسؤولية الإنسان ورسالته في حياته وتمثل ذلك في قولهم ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام:29]. وانطبع ذلك على قيمهم وموازنيتهم وتصوراتهم للأشياء والأحداث، فلا عقل يحكمونه ولا منطق يستندون إليه، وإنما هي التقاليد المتوارثة و الأعراف البالية رسختها الجاهلية و الأمية وضلال عصور الآباء و الأحداد.

ومن هنا، كان موقفهم من الدعوة "موقفا عاطفيا لا سلطان للعقل عليه. وكان رفضهم للدين الجديد لا يعتمد على حجة أو برهان، وإنما يعتمد على ميراث من التقاليد الضالة التي ورثوها عن أسلافهم الأقدمين"<sup>1</sup>، لذا كانت مهمة النبي — صلى الله عليه وسلم — في هذه المرحلة من تاريخ الدعوة، مهمة شاقة عسيرة، لأنها كانت تهدف إلى زعزعة العقيدة الوثنية، وإحلال التوحيد محله. كما كانت تهدف إلى نقل هؤلاء القوم من ماديتهم المسففة إلى روحانية متسامية، وجعلهم يؤمنون بأن وراء هذه الحياة الدنيا التي يحيرها، حياة أخرى خالدة أبدا، يُحاسب فيها المرء على ما قدمت يدها في حياته. وإلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والجنة والنار، وإلى غير ذلك من أمور الغيب وأصول الإيمان فكانت هذه الأشياء التي يحدثهم القرآن عنها تبدو غريبة عنهم، لا يستطيعون تقبلها في سهولة، بل أنكروها إنكارا شديدا فقالوا: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَئِنَّا لَمِتَنَا وَكُنَّا ثُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3)﴾ [ق]. أفليس من الحكمة أن تُرسخ هذه العقائد في القلوب والعقول دون التطرق إلى تفصيلات النظام الذي يقوم عليها، والشرائع التي تُنظم المعاملات فيها. "إن طبيعة هذا الدين هي التي قضت بهذا، فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهية الواحدة... ولكن العقيدة هي أساس دعوة الناس إلى الإسلام أول مرة، هذه الدعوة التي تكفل بها القرآن المكي طوال ثلاثة عشر عاما كاملة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> يوسف حليف، دراسات في علوم القرآن والحديث، د.ط، القاهرة، مكتبة غريب د.ت ص62.

<sup>2</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، طبعة جديدة مشروعة، مزبدة ومنقحة، بيروت - لبنان، دار الشروق، 1395هـ/ 1995م، المجلد الثاني، الجزء السابع، ص 1011.

ومن ذلك تلاحظ حكمة التدرج الرشيدة لتزول القرآن الكرم، في إصلاح الطباع وسياسة النفوس، وذلك التدرج يُبرره تجاوب الوحي مع الرسول ﷺ وتجاوبه مع المؤمنين أو مراعاة حال المخاطبين عامة وما تقتضيه الدعوة قبل الهجرة خاصة. فنفسيته ﷺ في مكة، غير نفسيته بالمدينة بعد الهجرة. فقد عانى الرسول ﷺ من الاضطهاد والأذى ووجد كثيراً من صور التحدي والمعارضة أول الأمر. كما تعرّض أصحابه الذين آمنوا معه في فجر الدعوة لألوان شتى من التعذيب الشديد، والمضايقات المستمرة. فكان الوحي يساير هذه الأحداث بتجاوبه مع الرسول ﷺ وتجاوبه مع المؤمنين من ناحية<sup>1</sup>، وإعلام شديد اللهجة للمخاطبين من معارضي الدعوة، ووعيد يهدّد كيافهم إذا ما ظلّوا في طغيانهم يعمهون من ناحية أخرى.

فقد كان الرسول ﷺ في مكة ضيق الصدر، حزين النفس من المعارضة والعناد المستمر، وتوالي الإيذاء لشخصه وللمسلمين وحرصه على نجاة أصحابه من قومهم، فتزلت الآيات مسليّة للنبي ﷺ وتثيتاً لقلبه، واصفةً دخيلة نفسه، كما في قوله تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 97]  
- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33]

- ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 3]  
- ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>2</sup> [الكهف: 06]  
وهكذا ما انفك القرآن يتجدد نزوله مهوّنًا على الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشدائد، مسلياً له مرة بعد مرة، محبباً إليه التأسّي بمن قبله من الرسل، ويأمره أحياناً بالصبر أمراً صريحاً ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ فِهلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35]، ولذلك كثر القصص في السور المكية، لأن سرد قصص الذين من قبله من الرسل فيه جانب من مراعاة لحال النبي - صلى الله عليه وسلم - النفسية عند صدعه بالدعوة، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوحٍ وَعَادٌ وَثمود﴾ [الحج: 429]،

<sup>1</sup> صبحي الصاغ، مباحث في علوم القرآن، ط2، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1997م، ص53.

<sup>2</sup> انظر: سورة الحجر: 88، الحجر: 70، 127.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْأُمُوسَلِينَ ﴾ [الأنعام:34]. هذه الآيات وغيرها في العديد من السور المكية، تدعو النبي ﷺ إلى التأسي بمن قبله. وقد ثبت بالتجارب أن التأسي يهون المصائب، ويفيد شيئاً من السلوة<sup>1</sup>، وليعلم النبي ﷺ أنه ليس بدعا من الرسل، وإنما هي سنة الله في الأمم وأصحاب الرسالات.

كما يُطمئن القرآن نفسية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويعلمه أحيانا أن الكافرين لا يجرحون شخصه في نفسه، ولا يتهمونه بالكذب لذاته، وإنما يعاندون الحق بغيا من عند أنفسهم<sup>2</sup> ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَخْزُوكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:33]

وهكذا تتوالى الآيات تنزل في هذا العهد مساندة للرسول ﷺ وتدفعه إلى المضي في دعوته، وترفع الخوف من نفسه، أو ما قد يناوب قلبه من الإخفاق. "فصاحب هذه النفسية مشغول بنفسه لا يستطيع أن يتلقى تشريعا، ولذلك نجد في الآيات المكية كثيرا من آيات التسرية والترفيه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -"<sup>3</sup>.

أما تجاوب الوحي مع المؤمنين على عهد رسول الله ﷺ في مكة، ففي القرآن المكي منه سور متنوعة غايتها تلبية حاجاتهم وعدم مفاجأهم بتشريعات وتكاليف قد لا يقوون على حملها أول الأمر قبل أن يتوفروا على القوة الإيمانية التي تنعقد عليها قلوبهم، وهي قوة الاعتقاد وصحته، ويؤكد هذا ما قالته عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها): "إنما نزل أول ما نزل من (القرآن) سور من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني جارية ألب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَأَمْرٌ ﴾<sup>4</sup> وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عمدرشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الشهر بتفسير المنار، ط2، بيروت - لبنان، دار المعرفة، دت، 377/7.

<sup>2</sup> صبحي الصاغ، المرجع السابق، ص54.

<sup>3</sup> أحمد عادل كمال، علوم القرآن، ط3، بيروت، دار الإرشاد، 1388 هـ/1968م، ص65.

<sup>4</sup> القمر:46.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، (كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم:4707)، 1910/4.



فالدعوة إلى الله لها هجها الخاص وأسلوبها الحكيم إزاء كل فساد في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك، و لا تفرض تكاليفها إلا بعد تكوين الأساس الذي يقوم عليه أمر هذا الدين وهو بناء العقيدة في النفوس. لذلك طالت مدة الدعوة في مكة وينبغي لها أن تطول حتى تتم خطواتها على مهل وفي عمق وثبتت، والله يعلم أن بناء النفوس والجماعات لا يتم بين يوم وليلة، وهذه هي طبيعة هذا الدين كما تُستخلص من منهج القرآن المكي<sup>1</sup>. فكانت الآيات القرآنية خير معلّم يلمس شفاف قلوبهم بالكلمة الساحرة، المشحونة بالحقيقة المقنعة، ففيها أخبر المؤمنون بواجباتهم وعلموا الورع والتقوى ومكارم الأخلاق، والسلوك الطاهر، وشجّعوا على مواصلة الدعوة بوعد صادق بالفوز بالجنة والنعيم الخالد، إن هم صبروا وربطوا. فقد وصفت لهم آيات كثيرة مظاهر ذلك النعيم الهنيء، ففاضت قلوبهم شوقاً إلى جنة عرضها السماوات والأرض "مما ملأ قلوبهم بحماسة دفعتهم إلى مواجهة أقسى محنة والوقوف في وجه أعنى عاصفة من المعارضة"<sup>2</sup>.

أما في الجانب الآخر من المخاطبين، وهم الذين كفروا بالله وتمردوا على رسوله وتصدوا لدعوته وأعرضوا عن الإيمان وجربوا كل سبيل، والتمسوا كل سبب للقضاء على الدعوة وهي في المهدي، ليطفئوا نور الله الذي لم يجد أيّ مقاومة في إشعاع بيوت مكة بنوره يوماً بعد يوم، فشرعوا في البحث عن حقيقة هذا الكلام الذي يتلوه محمد ﷺ.

و الناظر في القرآن يجد أن موضوع (القرآن) وصلته بالوحي الرباني كان موضوعاً رئيسياً بل من أهم المواضيع الجدلية بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين زعماء الكفار ونبهاهم. فقد رمسوه بكل صفة يرونها تنطبق على كلام لم تألف الأذن سماعه، لكن القرآن صور لنا في العديد من آياته نفسياتهم المضطربة، وترددهم وتذبذب فكرهم وتقديرهم لهذا الوحي، فلم يستقروا إلى نسبة، أو يتفقوا على وصف واحد سواء يعلنونه للعرب، وإنما هي الحيرة والعناد والمكابرة و غمط الحقيقة. وإن ما ينم عن كل هذا، هو تلك الصفات التي ألصقوها بالنبي أو القرآن، فليس هناك وجه يجمع بينها؛ فقالوا: إنه شاعر وإنه كاهن وإنه ساحر وإنه كاذب وإنه مفتر وإنه يقتبس ما يتلوه من أساطير الأولين وكتبهم وقصصهم<sup>3</sup>، وإن هناك من يُعلمه ويساعده في ما يُنظمه ويتلوه<sup>4</sup>، وإنه مسحور وأنه مجنون<sup>1</sup>

<sup>1</sup> سيد قطب، المرجع السابق، المجلد الثاني، الجزء السابع، ص 1012 - 1013.

<sup>2</sup> أبو الأعلى المودودي، مبادئ أساسية لفهم القرآن، ص 25.

<sup>3</sup> انظر: القلم: 15، المطففين: 13.

<sup>4</sup> انظر: الحن: 103.

وأن الذين يوحون إليه به هم الشياطين والجن<sup>2</sup> على ما كانوا يعتقدون ذلك في شأن السحرة والكهان والشعراء، وتأمروا سرّاً وعلناً على التشويش عليه واللغو عند تلاوته، والإعراض والصدّ عن سماعه... وقد شغل (هذا الموضوع) حيزاً غير يسير من سور القرآن وخاصة المكي منه<sup>3</sup>.

وقد ردّ عليهم القرآن بحجج قاطعة، وبأسلوب عنيف مسفّه لدعاويهم الواهية، كما تحدّاهم وبين حقيقة ما في أنفسهم إزاء الوحي، فاضحاً كذبهم وافتراءهم مبيناً أسباب عنادهم ومكابرتهم. فمن تمام الحكمة في هذا المقام، أن يشتد القرآن المكي في الرد عليهم، بأساليب التنديد والتهديد والتفريع والتوبيخ ليرعوا عن باطلهم و يفتحوا آذانهم لصوت الحق والرشد ويسيروا على هدى الدليل والحجة. فقد "سّفّه القرآن عقولهم وعقول آبائهم الذين أهملوا النظر في أنفسهم وفي آيات الله في الأفاق، وقبح إليهم الجمود على التقليد الأعمى للآباء، وفتح أعينهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق، وعلى ما في الكون من أعلام الرشد، ونوع لهم في الأدلة وقاضاهم إلى الأوليات والمشاهدات"<sup>4</sup>. ولم يجد كالمقصص من أنباء الرسل والأمم السابقة وأقوام القرون الأولى أبلغ موعظة وأنفع عبرة، ليريههم سنن الله في الكون والناس والأشياء، وضرب لهم الأمثلة للحياة الآخرة وما فيها من جنة ونار، ومصير المؤمنين ومصير الكافرين ترغيباً وترهيباً، ولينذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبل ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:42].

## 2- القرآن وصفات بيئة المجتمع المدني

أما مجتمع المدينة المنورة فقد كان قائماً على أساس الإيمان بالله تعالى والانقياد لتعاليمه وتوجيهاته، وقد نذر نفسه لنصرة الحق والذود عنه والجهاد في سبيله. فكان مجتمعاً تشربت شرابينه حبّ الله ورسوله، وكلّ همهم أن يأتيهم أمرٌ من الله ورسوله ﷺ في قضية أيّا كانت ليتسابقوا في تنفيذه والتقرب إلى مرضاة الله تعالى به.

<sup>1</sup> انظر: الأنعام:07، الأعراف: 164، يونس: 07، هود: 07، الحجر: 6، 15، الأنبياء: 03، الفرقان: 8، الشعراء: 27، ساء: 8، 43، الصافات: 15، الزخرف: 30، الدخان: 14، الأحقاف: 07، الناريات: 52، الطور: 15، 29، المدثر: 24، القلم: 51، التكويد: 22.

<sup>2</sup> انظر: الشعراء: 210-221، الصافات: 158.

<sup>3</sup> محمد عزة دروزة، القرآن المجيد، د.ط، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت، ص49.

<sup>4</sup> البرقاني، معاني العرفان في علوم القرآن، د.ط، بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت. 194/1.

وإلى جانب هذه الكثرة المومنة كان بعض المنافقين ممن حال الإسلام بينهم وبين رغبتهم وشهواتهم ووجهاتهم التي عاشوا عليها، و رأوا هذا الإسلام قويا فخضعوا له ظاهرا وتسترأ بلباسه وأضمروا له الكيد وتربصوا به الدوائر في الخفاء.

وصنف ثالث في المدينة وحوها وهم طوائف اليهود، الذين كانوا يسرحون ويمرحون قبل الإسلام ويشيرون الفتن والحروب بين طوائف العرب وقبائلهم المتعددة على المبدأ اليهودي القلسم في إثارة نار الفرقة والأحقاد بين الناس. و تظاهر اليهود بعقد تحالفات مع الرسول وعهود وذمم على حسن الجوار وأضمروا الكيد والشر وتحركوا في الخفاء للقضاء على هذا النور الجديد.

تلك هي أبرز سمات المجتمع المدني الذي عاصر نزول القرآن الكريم على الرسول-صلى الله عليه وسلم-لمدة تقرب من عشر سنوات.

### 3- أثر الاختلاف بين صفات المجتمعين على أسلوب القرآن الكريم

بعد هذا العرض الوجيز للسمات العامة لكل من المجتمع المكّي والمدني، فمن بديهيات الأمور أن يكون هناك تلاؤم بين الموضوعات القرآنية التي تواجه كلاً منهما وبين خصائص الأسلوب القرآني الذي يخاطب هذه النوعيات المختلفة. فقد تبين مما سبق، أن حال المخاطبين بمكة قبل الهجرة، يباين حال المخاطبين بالمدينة بعد الهجرة، والظروف هنا، غير الظروف هناك، فتبعاً لذلك يكون الخطاب القرآني مراعيًا لكل حال الأسلوب الذي يقتضيه الحال والمقام، وهذا ما اقتضته حكمة التزييل " أن يكون الأسلوب مناسباً وملائماً لظروف المجتمع المكّي، فقد تنوعت الآيات في عرضها، وموضوعات بحثها تنوع الأحوال والمناسبات "1.

فلا ريب أن يتنوع التزييل بتنوع الأحوال ومستحدثات الوقائع؛ فيعمل على حماية المسلمين ويعبّد الطريق أمام مسيرة الدعوة، ويضيق الخناق على الأعداء ويناهضهم، وذلك بالكلمة القرآنية النافذة في آتها، المشحونة بالمعاني التي " تحتوي على شذور موجزة تناسب مرحلة انطلاق الدعوة في لغتها الرفيعة، وفي معانيها السامية، وفي حلاوتها المتناهية، وفي تأثيرها البالغ، وهي في أعلى درجات الذوق الأدبي الذي يساير مستوى ذوق المخاطب لتطبع هذه الشذور الزمردية من النعم الإلهي في قلوب القوم انطباع السهم في الصدور، ولتميل إليها الأذان مستجيبة لترنمها الساحر، لتجري الألسن بتريديها لما فيها من جمال التناسب وحلاوة التنسيق"2.

1 السيد أحمد عبد الغفار، القرآن الكريم تاريخه ولغته، د. ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص 75.

2 أبو الأعلى المودودي، المدح السافر، ص 82.

فقد كان القرآن في قسمه المكي، ولو أنه قرآن من القرآن يشترك مع خصائصه القرآنية العامة، إلا أن له مع ذلك جوّه الخاص، ومذاقه المميز الذي يطبعه " موضوعه الأساسي وهو إنشاء العقيدة في الله وفي الرّوح، وفي اليوم الآخر و إنشاء التصور المنبثق من هذه العقيدة لهذا الوجود وعلاقته بخالقه والتعريف بالخالق تعريفا يجعل الشعور به حيا في القلب، مؤثرا موجهها، موحيا بالمشاعر اللاتقة بعبد يتجه إلى ربّ، وبالأدب الذي يلزمه العبد مع الرب، وبالقيم والموازن التي يزن بها المسلم الأشياء والأحداث والأشخاص"<sup>1</sup>، وخاصة إذا كان من المعلوم في التاريخ الأدبي للبيئة الأدبية واللغوية في مكة قبيل الإسلام، أنها كانت في أوج ازدهارها الأدبي، وما تلك الأسواق الكبيرة التي كانت عملا كبيرا في نشأة الذوق الأدبي الرفيع، إلا أكبر دليل على ذلك ولاسيما سوق عكاظ بجوار مكة؛ إذ كان الخطباء والشعراء يتبارون فيها، ويظهر أنه كان لقريش في ذلك الحكم الذي لا يرد كما أكد ذلك صاحب كتاب الأغاني " أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، وما ردّوه منها كان مردودا"<sup>2</sup>.

لذلك، كان مما تقتضيه حكمة الله البالغة أن يكون للآيات التي تخاطب المكّيين المشركين وتزل في شأنهم غالبا-ردّا وتنديدا وتوبيخا وإنذارا وتعريضا-طابع مغاير لطابع الآيات التي نزلت تخاطب المسلمين ومن حولهم ويعيشون معهم في المدينة، من اليهود والمنافقين.

فقد راعى القرآن الكريم خيال العرب، ولطف الحس فيهم، ورهافة أسماعهم، وما تميزوا به من وجدان يميل إلى الكلمة المؤثرة والقول الفني البليغ، " فإنّ ثلثي القرآن قد نزل في هذا العهد ( المكي ) وأنّ الأسلوب القرآني المكي هو أقوى وأنفذ من حيث النظم والإنذار والتبشير والترغيب والترهيب والحجاج والإفحام والإلزام"<sup>3</sup>.

ونظرا لكل هذا، وعلاوة على ما تعالجه الآيات المكية من مواضيع متنوعة، إلا أنّها تدخل ضمن الإطار العام لهدف الدعوة في مكة، وكان الأسلوب في أدائه لم يخالف في خصائص السياق ومقام الخطاب، و ما هو عليه المخاطبون من ميزات في الذوق والبيان، فجاء " الأسلوب موحيا،

<sup>1</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس، الجزء التاسع والعشرون، ص 3628.

<sup>2</sup> أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، ط 6، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1404هـ / 1983م، 21 / 112.

<sup>3</sup> محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص 34.

عميق الإيقاع، بالغ التأثير، حيث تشترك في أداء هذا الغرض كل خصائص التعبير، من البناء اللفظي والمؤثرات الموضوعية<sup>1</sup>.

لذلك كان للكلمة القرآنية - في زمانها ومكانها - الأثر الفعال في نفوس الناس، تضع في كل آن لبنة تعمل على تثبيت البناء الكامل للدين الإسلامي. فقد جاء الخطاب القرآني مراعيًا للنفس في أعماق المخاطب، وكل ما يوافق الأحوال والمقتضيات في العقل والذوق وما يحيط بهما من ظروف وملابسات، جعلته "بالغ التأثير في الأداء والصيغة، وتلك هي الذروة العليا من الفصاحة والبلاغة ومراعاة مقتضى الحال"<sup>2</sup>.

فإذا كان القرآن الكريم قد اتفق الفصحاء من العرب وعلماء البيان على علوّ درجته في بلاغة التعبير وفن القول، وأصبح المثال الذي يحتذى، والمنوال الذي عليه ينسجون في تحبيرهم، فهذا كاف في الرد على الذين يرحفون على القرآن بغير علم، وما يدفعهم إلى ذلك إلاّ زيف قلوبهم وعدم سلامة ذوقهم للبلاغة العربية أولاً، وروح البيان القرآني ثانياً، فقد اعتبروا ذلك التغير في الخصائص لتأثر محمد - صلى الله عليه وسلم - بالبيئة، وغرضهم من هذا أن يؤيدوا دعواهم بأنّ القرآن كلام محمد لا من كلام الله سبحانه وتعالى، و"كثيراً ما قذفهم جهلهم بأساليب القرآن التعبيرية وأنماطه البيانية إلى معان غير مقصودة كما وقعوا في ضروب من سوء الفهم لكثير من الآيات لأنهم ما عرفوا أسباب نزولها"<sup>3</sup>.

والخطأ الكبير الذي وقع فيه هؤلاء وغيرهم من المتنقصين من بلاغة الخطاب القرآني، هو اعتبارهم المسبق "أنّ القرآن الكريم كتاب كأيّ الكتب أو البحوث المؤلفة التي تعود عليها البشر، وبذلك لم يسلم نهجهم من السفاهة والإسفاف وأدى إلى نتائج غير موضوعية، نظراً لاستغرابهم أسلوب بيانه وطرز تعبيره، فغرب عن نظرهم الملابس الكامنة وراء ألفاظه في معظم المواضع"<sup>4</sup>. فلو سألوا أنفسهم كيف كان نزول هذا الكتاب؟ لكان في بحثهم عن الإجابة، ما فيه المسوّغ الكافي لأسلوبه الذي هو عليه. "فهل كانوا يريدون أن يسير القرآن على نمط واحد في الخطاب، وفي الأسلوب، فيخاطب الكافر المنكر المهاجم لله والمؤمنين بالأسلوب نفسه الذي يخاطب به المؤمنين

<sup>1</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الثالث، ج الحادي عشر، ص1745.

<sup>2</sup> عبد المعتم النمر، علوم القرآن، ط2، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، 1403هـ/1983م، ص93.

<sup>3</sup> أبو الأعلى المودودي، المرجع السابق، ص13.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص12.

الهادئين الوادعين ؟ .. و هل يطلب من القرآن أن يكون على وتيرة واحدة في الخطاب مهما يكن المخاطب أو يكن جوهه؟<sup>1</sup>. ذلك هو الجهل بعينه لأصل الكتاب وكيفية نزوله ولمواضيعه المتنوعة وهدفه الرئيسي، فحين يكون " الموضوع الرئيسي في السور المكية هو العقيدة يكون الأسلوب المناسب هو الحركة السريعة والنبض السريع ومخاطبة الوجدان؛ مكن العقيدة. وحين يكون الموضوع الرئيسي في السور المدنية هو التشريعات والتنظيمات، وبناء المجتمع المسلم... يكون الأسلوب المناسب والحركة المستأنية والمخاطبة العقلية التي تدع المجال للتدبر والتفكير، ومع ذلك فهو ليس ذلك الأسلوب العقلي الجاف الذي تستخدمه البحوث العلمية"<sup>2</sup>.

وعليه، فإن هدف هذا المبحث ليس حصر واستقراء تلك الخصائص موضوعية كانت أو أسلوبية، لأن ذلك متروك للمباحث التالية التي تجيب عن ذلك بتوضيح قوامه التحليل والإحصاء والاستقراء، بقدر ما هو بيان موجز يوضح قضية هامة يجب أن تُراعى في النظر في كتاب الله تعالى، وهذه القضية تقوم على أساسين متلازمين، ويمكن القول أن بينهما تلازماً منطقياً وهما:

**أولهما:** أن القرآن الكريم مابين للكتب السماوية السابقة، في كيفية نزوله؛ فقد نُزل منجماً، آيات آيات أو سورة سورة، مسائراً للدعوة منذ بعثة النبي ﷺ إلى أن أتم الله تعالى دينه القويم. وهذا التزول مرهون بأسباب ومقتضيات وأحداث في غالب آيات الكتاب الكريم، وما الاهتمام الذي أولاه بعض الصحابة لأسباب التزول وعلماء المسلمين من بعدهم، إلا ما يشير بوضوح إلى أهمية وقيمة علم أسباب التزول وعلاقته الوثيقة بعلم التفسير والسيرة النبوية الشريفة وهو ما يقترّب من نظرية " سياق الحال " في الدراسات اللغوية المعاصرة<sup>3</sup>.

**ثانيهما:** إذا كان التزول القرآني يواكب سير الدعوة التي بدأت تنمو وتنشأ في مكة إلى أن استقام عودها، واشتدت شوكتها في المدينة بنصر المسلمين، وفتحهم الأعظم. وإذا كانت مقتضيات الدعوة ووقائعها في مكة قبل الهجرة، غيرها في المدينة، وأن المخاطبين في مكة، ليسوا هم أنفسهم في المدينة، بنفس الخصائص النفسية والاجتماعية والثقافية، فذلك يستلزم أن يكون الخطاب القرآني متنوعاً بما يناسب الحال لدى المخاطبين، وحال المجتمع برمته وأن " يترتب على تغيّر أوضاع الحياة

<sup>1</sup> عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص77.

<sup>2</sup> محمد قطب، دراسات قرآنية، ط 3، بيروت، دار الشروق، 1402هـ/1982م، ص20.

<sup>3</sup> محمود سليمان بافوت، علم الحمل لغوي. المعاني والبيان والبيوع، د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995. 685/2.

بتغيير دار الترتيل تغيير أسلوب الآيات و موضوعاتها<sup>1</sup>، حتى أصبح للآيات التي نزلت في العهد المكّي مميزات تميزها عن الآيات التي نزلت بالمدينة بعد الهجرة.

ولعلّ شواهد متعددة في تراثنا الأدبي تتصل بقضية " الحدث والموقف"<sup>2</sup>، أي أثر الظرف الاجتماعي أو "الموقف" في تحديد الصيغ وتشكيل الأساليب. فقد ذكر صاحب البيان والتبيين تلك المقولة المشهورة في صحيفة "بشر بن المعتمر" والتي لها صلة بما سبق بيانه وهي قوله: " .. وإتّما مدار الشرف على الصواب مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"<sup>3</sup>.

إذن، فإنّ مراعاة الموقف وحال المقول لهم، هو ما يندرج تحت المصطلح البلاغي القديم "مقتضى الحال" الذي أدرك أهميته علماء اللغة قديماً وأشاروا إلى دوره في الحدث اللغوي، "إلا أنّ الفضل في إعادة الحياة إلى هذه الفكرة يعود إلى "فيرث" الذي صاغ منها نظرية علمية قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء"<sup>4</sup>.

فالموضوع، و السلوك الاجتماعي والإطار الخطابي؛ كلها عوامل خارجة عن نطاق اللغة، ولكنها أساسية بالنسبة للتنظيم البنائي للثقافة التي تستخدم اللغة، لأنّ "الموقف وطبيعة القول و موضوعه سوف يفرض بالضرورة أداء يختلف عن أداء"<sup>5</sup>.

و ذلك ما ينطبق على أسلوب القرآن الكريم في غالبه، إذا حُكّم الذوق البلاغي مع الإمام بالتراث اللغوي ومستوياته بما لهما من صلة بالحدث اللغوي كسياق الحال لتحديد بيئة الكلام المدروس؛ البيئة الاجتماعية أو الثقافية أو النفسية التي تحتضن اللغة المراد دراستها. ولعل ذلك ما يفسّر "طبيعة التعبير القرآني، وعلاقته بتاريخية الدعوة، وصلته بطبيعة التدين، وهي كلها مما ينبغي أن يلاحظه المفسّر، ويقيم له في عمله التفسيري مكاناً"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أحمد عادل كمال، المرجع السابق، ص 67.

<sup>2</sup> رجاء عيد، البحث الأسلوبي، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1993 م، ص 108.

<sup>3</sup> المحافظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط 4، بيروت، دار الفكر، د.ت، 136/1.

<sup>4</sup> حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995 م، ص 132.

<sup>5</sup> رجاء عيد، المرجع السابق، ص 49.

<sup>6</sup> السيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1968 م، ص 117.



وذلك - أيضا- ما يجعل قضية المكي والمدني في سور القرآن وآياته تقوم على أساس لا يقبل الرد أو الاستهانة بأهميته في علوم القرآن، مما يدعو إلى إعادة النظر في هذه القضية، إمّا من حيث الأسس والضوابط، أو من حيث المعنى الاصطلاحي لكل منهما.

## ثانيا- القرآن الكريم بين المصطلح المكي والمدني

### 1- المعنى الاصطلاحي للمكي والمدني من القرآن الكريم

قد حظي القرآن الكريم بعناية بالغة، لم يحظ بها كتاب سماوي من قبل أيام النزول، لأنّ الذين تلقوه من صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تعلقوا به تعلقا كبيرا؛ حتى خامر الباهم، فكبروا على حفظه ومدارسته ومواكبة نزوله مواكبة لا تعرف الكلل أو الانقطاع.

و ليس أدلّ على ذلك، من تتبعهم الدقيق لمكان وزمان نزول الآيات. فهناك من أعلام الصحابة من ضبطوا منازل القرآن آية آية، ضبطا روعي فيه تحديد المكان والزمان وحتى الأشخاص، ومما روي في ذلك، ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود-رضي الله عنه- أنّه قال: " والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلاّ أنا أعلم ما أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"<sup>1</sup>، وسئل عكرمة عن آية من القرآن فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل<sup>2</sup>.

ذلك ما يبين بوضوح حرص المسلمين من الرعيل الأول بالكتاب الكريم، والجهد الكبير الذي بذلوه في تتبع منازل الوحي والوقوف على أسبابه في جميع مراحلها.

هذا، وقد اعتنى العلماء المسلمون أيضا عناية فائقة بهذا الكتاب العظيم فعرفوا وسجلوا دقائق غريبة عنه، ومن جملة ما اهتموا به من علوم القرآن جانب المكي والمدني فيه، لأنه جانب خليق بالعناية البالغة التي أحيط بها، وجدير أن يُعد بحق منطلق العلماء لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية، و"التعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف والتطلع إلى مدى تجاوبها مع البيئة العربية في مكة والمدينة، وفي البادية والحاضرة، والوقوف على أساليبها المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الجامع الصحيح، (كتاب فضائل القرآن، باب الفراء من أصحاب النبي (ص)، حديث رقم: 4716)، 4/1912. وانظر: صحيح مسلم، (كتاب فضائل الصحابة، باب عبد الله بن مسعود، حديث رقم: 2463)، تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد فواد عبد الباقي، ط2، بيروت-لبنان، دارا لثراث العربي، 1972م، 4/1913.

<sup>2</sup> الإمتان 12/1.

<sup>3</sup> صحيحي الفتح، المرحع السابق، ص167.



فوصف السورة أنها مكية أو مدنية، جعل علماء القرآن يقعون في مجموعة من الاضطرابات المفهومية، خاصة فيما يرتبط بالحدود الفاصلة بين ما هو مكّي وما هو مدني، سواء من حيث المضمون أم من حيث البناء و التركيب. وهذا الاضطراب يعزى إلى اختلافهم حول تحديد المعنى الاصطلاحي للمكي والمدني، وهو ما يتلخص -على المشهور في مصنفات علوم القرآن<sup>1</sup>- في ثلاثة اعتبارات أو معايير اعتمدت في معرفة المكي والمدني من القرآن. وهي كما يأتي:

**الأول:** وهو ما يعول فيه على الناحية المكانية، فالمكي ما نزل بمكة ولو كان ذلك بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، "ويدخل في مكة ضواحيها كالمترّل بمعنى وعرفات والحديبية، وفي المدينة ضواحيها كالمترّل ببدر وأحد وسلع"<sup>2</sup> ويترتب على هذا القول حصيلتان:

الأولى: ما نزل ببيت المقدس أو بتبوك لا يدخل تحت القسمة<sup>3</sup>، فلا يسمى مكياً ولا مدنياً. فسورة "الفتح" نزلت بالسفر، وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [42] نزلت بتبوك.

الثانية: هي أنّ ما نزل بمكة بعد الهجرة يعتبر مكياً، وبالتالي فإن عدم الضبط في التقسيم يكون قد ترك واسطة لا تدخل فيما يذكر من الأقسام، لعدم ثنائية القسمة وحصرها، و"ذلك عيب يجل بالمقصود الأول من التقسيم، وهو الضبط والحصر"<sup>4</sup>.

**الثاني:** أنّ المكي ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة وهو معيار اعتُبر فيه المخاطبون وذلك بغض النظر عن المكان أو الزمان الذي وقع فيه التروّل، بناء على أنّ ما في القرآن من قوله تعالى "يا أيها الناس" مكّي وما فيه قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا" مدني. ولم يسلم هذا الرأي من عيوب في التقسيم، تلخص في أمرين: أحدهما ما رُدَّ على سابقه أنه غير ضابط ولا حاصر، فإنّ في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما، نحو قوله تعالى في فاتحة سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ونحو قوله تعالى في سورة (المنافقون) ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [1]، وأن أكثر سور القرآن لم تفتح بأحد

<sup>1</sup> انظر: الإتيان 12/1، والزركشي، الرهان في علوم القرآن، د.ط، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت، 187/1.

<sup>2</sup> الإتيان 12/1.

<sup>3</sup> نفس المكان.

<sup>4</sup> مناهل العرفان 186/1.

الخطابين. ثانيهما: أن هذا التقسيم غير مطّرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين، بل إن هناك آيات مدنية صُدّرت بصيغة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وهناك آيات مكية صُدّرت بصيغة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، فمن المثال الأول سورة النساء فهي مدنية وأولها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾، وسورة البقرة مدنية، وفيها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ [21]، فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك، فهو صحيح<sup>1</sup>، "ولكن قيّد الغالبية المراد، لا يحقق الضبط والحصر، وإن حقق الاطراد"<sup>2</sup>.

الثالث: المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم يسافر من الأسفار، وعلق على ذلك السيوطي بقوله: " وهذا أئسر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً"<sup>3</sup>، وكما يلاحظ في هذا المعيار أن المعول فيه هو الناحية الزمانية، وهو ما اعتمده كثير من العلماء والباحثين واشتهر بينهم؛ لأنهم رأوا فيه التقسيم الصحيح السليم، و" لأنه ضابط حاصر ومطّرد لا يختلف، بخلاف سابقه"<sup>4</sup>.

ووجه الترجيح لهذا الرأي أو هذا الاصطلاح، يأتي من حيث أنه ينتظم كل ما نزل سواء أكان بمكة أم بالمدينة أم غيرها، كالجحفة<sup>5</sup>، والطائف، وبيت المقدس، والمدينة، ومنى وعرفات، وتبوك، وبدر وأحد وحراء، وأيضا لأنه يحل مشكلة الآيات التي وقعت خطابا لغير أهل مكة والمدينة، حين يخاطب الناس جميعا تحقيقا لعالمية الدعوة الإسلامية، ذلك لأن "عهد الهجرة يمثل عهدا جديدا في تاريخ الدعوة الإسلامية ظهرت آثارها في الوحي نفسه إذ كان الوحي المكي يعالج مشكلة العقيدة و ما لابسها من اضطراب، جاهدا أن يصفياها مما شأها من أخلاط بعيدة عن الفطرة السليمة... أما الوحي المدني فإنه يخطّط حياة تشريعية عملية تحقّق الرفاهية للإنسان وتضمن لحياته الاستقرار و الأمن"<sup>6</sup>. وذلك ما استحسنه وأطمأن إليه صبحي الصالح وراه رأيا "وثيق الصلة بالتاريخ.. فإن الأطوار المتعاقبة تفرض أن يكون اختيار الترتيب الزمني أمرا بديهيلا لا مجال للتردد فيه"<sup>7</sup>، ثم يستطرد فيقول: " وبهذا المنهج التاريخي الزمني، الذي لا يتغاضى عن الآفاق النفسية والأطوار الاجتماعية، ولا يتجاهل أئسر

<sup>1</sup> البرهان 190/1.

<sup>2</sup> الزرقاني، المرجع السابق، 187/1.

<sup>3</sup> الإقتان، 12/1.

<sup>4</sup> الزرقاني، المرجع السابق، 187/1.

<sup>5</sup> هي قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، انظر: الزركشي، البرهان 197/1.

<sup>6</sup> السيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، ص 17.

<sup>7</sup> مساحت في علوم القرآن، ص 169.

البيعة في الحياة والأحياء، أخذ المحققون من علمائنا وشددوا في مأخذهم به حتى منعوا الجاهل بمراحل الدعوة الإسلامية أن يتصدى لكتاب الله مُفسراً لآياته أو خائضاً فيه.<sup>1</sup>

وإذا كان الاصطلاح الأول قد اعتُبر فيه المكان، والاصطلاح الثاني قد اعتُبر فيه الأشخاص المخاطبين، فإن الاصطلاح الثالث قد عني فيه بالترتيب الزمني في مراحل الدعوة الإسلامية، وهو ما يتضمن أيضاً عنصراً رابعاً وهو عنصر الموضوع أو المضمون، لأن كل مرحلة من مراحل الدعوة، لها موضوعاتها الخاصة بها، وذلك تبعاً لأسلوب الوحي الحكيم في نهجه لبناء صرح هذا الدين في النفس والواقع، ولنهجه المتدرج في خطوات متصاعدة، كل خطوة تقوم على سابقتها- كما سبق بيان ذلك في المبحث السابق- وليس أدل على ذلك إلا ما يجده المتصفح لمباحث علوم القرآن وكتب التفسير بالمأثور من جزئيات قد انتبهوا إليها لما لها من صلة روعي فيها الموضوع أو الطابع العام الذي تميزت به كل مرحلة من مراحل الدعوة في مكة والمدينة؛ لذلك أدرجوا فرعيات تدخل تحت مبحث المكي والمدني، رأوا فيها ما يعينهم على التثبت الدقيق في تصنيف الآيات أو ترتيبها وفق الملابس والأحوال و القرائن التي تصاحبها في سياق الموضوع، كاستقصاء ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، ثم الآيات المدنية في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية.<sup>2</sup>

لذلك، فليس بوسع المرء إلا أن يشهد لأولئك العلماء بما بذلوه من عناية فائقة من التحري والتدقيق في آيات القرآن الكريم، غير مكثفين في ذلك، بما توفر لديهم من الروايات، وإنما أعملوا عقولهم عن طريق الاستقصاء والاستقراء، والتفطن لجانب السيرة النبوية كهادٍ يسترشدون به في الدراسة والتمحيص في مثل هذا المبحث الواسع والشائك.

وبهذا يكون الاصطلاح الذي مال إليه جمهور الباحثين أو العلماء<sup>3</sup> هو الاصطلاح القائم على الاعتبار الزمني، لما له من مبررات تاريخية وموضوعية توافق نهج الدعوة الإسلامية في سيرها العقائدي

<sup>1</sup> صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص 169.

<sup>2</sup> الإتيان 15/1، و البرهان 192/1.

<sup>3</sup> انظر: السيوطي في الإتيان 12/1، والزركنشي في البرهان 187/1، الزرقاني في مناهل العرفان 188/1، و صبحي الصالح في مباحث علوم القرآن، ص 168، و مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط 8، بيروت مؤسسة الرسالة، 1401 هـ/ 1981 م، ص 61، والسيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، ص 17، يوسف خليل، دراسات في علوم القرآن، ص 58، محمد الزفراف، التعريف بالقرآن والحديث، ط 4، الكويت، مكتبة الفلاح، 1404 هـ/ 1984 م، ص 66، أحمد عادل كمال، علوم القرآن، ص 69.

والتشريعي وفق هدف مرسوم، هو كمال الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله تعالى للخلق أجمعين، وعليه، فآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3] مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع، وكذلك آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58] فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في حوف الكعبة عام الفتح الأعظم.<sup>1</sup>

ويشمل ذلك أيضا ما نزل بأسفاره - عليه الصلاة والسلام - كفاتحة سورة الأنفال وقد نزلت ببدر، فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور.

لكن هذا الاصطلاح باعتبار الآيات، أما باعتبار السور فتعتبر السورة مكية أو مدنية، تبعاً لما يُغلب عليها، أو تبعاً لفاتحتها. فقد ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه "إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كُتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء"<sup>2</sup>، فقد يكون في المكية بعض آيات مدنية، وفي المدنية بعض آيات مكية، وكأن الوصف لا يشمل السورة بأجمعها، وإنما هو وصف أغلبي حسب أكثر آياتها، ولذا يرد في التسمية: سورة كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية، وسورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية، كما يُذكر ذلك في المصاحف وفي بعض كتب التفسير ومباحث علوم القرآن<sup>3</sup> التي تعرضت لإحصاء الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، وإن كان هناك بعض من سور القرآن، كل آياتها مكية<sup>4</sup> مثل سورة "المدثر"، وهناك من السور كل آياتها مدنية<sup>5</sup>، مثل سورة "آل عمران".

لذلك كان من الأنسب بالاصطلاح المشهور في معنى المكّي والمدني أن يقال: إذا نزلت فاتحة سورة قبل الهجرة كُتبت مكية، وإذا نزلت فاتحة سورة بعد الهجرة كُتبت مدنية ثم يُذكر المستثنى من تلك السور إن كان هناك استثناء<sup>6</sup>، وكأن بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت

<sup>1</sup> الإيقان 23/1، والرهان 188/1.

<sup>2</sup> الإيقان 14/1.

<sup>3</sup> انظر: الإيقان 19/1-20، والرهان 199/1، 202، ومتاع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص55.

<sup>4</sup> الإيقان 32/1.

<sup>5</sup> المصدر نفسه 34/1.

<sup>6</sup> مصدر التعريف 192/1.

وكذا ما ذكره السيوطي نقلا عن ابن الحصار: أن كل نوع من المكى والمدني منه آيات مستثناة، إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل<sup>1</sup>، لكن هذا الاستثناء القائم على الاجتهاد كان من ناحية استقراء الموضوع في المكى والمدني من القرآن الكريم، ما لاحظوه من صلة الفصول القرآنية بالسيرة والبيئة النبوية. فهذا ابن حجر العسقلاني يقول: "قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية. وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادرا"<sup>2</sup>.

وهذا ما يوحي بوضوح إلى القول أن ابن حجر قد استقرأ ما ألحق من الآيات المكية بالسور المدنية، أي الآيات التي نزلت بمكة قبل الهجرة، فوجدها قليلة بالقياس إلى الآيات المدنية الملحقه بالسور المكية، وأن استقراءه هذا، يوافق المعنى الاصطلاحي المشهور القائم على اعتبار الزمن في نزول الآيات، والذي يساير التطور التاريخي المتدرج للسيرة النبوية، من المنشأ إلى القوة ثم إلى التكوين والتمكين.

ويحصل من ذلك كله، أن الاصطلاح الذي أخذ به في معنى المكى والمدني ليس حاصرا بالمعنى الدقيق، وإن كان يحقق معناه إذا نُظر فيه من ناحية الأغلب والأوسع والأعم، وذلك ما اكتفى به العلماء لما لم يجدوا اصطلاحا آخر أدق منه وأشمل وأكثر توافقا مع طبيعة القرآن في كيفية نزوله، ونهجه في بناء هذا الدين والتمكين له ومسائرته للسيرة النبوية.

لذلك، فكّر بعض العلماء والباحثين في حيثيات أخرى تميز بها الآيات المكية عن المدنية، لا تُناقض الاصطلاح الزمني المعتمد، وإنما تدعمه وتؤكدده وتوسّع مدى صلاحيته في التقسيم الثنائي لسور القرآن الكريم وتناهى به عن فوضى الروايات، و التمثل والارتجال اللذين لا يقومان على أساس متين أو سندٍ ركين. فما يُستثنى من السور المكية من آيات مدنية، وما يُستثنى من السور المدنية من آيات مكية، كل ذلك يستدعي البحث عن مسوغات المزج بين النوعين في السورة الواحدة، وكذا اختلاف الروايات حول نوع السورة ذاتها أهى من المكى أم المدني، وهنا يتدخل الاجتهاد في وضع ضوابط موضوعية و بيانية لتفريق بين المكى والمدني، وذلك بعد التأمل الدقيق لآياته ومعانيه، والدراسة المتفحصه القائمة على المقارنة والموازنة بين الوحيين؛ وفي ذلك ما يعين على الوصول إلى

<sup>1</sup> الإيضاح 19/19.

<sup>2</sup> ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار تأليف التراث، دار، بيروت، لبنان، دار المعرفة، دار، 41/9.

نتائج قد تعتبر كمقاييس يُعتدّ بها في تسمية السورة، أو نسبة آية من الآيات إلى محلها من النوازل المكية أو المدنية.

## 2- ضوابط التقسيم بين مكّي القرآن ومدنيّه

نظرا لأهمية موضوع "المكي والمدني في القرآن الكريم"، ومدى اتساعه وتشعب أطرافه، وتشابك قضاياها بعض الشيء، لم يدع العلماء القدامى إشكالية في هذا الباب إلا ودققوا فيها ومحصوها غاية ما بلغوه من الجهد والطاقة في البحث والنقد، وكل ذلك يعزى إلى مدى تعلقهم بكتاب الله حفظا وفهما ودراية، وإخلاصهم في البحث ودأبهم الدائم لمحاولة إيجاد الإجابة الشافية لأي إشكالية قد تطرأ على بال المتصفح لكتاب الله تعالى.

فمن أهم الإشكاليات التي تنبه لها العلماء المسلمون والتي لها صلة بمسألة الاصطلاح في معنى المكي والمدني، هي الطرق الموصلة إلى معرفة المكي والمدني وأمارات التفريق بين المكي والمدني في سور القرآن الكريم. فقد ورد في كتب علوم القرآن، أن لمعرفة المكي والمدني طريقتين: سماعي وقياسي<sup>1</sup>، أما السماعي فالتنقل الصحيح عن الصحابة الذين شاهدوا مكان الوحي وعرفوا زمانه، أو التابعين الذين سمعوا وصف ذلك وتفصيله من الصحابة<sup>2</sup>، بأن سورة كذا أو آية كذا نزلت بمكة أو بالمدينة أو قبل الهجرة أو بعدها. أما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يرد عنه شيء في ذلك و"لو كان ذلك منه لظهر وانتشر وإتما لم يفعله لأنه لم يُؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة"<sup>3</sup>، وإما لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتزيل، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا<sup>4</sup>، وإذا كان كذلك، ساغ أن يُختلف في بعض القرآن هل هو مكّي أو مدنيّ، وأن يعملوا في القول بذلك ضربا من الرأي والاجتهاد وهو "القياسي" أي تلك الضوابط الكلية لمعرفة كل منهما، وهذه الضوابط مبناهما على التتبع والاستقراء المبني على الغالب والكثير عن طريق الاستنباط والتدوُّق للفنون والأساليب التي تضمنها القرآن في كل، كما توضحه الشواهد والأمثلة التي استقصاها علماء القرآن، مما يبين سمات غالبية أو قاطعة في كل من المكي والمدني.

<sup>1</sup> الاتقان 34/1، والرهان 189/1.

<sup>2</sup> انظر الاتقان 14/1، والرهان 191/1.

<sup>3</sup> الرهان 191/1، وانظر: الاتقان 12/1.

<sup>4</sup> مساهم العرفان 189/1.

لذلك، تحرّى العلماء في التعرّف على المكي والمدني بالاستناد إلى الرواية التاريخية التي لا يتطرق إليها الشك، ولم تكن محل اختلاف بين العلماء. غير أنّ ذلك مما لا يُتوصّل إليه في حلّ كلّ جزئيات المكي والمدني من القرآن الكريم، وكما هو معلوم أنّ سور القرآن لم تنزل جملة واحدة إلاّ قليلا منها، وإنّما أنزل القرآن آيات متفرقات بحسب المناسبات، وما تقتضيه الدعوة طيلة فترة الوحي كله، لكنّ "التاريخ لم يترك لنا أيّ سجّل كامل لأسباب النزول وتاريخه المضبوط؛ حتى الآيات التي نعرف أسباب نزولها وتاريخه تختلف فيها الآراء وتتعدد فيها الأقوال، ولا مجال فيها لغير الظن والترجيح"<sup>1</sup>.

فتعدد الروايات وتضاربها، ألزم العلماء اتّخاذ الحيطة والحذر، وإعادة النظر في تلك الروايات ووضعها على محك الاجتهاد؛ لأنّ المؤرخين وكتاب السيرة والجامعين لأسباب النزول، قد يذكرون للآيات حوادث تدل على أسباب نزولها، وعند البحث قد يكون ما ذكروه غير صحيح.<sup>2</sup> لهذا كان هذا الموضوع مثار جدل واختلاف بين العلماء كالذي ذكره السيوطي في إتقانه حول نسبة آية أو آيات من السورة إلى المكي أو المدني، وما اختلفوا في كونه مكيًا أو مدنيًا من سور القرآن الكريم، والتي قد خصص لها فصلا عنونه بـ "فصل تحرير السور المختلف فيها"<sup>3</sup> تناول فيه اثنتين وثلاثين سورة اختلف حولها العلماء أهي من المكي أم المدني، وهو اختلاف في حقيقة الأمر لا يقوم على ضوابط نقدية تُحكّم على أساس الموضوع أو الأسلوب الذي تضمنته السورة؛ إذ أنّ اجتهاد القدماء كان يتركز في الترجيح بين الروايات دون أن يتجاوز ذلك إلاّ قليلا إلى محاولة البحث عن خصائص فارقة إلى جانب المعيار الزمني و المعيار الموضوعي .

وقد ذكر كل من السيوطي والزرکشي في كتابيهما ضوابط كل من المكي والمدني<sup>4</sup> ، يمكن

تلخيصها كالآتي :

1- ضوابط المكي من القرآن:

- ما كان في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أو ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ فإنه مكي. وإن كان

ذلك قد يرد في السور المدنية، لكن المقصود فيه هو الأغلب.

<sup>1</sup> سيد قطب، مشاهد القيامة، ط7، بيروت، دار الشروق، 1403هـ/1983م، ص11.

<sup>2</sup> محمد الزرقاف، التعريف بالقرآن والحديث، ص66.

<sup>3</sup> الإختان 27-21/1.

<sup>4</sup> الإختان 34-33/1، و الثرمان 189/1.



- كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة.
- كل سورة أولها حرف تَهجّ سوى الزهراوين والرعد.
- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة.
- كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم الخالية فهي مكية.
- كل سورة فيها سجدة.
- كل سورة ذكرت فيها "كلاً".

## 2- ضوابط المدني من القرآن:

- ما كان في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فإنه مدني. وإن كان بعض السور المكية لا تخلو من ذلك.
- ما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة.
- كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية، سوى العنكبوت.

والملاحظ في هذه الضوابط أمور لا يخطئها الناظر الواعي لسور القرآن مكيها و مدنيها نوحها فيما يأتي:

أولاً: أهما ضوابط، لا تمثل أغلب الخصائص لمعرفة النوعين من سور القرآن، أي أهما جزئية ينقصها الاستقراء الواسع.

ثانياً: أن هذه الضوابط اقتضت على ناحية الفكرة و الموضوع في كل، وتفتقر إلى ضوابط لغوية، وما يتصل بذلك من أنواع الأساليب، وطرائق التراكيب، و التي بها أعجز القرآن العرب وكانت مناط البراعة والتحدي، لأنه ما من موضوع إلا ومعانيه قد صيغت وصبت في قالب من النظم يحملها، وأسلوب من البيان تودى به، لتبلغ إلى الآذان والقلوب. ومن ثم، فلا يمكن فصل أي لفظ عن معناه، ولا المقال عن المقام، كأن يستنبط من المضمون سماته دون مراعاة للسياق اللغوي، أو للناحية الشكلية التي تقوم بوظيفة الإبداع والتعبير عن القيم المعنوية، ولذا، فأى محاولة لسلخ العناصر البلاغية، وهي تشكّل الثوب للنص الأدبي ( = الشكل )، عن المضمون المتوارى في داخله، فإننا نصدّع بناء النص الأسلوبي برمته<sup>1</sup>، وخاصة إذا تعلق الأمر بنص القرآن الكريم الذي لا يماثله نصٌ

<sup>1</sup> سحر أبو حمدان، الإبداع في السلاعة العربية، ط1، بيروت، منشورات عويدات الدولية، 1991، ص 27.



في براعته المحكمة في ربط الشكل بالمضمون، أو ما يسمى بالوحدة العضوية التي لا يمكن الفصل بين أجزائها.

ثالثاً: أنها ضوابط غير معللة في أغلبها، فكل ظاهرة تكررت في القرآن إما في قسمه المكي أو المدني، تستدعي الوقوف عندها، لاستنباط الدلالات الممكنة لتعليل تلك الظاهرة، مع مراعاة السياق وحدود النص اللغوية، حتى لا يُشتط في التأويل، أو تحميل النص ما لا يحتمل.

رابعاً: لا يمكن الاعتماد على هذه الضوابط وحدها للفرقة بين المكي والمدني، فالوثائق التاريخية المتوفرة من أقوال الصحابة والتابعين غير كافية وغير حاسمة في نفس الوقت.

فإن عدم استفراغ الجهد في محاولة الإحاطة -عن طريق الإجهاد- بأغلب أمارات القرآن المكي أو المدني و التي تعني الضوابط المطردة في كل، ما صعب الأمر في القول الحاسم في تعيين سورة أهي مكية أم مدنية، ولا سيما السور المختلف فيها، كما هو مبين في كتب علوم القرآن،<sup>1</sup> وبعض مصنفات التفسير، ناهيك عن اختلافهم في تعيين الآيات المستثناة من بعض السور.

وقد حاول العلماء -اعتماداً على الروايات والأسانيد- أن يعينوا السور المكية والسور المدنية، فاختلّفوا في عدد كل من النوعين<sup>2</sup>. مع وجود اتفاق كامل على بعض السور المكية والسور المدنيّة وبقي الخلاف قائماً بين العلماء في تعيين بعض السور القرآنية التي لا تتجاوز بضع عشرة سورة،<sup>3</sup> وهي: الفاتحة، الرعد، الحج، الرحمن، الصف، التغابن، الإنسان، التطفيف، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص و المعوذتان. وقد ناقش السيوطي هذا الخلاف، ليحسم في تعيين هذه السور المختلف فيها، بناءً على الترجيح بين الروايات ووفق ما يراه صائباً في نظره أحياناً، أي أنه اجتهد لا يخرج عن نطاق الرواية والنقل، فهو في سورة (الرعد)، بعد أن يورد الروايات المختلفة في تعيينها أهي مكية أم مدنية يقول في آخر المطاف: "والذي يجمع به بين الاختلاف، أنها مكية إلا آيات منها"<sup>4</sup> وفي سورة (الرحمن) يخلص إلى القول: "أها مكية وهو الصواب"<sup>5</sup>، وعن سورة (الحديد) يقول: "الجمهور على أنها مدنية، وقال قوم: إنها مكية، ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً لكن يشبه

<sup>1</sup> انظر الإتيان 15 / 1، والرهان، 189 / 1، ومناهل العرفان 191 / 1.

<sup>2</sup> الإتيان 14-15 / 1، والرهان 194 / 1.

<sup>3</sup> انظر الإتيان 15-17 / 1، وقد اعتمد السيوطي في تعيين السور المتفق عليها والمختلف فيها على منظومة ابن الحصار في كتابه الناسخ والنسخ، ومن ذلك يفهم منه أن العلماء اتفقوا على مدنية 20 سورة.

<sup>4</sup> الإتيان 16 / 1.

<sup>5</sup> مس سكار .

صدرها أن يكون مكياً"<sup>1</sup>. وفي سورة ( المطففين ) بعد تنقله بين الروايات يميل إلى أنها مدنيّة، مستندا في ذلك إلى ما روي عن ابن عباس أنه قال: " لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحيث الناس كيلا، فأنزل الله ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ فأحسنوا الكيل"<sup>2</sup>، كما أنه رجّح أن تكون سورة (الإخلاص) مدنيّة<sup>3</sup>، دون أن يلحق ذلك بتعليل شافٍ لترجيحه هذا. وقوله في (المعوذتين): " المختار أنهما مدنيتان لأنهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم "<sup>4</sup>، وكذا، في باقي السور لم يجد السيوطي عن هذا النسق من التعيين أو الترجيح.

من ذلك، يُلاحظ أن صاحب الإتقان لم ينظر إلى النص القرآني، مستقرنا فاحصا للسمات والأمارات التي تنطوي عليها السورة من جانب اللغة والأسلوب وما يتضمنه من بنيات في التركيب والتنظيم، ونوع الألفاظ، وقصر الجمل و طولها، وإلى غير ذلك من الخصائص التي تتعلق بالشكل أو القيم التعبيرية في النص، وإنما اقتصر في اجتهاده للترجيح، على الروايات والأسانيد. وحتى الزركشي الذي اجتهد في حصر عدد السور المكّيّة، والسور المدنيّة، راداً إلى القسم المدني أكثر السور المختلف فيها وبذلك يكون عدد السور المكّيّة عنده خمسا وثمانين، بينما تكون السور المدنيّة تسعاً وعشرين، وهو في حصره هذا لا يستدل بشيء، ولم يبين الأساس أو المقياس الذي استند عليه في ذلك.

ومن المفسرين الذين أولوا مسألة المكّي والمدني عناية، ولو بشيء من التلميح والإيجاز، الزمخشري في كشافه، فهو قبل أن يشرع في تفسير أي سورة من القرآن، يذكر بنوع السورة على سبيل الترجيح كأن يقول في سورة ( الحج ): "إنها" مكّيّة، غير ست آيات وهي: هذان خصمان ... إلى قوله: إلى صراط الحميد "<sup>5</sup>. أو يذكر الخلاف دون ترجيح كقوله في سورة ( التغابن ): " مختلف

<sup>1</sup> الإتقان 17/1.

<sup>2</sup> نفسه 16/1.

<sup>3</sup> نفس المكان.

<sup>4</sup> نفس المكان. وليد بن الأعصم يقال عنه: أنه رجل من بني زريق حليف اليهود، وكان منافقا، ويقال أنه غلام يهودي كان يخدم رسول الله ﷺ، وهو الذي سحر النبي في مشط و مشاطة بإيعاز من اليهود. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، جديدة، منقحة، مصححة ومضبوطة، بيروت- لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ / 2000م، 4/ 2099.

<sup>5</sup> الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، ط3، بيروت، لبنان - دار الكتاب العربي: 1407هـ / 1987م، 3/ 141.

فيها" <sup>1</sup>، وقوله في سورة ( البينة ): "مكة، وقيل مدينة نزلت بعد ( الطلاق )" <sup>2</sup>، وقوله في سورة ( الزلزلة ) : "مدينة، وقيل مكة نزلت بعد ( ص )" <sup>3</sup>. ومثل ذلك في سورة القدر والإخلاص والمعوذتين <sup>4</sup>.

و الزمخشري في كل ذلك، كان من الذين تفتنوا إلى مسألة المكي والمدني، لكن باقتضاب لم ينهض على أساس أو يرق إلى التعليل أو الخروج برأي في كل سورة من سور القرآن الكريم، لكن هذا الجانب من علوم القرآن- المكي والمدني- لم يلق من صاحب الكشاف العناية الكاملة مع أنه جانب هام في التفسير، وخاصة في مثل ( الكشاف ) القائم على النهج اللغوي والتذوق البياني والبلاغي للقرآن الكريم.

أما في العصر الحديث، فهناك من المفسرين من تفتن وباهتمام كبير لهذه المسألة، كصاحب تفسير التحرير والتنوير، وسيد قطب في الظلال، وعائشة عبد الرحمن في تفسيرها البياني لسور من القرآن الكريم.

ففي تفسير- التحرير والتنوير- اهتمام بالغ بعلم المكي والمدني في سور القرآن. فمحمد الطاهر بن عاشور قبل أن يشرع في تفسير سورة من السور، وتبين مقاصدها وأغراضها، يتصدر ذلك بتمهيد فيه دراسة مركزة لغاية الوصول إلى بيان مكة السورة أو مدينتها وبعد الرجوع إلى مختلف الروايات والأسانيد وأقوال العلماء السلف وآرائهم فيها يأتي ترجيح صاحب التفسير المبني على مقاييس موضوعية ( مضامين السورة )، ومقاييس أخرى تتعلق بالنظم وما يندرج تحته من مباحث.

وللتدليل على منهجه هذا قوله في ترجيحه لسورة ( الرعد ) و الذهاب إلى أنها مكة خلافا لما عليه بعض المصاحف المعتمدة: "ومعانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكي من الاستدلال على الوحدانية وتقريع المشركين وتهديدهم. والأسباب التي أثار القول بأنها مدينة أخبار واهية... ولا مانع من أن تكون مكة ومن آياتها آيات نزلت بالمدينة وألحقت بها" <sup>5</sup>. وقوله في سورة ( الحج ): "...ويشبه أن يكون أولها نزل بمكة فإن في افتتاحها بـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ جارٍ على سنن فواتح

<sup>1</sup> الكشاف / 4 / 545.

<sup>2</sup> المصدر نفسه / 4 / 781.

<sup>3</sup> المصدر نفسه / 4 / 783.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، انظر: 4 / 780، 817، 820، 822.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د. ط. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982 م، الجزء الثالث عشر، ص 76.

السور المكية. وفي أساليب نظم كثير من آياتها ما يلائم أسلوب القرآن النازل بمكة<sup>1</sup>. وفي سورة (الإخلاص) تراه يحكم معيار المضمون كما في قوله: "والصحيح أنها مكية، فإنها جمعت أصل التوحيد وهو الأكثر فيما نزل من القرآن بمكة"<sup>2</sup>، و أحياناً يُحكّم معيار الأسلوب والمضمون معاً كقوله في ترجيح سورة (الإنسان): "و الأصح أنها مكية فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية ولا أحسب الباعث على عدّها في المدني إلا ما روي من أن آية ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [8] نزلت في إطعام علي بن أبي طالب بالمدينة مسكينا ليلة، ويتيما أخرى وأسيرا أخرى، ولم يكن للمسلمين أسرى بمكة حملا للفظ أسير على معنى أسير الحرب"<sup>3</sup>. وعلى هذا النسق سار محمد الطاهر بن عاشور في سائر سور القرآن الكريم.

كما يتضح الاهتمام بالمكي والمدني جليا وبتعمق أكثر في إبراز الناحية الأسلوبية والموضوعية في كل، وذلك في تفسير (الظلال) لسيد قطب، فقد أخضع كل سورة للزمن التاريخي، ولخط سير الدعوة الإسلامية، مراعيًا مقتضى الحال في كل مرحلة من مراحلها.

ومن ذلك، يتبين لنا أن صاحب (الظلال)، لم يقدّم اجتهاده على الترجيح بين الروايات والأسانيد فحسب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، مستقرّاً فاحصاً روح كل سورة من سور القرآن، معوّلاً- في ترجيحه أو تعيينه لمكية السورة أو مدنيّتها- على نص السورة ذاتها. وبذلك كانت له رؤيته الخاصة في ترجيح كثير من السور- من حيث المكي والمدني- مخالفاً بذلك أغلب الروايات وما هو عليه كثير من المصاحف. ولبيان منهجه يجزئ في ذلك شواهد من تفسيره، توضّح مدى تعمق صاحبه في بحث جزئيات العلوم القرآنية التي لها صلة بتأويل آيات القرآن وتفسيرها، منطلقاً من إيمانه بأن كل محاولة للتفسير لا تجعل اللغة القرآنية منطلقها، هو انحراف بالنص القرآني عن مراميه وأبعاده التي وُجّه لها، لذلك جاء بحثه في المكي والمدني مبنياً على مقاييس أسلوبية، خاصة تلك السور التي تضاربت فيها الروايات على غير أساس من الاجتهاد ولا تتجاوز الروايات والأسانيد.

وأما السور التي جاء فيها صاحب الظلال برأي جديد يخالف أغلب المصاحف المعتمدة، هي السور المختلف في مكيتها ومدنيّتها والتي لعلها تكون نماذج توحز منهج الترجيح عند سيد قطب

<sup>1</sup> ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء السادس عشر، ص 180-181.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الجزء الثلاثون، ص 611.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: الجزء التاسع والعشرون، ص 370.

أو منتهجه في البحث فيما يتعلق بالمكي والمدني. ومن هذه السور المختلف فيها ، سورة الرعد، الحج، الرحمن، الزلزلة والبيّنة.

فسورة ( الرعد ) تعتبر مدنية في كثير من المصاحف؛ وقد عدّها الزركشي<sup>1</sup> من بين السور المدنية، أما سيد قطب فيذهب إلى أنّها مكيّة بقوله: " ومكيّة السورة شديدة الوضوح: سواء في طبيعة موضوعها، أو طريقة أدائها، أو في جوها العام، الذي لا يخطئ تنسّمه من يعيش فترة في ظلال القرآن"<sup>2</sup>.

وعلى هذا التسق كان ترجيحه لمكيّة سورة ( الحج )، لأن الطابع المكي يغلب عليها في الأسلوب والمضمون، ويوضح هذا بقوله: " والذي يغلب على السورة هو موضوعات السور المكيّة، وجو السور المكيّة، فموضوعات التوحيد، والتخويف من الساعة، وإثبات المبحث، وإنكار الشرك، ومشاهد القيامة، وآيات الله المبتوثة في صفحات الكون...والظلال الواضحة في جوّ السورة كلها في ظلال القوة والشدة والعنف والرّهبة، والتحذير و الترهيب واستحاشة مشاعر التقوى و الوجع والاستسلام...وتبدو هذه الظلال في المشاهد والأمثال"<sup>3</sup>. وقوله في سورة ( الرحمن ): " في روايات أنّها مدنية وفي روايات أنّها مكيّة، شأنها في هذا شأن سورة الرعد، وفيها الاختلاف ذاته، وقد اعتبرناها مكيّة عند الحديث عنها للأسباب ذاتها"<sup>4</sup>. وفي موضع آخر يذكر بعض تلك الأسباب التي تؤكد على مكيّة السورة فيقول: "هذه السورة المكيّة ذات نسق خاص ملحوظ... ورثة الإعلان تتجلى في بناء السورة كلّها، وفي إيقاع فواصلها .. تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويت إلى بعيد، كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لما يأتي بعد المطلع من أخبار"<sup>5</sup>.

وفي سورة ( الزلزلة ) يردّ ما ذهب إليه بعض الرواة ورجّحته بعض المصاحف على أنّها مدنية، مرجحاً الروايات التي تقول بمكيّتها ومعللاً ذلك بقوله: " لأن أسلوبها التعبيري وموضوعها يؤيدان هذا، إنّها هزة عنيفة للقلوب الغافلة، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد و الإيقاع اللفظي وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها، فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن و الجزء في بضع

<sup>1</sup> البرهان 1 / 194.

<sup>2</sup> في ظلال القرآن، المجلد الرابع، الجزء الثالث عشر، ص 2039.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: المجلد الرابع، الجزء السابع عشر، ص 2406.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: المجلد السادس، الجزء الأخير، ص 3443.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: المجلد السادس، الجزء الأخير، ص 3445.

فقرات قصارا! وهذا هو طابع الجزء كله<sup>1</sup>، يتمثل في هذه السورة تمثلا قوياً<sup>2</sup>. وفي سورة ( البينة ) يردّ القول-أيضا-بأنها مدنيّة، فيقول: " هذه السور معدودة في المصحف وفي أكثر الروايات أنها مدنيّة، وقد وردت بعض الروايات بمكّيتها، ومع رجحان مدنيّتها من ناحية الرواية، ومن ناحية أسلوب التعبير التقريري، فإن كونها مكّيّة لا يمكن استبعاده"<sup>3</sup>.

فمن ذلك كله، يبدو لنا واضحا، أن صاحب ( الظلال ) قد عايش القرآن الكريم، وتذوق بيانه الناصع، وأراد بذلك المنهج أن يرجع بالمفسّر إلى النص ذاته، ليحصر كدّه وجهده في تفهمه وتعمق معانيه ودلالاته وسماته المختلفة في اللفظ والمعنى و التركيب، ولا يقتصر في اجتهاده على ما تحمله الروايات التي لا يمكن الاعتماد عليها وحدها في الترجيح أو تعيين نوع السورة، أو في التفريق بين الوحيين، تفريقا عمليا تتمايز به الآيات المكّيّة عن المدنيّة.

وعلى نفس النهج سارت عائشة عبد الرحمن في مؤلفها ( التفسير البياني للقرآن الكريم )، متّبعة فيه الأسلوب التحليلي لتذوق العربية من منبعها الأصيل، وقد نال مبحث المكّي والمدني حظه من العناية في مؤلفها هذا، ويبدو ذلك في مستهل تفسير كل سورة، إما كانت من المتفق عليه أو المختلف فيه من حيث المكّي والمدني، فإذا عرضت - مثلا- لسورة من السور المتفق على مكّيتها أو مدنيّتها، فإنها تذكر بذلك في البداية ثم تأتي بما يؤكد نوعها ويعلّله، مثل قولها في سورة (التكاثر): " السورة مكية بلا خلاف...نزلت بعد الكوثر، ولا يخطئ الحس فيها سيطرة جو الوعيد والإنذار، يعتمد فيه البيان القرآني إلى الإيجاز الحاسم مع التأكيد الجازم، تقوية للردع وبلاغاً للوعيد"<sup>4</sup>. وإذا كانت السورة من المختلف فيها، رجّحت القول الذي تراه صائبا في نظرها وفق سمات الأسلوب وخصائص الموضوع في النص ذاته، متّبعة في ذلك المنهج الاستقرائي الملتزم بقولة السلف الصالح "القرآن يفسّر بعضه بعضا"، لفهم النص القرآني " فهما مستشفا لروح العربية ومزاجها، مستأنسة في كل لفظ، بل في كل حركة ونبرة، بأسلوب القرآن نفسه، محتكمة إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف، على هدى التبع الدقيق لمعجم ألفاظه، والتدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمل إلى إيجاء التعبير المعجز"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُقصد بالجزء هنا، الجزء الأخير من القرآن فإن أغلبه مكّي.

<sup>2</sup> المرجع السابق، المجلد السادس، الجزء الأخير، ص 3953.

<sup>3</sup> المرجع السابق: المجلد السادس، الجزء الأخير، ص 3947.

<sup>4</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط4، مصر، دار المعارف، 1394هـ/1974م، 1/195.

<sup>5</sup> نفس المكان.

فعلى ضوء ذلك، فإنها ترى في سورة (الزلزلة) - وهي من السور المختلف فيها- الرأي الذي يطابق ما ذهب إليه سيد قطب في نفس السورة، أن "السورة في وصف اليوم الآخر وهي مدنية مبكرة.. وثمة قول بأنها مكية، عن مجاهد وابن عباس، وعن الضحاك وعطاء. ومعروف أن عناية القرآن الكريم اتجهت في العهد المكي إلى تقرير أصول الدعوة وفي العهد المدني إلى التشريع وبيان الأحكام، ولا يعني هذا أن تخلو السور المكية من أحكام التشريع، ولا أن تخلو السور المدنية من أصول عامة للعقيدة مثل سورة الزلزلة التي نستأنس لها بنظائرها من السور المكية في اليوم الآخر مثل: الذاريات، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الغاشية، القارعة، التكاثر، العاديات، الفجر، النازعات، النبأ، المرسلات، القيامة، المعارج، الحاقة، الواقعة..."<sup>1</sup>، وإلى غير ذلك من السمات والظواهر الأسلوبية التي لاحظتها صاحبة التفسير البياني في هذه السورة يطول ذكرها في هذا المقام. وقد سارت على هذا المنوال من التحليل والاستنباط في السور الأخرى المختلف فيها من حيث المكي والمدني.

كما يعتمد محمد عزة دروزة المنهج نفسه في تصنيف السور، معتمدا على تاريخ السيرة النبوية وخصائص كل مرحلة من مراحل الدعوة، وعلى طابع الأسلوب في كل من المكي والمدني، ويتجلى ذلك في قوله: "أن من العسير معرفة تاريخ نزول السور والمجموعات القرآنية المكية معرفة صحيحة، وإن كان مما يخفف هذه الصعوبة بعض التخفيف ما هناك من روايات ماثورة لترتيب نزول السور، وما في مضامين السور والمجموعات من قرائن تلهم صحة كثير من هذه الروايات أو مقاربتها للصحة. ولذلك رأينا أن نسير في دراسة هذا العهد (المكي) ورسم صورته القرآنية على طريقة نلائم فيها بين ملاحظة الزمن ما وسعنا ذلك وبين جعل الدراسة والصور في نطاق مواضيع مستقلة"<sup>2</sup>، ويقسوم أيضا: "ومع أن من المحتمل أن تكون مجموعات من سورة ما- وخاصة من السور الطويلة - قد نزلت منفصلة عن مجموعاتها الأخرى، فإن مما يجدر التنبيه إليه أن مضامين ونظم السور القصيرة المسجوعة أوّلاً، وتلاحق الفصول في كثير من السور المتوسطة والكبرى غير المسجوعة ووحدة الموضوع فيها بوجه عام ثانياً، يمكن أن يُلهم أن حلّ السور المكية قد نزل جملة واحدة، كما يمكن أن يُلهم أن ما نزلت مجموعاته منفصلة منها قد تلاحقت دون أن يفصل بينها نزول مجموعات من سور

<sup>1</sup> عائشة عبد الرحمن: المرجع السابق، 79/1.

<sup>2</sup> سيرة الرسول ﷺ، صور مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية، ط1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،

1384م/1965م، 151/1.



أخرى؛ وهذا ما يضمن الفائدة المرجوة<sup>1</sup>. وعلى ضوء ذلك كان ترجيحه لبعض السور المختلف فيها قائما على مراعاة المضمون والزمن والأسلوب كقوله في سورة ( الحج ): " أكثر الروايات على أن سورة الحج مدنية، وبعضها يذكر أنها مكية، ولقد توصلنا في درسنا لفصول هذه السورة إلى أن أكثرها مكّي وأقلها مدنيّ، استنادا إلى أسلوبها ومضمونها"<sup>2</sup>، أما عن السور الأخرى فيقول: " الإخلاص والكوثر وقريش والعصر والعاديات والمطفون والفاثحة مما ورد أنها مدنيات؛ والجمهور على أنها مع الفلق والناس مكيات؛ وأسلوبها وروحها يلهمان ذلك أيضا"<sup>3</sup>.

كما أنه يُرجّح سورة (الزلزلة) و(الإنسان) و(الرعد) على أنها مكيات خلافا لما هو عليه في أكثر الروايات وجميع الترايب، وذلك لأسلوبها ومضامينها التي تشبه الأسلوب المكي أكثر مما تشبه الأسلوب المدني<sup>4</sup>، وهناك سور أخرى أخضعها لهذه المقاييس مثل سورة البيّنة والتغابن والصف والرحمن والحج والحديد، فيري أن هذه السور فيما ورد روايات تذهب إلى مكيتها، ولكن يقول عن الزلزلة والإنسان والرحمن والحج أنها تتحمّل الطابع المكي مع الرجحان<sup>5</sup>، أما البيّنة والتغابن فيقول: "يمكن أن تتحمّلاه ولكن مدنتيهما هي الراجحة"<sup>6</sup>.

ومن الباحثين في علوم القرآن الذين أعطوا-أيضا- لمسألة المكي والمدني حظًا من الدراسة المركّزة نجد صبحي الصالح، كقوله في سورة الرعد: "الأرجح أنها مكية فكرة وأسلوباً"<sup>7</sup>، ومن خلال هذه الدراسة التي أفاض فيها يتّضح لدينا أن صبحي الصالح قد أخضع هذه المسألة إلى اعتبارات موضوعية وأسلوبية وأيضاً زمانية كسابقه كما يتبين ذلك لاحقاً.

وحسبنا هذه الأمثلة من دراسات أولئك الأعلام قديماً وحديثاً في الدلالة على أن مسألة المكي والمدني في سور القرآن الكريم قد حظيت باهتمام وعناية واضحين، ولاسيما في دراسات المفسرين والباحثين المحدثين-الذين سبق ذكرهم-فقد عرفت إشكالية المكي والمدني لديهم لونا آخر أوسع من سابقهم، وكان اجتهادهم يقوم أساساً على استنطاق النصوص ذاتها بما تنطوي عليه من خصائص

<sup>1</sup> محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص151.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص153، بتصرف.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص153.

<sup>4</sup> نفس المكان.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص158.

<sup>6</sup> نفس المكان.

<sup>7</sup> مساحت في علوم القرآن، ص182.



وسمات في الموضوع والمضمون، وكذا استخدامهم الواضح لطرق المقارنة والاستقراء والاستقصاء ومراعاة السياق.

### 3- المعيار الأسلوبي إلى جانب المعيار الزمني

يظهر مما سبق أن الاعتماد على الرواية الصحيحة لم يكن متنافيا مع "إعمال الفكر والاجتهاد، ولاسيما في الموضوعات التي لا تكون فيها الرواية نصا صريحا، ولهذا الاجتهاد صور وأشكال متنوعة في مبحث المكي والمدني. فقد يقع الاختلاف في مكة بعض السور أو مدنيها، وفي استثناء آيات مكة من سورة مدنية أو آيات مدنية من سورة مكة... وفي الخصائص الأسلوبية أو الموضوعية لكل من المكي والمدني ثم لا يفصل في الاختلاف إلا بضرب من الاجتهاد"<sup>1</sup>.

ومن ثم، أخذ بعض الباحثين في مباحث علوم القرآن يجتهدون في مسائل وفروع هذا المبحث ( المكي والمدني )، بنظرة أوسع تقوم على الاستقراء الشامل للقرآن الكريم، ودراسة متأنية فاحصة لا تكتفي بالنظرة العجلى والأحكام المقتضبة، مما فسح المجال لإضافة الجديد إلى قضايا المكي والمدني، كالمبحث في الخصائص والسمات الموضوعية والأسلوبية، أو التفريقات وأصول التمايز بين الوحيين، انطلاقا من "التاريخ الذي يحدد الفترة الزمنية التي نزلت فيها الآية، ثم أسلوب القرآن نفسه وطريقته في بناء الجملة، وما أخذ به نفسه من الإيجاز اللآفت..ومما ينبغي اللفت إليه هو طريقة القرآن في اختيار الكلمات المعيرة عن البيئة نفسها، ومقوماتها وخصائص حياتها الاجتماعية..تفريقا ينهض على أساس من ملاحظة الأسلوب، وطريقة التركيب، ثم المضمون أو المعنى"<sup>2</sup>.

وإن من أسس التمايز بين الوحيين - المكي والمدني- التي لاحظها الباحثون في علوم القرآن، وسلطوا الضوء عليها، هو الأسلوب وطرق التعبير البيانية في كل من الخطاب المكي والمدني، لما نسوه من تباين في الأسلوب، وأن القرآن "لم يلتزم أسلوبا واحدا من أساليب الأداء. فقرآن مكة يمتاز بأن آياته أوفر عددا وأقصر جملا وأكثر التزاما لنغمات موسيقية معينة.. وأنها قوية اللهجة ذات تأثير خطابي يهز الأسماع والنفوس"<sup>3</sup>. كما اعتبر بعضهم أن تنوع الخطاب القرآني القائم على أساس مراعاة مقتضى حال المخاطبين، هو "المفتاح الذي دخل به العلماء لوضع ضوابط وشواهد يمكن ولو غالبا

<sup>1</sup> أصحى المصاحف، المرجع نفسه: ص178-179

<sup>2</sup> السيد أحمد حليل، دراسات في القرآن، ص22. وانظر: أحمد عادل كمال، علوم القرآن، ص67.

<sup>3</sup> محمد صبيح، بحث جديد عن القرآن الكريم، ط8، بيروت-دار الشروق، 1403هـ/ 1983م، ص120.

على أساسها- وبدون رواية- معرفة المكّي والمدني<sup>1</sup>، لأن بانتقال النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة- وهو ما اصطُح عليه بالهجرة النبوية- قد تغيّر جمهور المخاطبين الذين تُشكّلهم أربع طوائف وهم: المهاجرون الذين فرّوا بدينهم من مكة، والأنصار الذين دخلوا الإسلام من سكان المدينة الأصليين، والمنافقون؛ وهم الذين لم يسلموا من أهل المدينة، فأظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، ورابع هذه الطوائف هم اليهود.

وقد خاطب القرآن المدني هذه الطوائف كلّها، " فلا بد أن يتغير أسلوبه عن أسلوب القرآن المكّي، فقد كان اليهود أرقى من العرب عقلية، فهم أهل كتابة وأهل كتاب. كذلك انفسح المجال للتشريع الإسلامي فغاب السجع القصير من الآيات المدنية لأنه لا يناسب التشريع وإتّما كان يناسب التأثير الوجداني"<sup>2</sup>.

وعليه، فإنّ الدارس لعلوم القرآن يمكنه أن يلمس قضيتين هامتين لهما صلة بمسألة المكّي والمدني، وذلك باعتبارهما دليلين كاشفين عن علاقة النص القرآني بالواقع مكانا وزمانا وحتى الظروف والمناسبات والأشخاص المخاطبين وهما:

**أولاهما: علم أسباب النزول:** وهو علم أولى له علماء القرآن اهتماما بالغاً في مصنفاتهم لما له من أهمية في تفسير الآيات وإثبات الأحكام، وذلك لأنّ ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة، كل أولئك من دواعي تقرير الأشياء وسهولة استذكارها،<sup>3</sup> كما له صلة وثيقة بما يُعبّر عنه في علوم البلاغة بـ « مراعاة مقتضى الحال » لأنّ علم أسباب النزول يزودنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييداً أو رفضاً وتؤكد علاقة «الحوار» و«الجدل» بين النص والواقع<sup>4</sup>. وهذا ما يمكن به تحليل تباين النص المكّي عن النص المدني.

**ثانيتها: نزول القرآن مفارقاً:** وهي قضية تولى القرآن الكريم إيضاحها ردّاً على سؤال مشركي مكة الذين سألوا محمداً أن يتزلّ عليهم كتاباً من السماء لكن وجدوه خلاف تصوّرهم لإنزال الكتب السابقة التي أنزلت جملة واحدة، لذلك كان اعتراضهم على التنجيم نوعاً من التشكيك في مصدر

<sup>1</sup> عبد المعتم النمر، علوم القرآن، ص54.

<sup>2</sup> أحمد عادل كمال، المرجع السابق، ص67.

<sup>3</sup> الزركشي، البرهان 1/107.

<sup>4</sup> نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ط5، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000 م، ص98.

النص، فيقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان:32] أي أنزلناه كذلك مفرقاً لثِقْوَيَّ به قلبك<sup>1</sup> ويقصد قلب الرسول ﷺ، فإنه - عليه السلام - كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب؛ ففرق عليه ليسر عليه حفظه؛ بخلاف غيره من الأنبياء؛ فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة<sup>2</sup>. وعلى ذلك يمكن القول أن مراعاة حال المتلقي الأول ليست مجرد مراعاة لعوامل شخصية ذاتية بقدر ما هي مراعاة لحالة عامة يدخل فيها المتلقي الأول جنباً إلى جنب مع المخاطبين بالنص<sup>3</sup>، وإذا كان النص في نظر علماء القرآن يستجيب لأحوال المرسل إليه والمتلقي الأول للوحي، وهو مجرد وسيط «مبلغ»، فلا شك أن استجابته لأحوال المخاطبين بالنص تكون هي الأساس. "والفصل بين المتلقي الأول وبين المخاطبين فصل لا مبرر له على أية حال"<sup>4</sup>.

كما أن من حكمة نزول القرآن مفرقاً تذوق أساليبه و الاستفادة منها في أساليب الدعوة إلى الله، وفي مراعاة مقتضى الحال، وإن هذا الأخير من أخصر معاني البلاغة، إذ أن لكل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية موضوعاتها الخاصة وأساليب الخطاب المتميزة لكل مقام مقال، ويبدو هذا واضحاً جلياً في أساليب القرآن المختلفة بين مرحلتي مكة والمدينة.

ومن خلال ذلك نلمس وجه الحقيقة في روح القرآن الكريم وبلاغته المتمثلة في خطابه المكي والمدني. فتغير لون الأسلوب، كان تبعاً لتغير الخطاب والموضوع المتناول في الخطاب، وفي ذلك نرى قمة إعجاز القرآن؛ إذ أن أسلوب الإطناب في موضعه، وأسلوب الإيجاز في موضعه الذي يقتضيه، وهذا ما لفت انتباه الباحثين، فوقفوا عند هذه الظاهرة وهي ظاهرة الإيجاز والإطناب في القرآن، فلاحظوا أن الإيجاز سمة تكاد تكون مطردة في السور المكية، " فالآيات المكية قصيرة وموجزة، وكذلك السور، وإن تكن السور والآيات التي نزلت في أواخر المرحلة المكية تميل إلى الطول النسبي"<sup>5</sup>.

وإن خاصية الإيجاز، ترجع إلى حقيقة واقعية، هي أن القرشيين كانوا في مكة في ذروة القبائل العربية في الذكاء والألمعية والفصاحة والبلاغة والشرف والشجاعة فلا بدع "أن يخاطبهم القرآن

<sup>1</sup> البرهان 231/1.

<sup>2</sup> البرهان 231/1.

<sup>3</sup> حامد أبو زيد، المرجع السابق، ص98.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص99.

<sup>5</sup> يوسف حليف، دراسات في القرآن والحديث، ص66.

بالقصر من سوره وآياته رعاية لحق قانون البلاغة والبيان، ولا يقدح في مزايا المكين هذه بأنهم كانوا أميين لم يستتروا بثقافة المدنيين، فإن للثقافة والاستنارة ميدانا وللذكاء والتّمهّر في البيان ميدانا، وأهل المدينة لم يكونوا على استنارتهم ليبلغوا شأن قريش في تلك الخصائص والمزايا<sup>1</sup>.

ويقابل ذلك القصر والإيجاز في السور المكية، إطناب وإطالة في السور المدنية، بما أن "أهل المدينة لم يكونوا في درجة أهل مكة في البلاغة والفصاحة ولا سيما اليهود الذين كانوا يساكنوهم في المدينة، فكان الحال باعنا على الإطالة، والإطناب في مقام الإطناب لازم"<sup>2</sup>. ومقام السور المدنية كان النّظم التشريعية التي تقتضيها مصالح البشر في حياتهم على اختلاف الأزمنة والأمكنة، فالأحكام التشريعية "في وقتها وتفصيلها، وشروطها، وحدودها تحتاج إلى الأسلوب الطويل ليفي بوقائعها وأحوالها، وأعدادها، وأرقامها"<sup>3</sup>، كما كان منهم أهل كتاب درجوا على أن لا يستفيدوا إلا بالتطوير ولا يقتنعوا إلا ببسط الكلام<sup>4</sup>.

ولما كانت العقيدة قد شغلت مساحة كبيرة من التّريل المكي باعتبارها أساسا ضروريا لقيام هذا الدين وثبات أركانه، والتي قد ظلّ الخطاب يتكرر بشأنها ليملاً على القوم حياتهم، وتصيح رادعا قويا، ودرعا حاميا أمام أيّ انحراف، لإقناع العرب بالإسلام، ونقلهم من الوثنية إلى التوحيد؛ فإن التعبير أو الأسلوب الذي يلائم هذا المقام، هو "اللهجة الخطابية القوية النافذة إلى الأعماق والقارعة للأسماع والقلوب"<sup>5</sup>، وكل ما يلائم الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والتبشير والتحذير، وتأكيد الإيمان بالآخرة، وتلك الفواصل القصيرة، والإيقاعات الموسيقية المتباينة، التي تغلب على الأسلوب المكي.

لذلك كان من أهم ضوابط الآيات المكية وخصائصها الأسلوبية-إضافة إلى ما سبق بيانه- أن كلّ مقطع منها ينطوي على تعبير غاية في الروعة والمتانة والقوة بما يخاطب الطبيعة البشرية من الأعماق ويهزّها هزّاً، وهي آيات في قصرها وعذوبة ألفاظها وعجيب مبتهاها فإنّها تبهر النفس بمرآة وتسوق الحكيم المتذوّق من الناس إلى الإيمان سوقا وعن طواعية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن 210/1.

<sup>2</sup> محمد بن محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط1، القاهرة، مطبعة مكتبة السنة، 1416هـ/1996م، ص209.

<sup>3</sup> السيد أحمد عبد الغفار، القرآن الكريم تاريخه ولغته، ص96-97.

<sup>4</sup> الزرقاني، المرجع السابق 210/1.

<sup>5</sup> محمد عزة دروزة، القرآن المجيد، ص105.

<sup>6</sup> أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ط2، الجزائر، دار الشهاب، 1408هـ/1988م، ص60.

كما أن الآيات المكية تمتاز بقوة العارضة الجدلية، لأنها جاءت لمناقشة أهل مكة من المشركين في أصل الدين وهو التوحيد، كالذي يُلمس في سورة الأنعام ويونس والفرقان والعنكبوت وغيرها من السور، ولتأكيد أركان العقيدة، جاء بالقسم، بصيغه المختلفة، وبأغراضه البلاغية الأخرى التي توافق مقتضى حال نفسياتهم وما يعتقدونه عن الله تعالى، وملائكته، والبعث، واليوم الآخر، وما إلى ذلك من أمر العقيدة التي جادلهم فيها القرآن، ليردهم إلى العقل والمنطق والواقع. وقد حضرت إلى جانب ذلك كل وسائل التأكيد والإقناع البلاغية في القرآن المكي، لضرورتها وملاءمتها لمقام الجدل والبرهنة والاستدلال، ككثرة الاستفهام بأغراضه العديدة والمتباينة، والتكرار لغرض التأكيد والإلحاح ولفت الانتباه وإعمال الفكر والنظر والتدبر.

لذلك، كان مقام الترهيب والوعيد، قد تطلب أسلوباً حاداً قوياً، ككثرة "النذر المُقارعة، والتهديدات العنيفة وشيوع العبارات والصور التي تثير الرهبة والخوف وتقذف الرعب في القلوب، حتى لقد كان المشركون - على غلظة أكبادهم وقسوة أفئدتهم وحفاء طبعهم - يفرّون منها إذا تُتلى عليهم خوفاً وفزعاً ورعباً.. ومن هنا انتشرت كلمة (كلّاً) في الآيات المكية وترددت كثيراً<sup>1</sup>، وحضرت فيها "الألفاظ المتوهجة، يحمل كل حرف فيها لظى لا هوادة فيه ولا هدوء، تكشف عن شدة التحذير، وهول الوعيد في آن واحد"<sup>2</sup>.

وأيضاً، مما لا يمكن إغفاله من خصائص مكي القرآن الأسلوبية البارزة، هو السرد القصصي وضرب الأمثال بأحوال الغابرين، إنذاراً للمشركين بمثل العذاب الدنيوي الذي أصاب أولئك الأقوام المكذّبين من قبل من جهة، ومن جهة أخرى تسليّة النبي ﷺ على ما يلقاه من اضطهاد قومه له، وذلك بوصف ما لقيه إخوانه من الرسل والأنبياء عليهم السلام من قبل. وخاصة إذا عُلم أنّ القصص القرآني يمثل ثلث القرآن الكريم، وهذا ما يؤكد دور القصص الفعّال في تثبيت الدين في القلوب، في فترة زمنية هي المرحلة الأولى من سير الدعوة، أشدّ ما تكون في حاجة إلى تقوية العقيدة، والاستدلال على صحة ما يدعو إليه محمد ﷺ كالذي نبّأه في سورة الأعراف، وهود، والشعراء، والقصص.

وبما أنّ العهد المكي كان عهد الدعوة إلى التوحيد، وبناء العقيدة بأركانها كلّها؛ وهي أمور "تتصل بالعاطفة والوجدان؛ فالدعوة إليها والحثّ عليها يقتضيان الأسلوب الشعري القوي

<sup>1</sup> يوسف خليف، المرجع السابق، ص66.

<sup>2</sup> عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص96.

الموثق الفعال بالقلب بقصصه الواعظة، وحكمه البالغة، وأمثاله السامية ووعده الخالد، ووعيد المخيف، لذلك تجد أسلوبها قصير الآي، كثير السجع، رائع التشبيه<sup>1</sup>.

أما القرآن المدني فيعالج- في الغالب- تطبيق تلك العقيدة وذاك التصور، وحمل النفوس على الاضطلاع بأمانة العقيدة والشريعة في معترك الحياة<sup>2</sup>، لذلك اشتملت السور المدنية على أصول الأحكام من عبادات ومعاملات، فكان التعبير عنها يقتضي الأسلوب المحكم الجزل الهادئ؛ وهُدوء البيان يستلزم طول الجمل، وتفصيل الآي، ووضوح الغرض<sup>3</sup>. ففي المدينة وُضعت أنظمة الحياة الإسلامية، وفيها "احتك الإسلام بأهل الكتاب (اليهود) احتكاكا عنيفا فتحوّل الانقضاض على مشركي مكة وأهنتهم إلى نوع من الإرسال البرهاني، إذ كان القصد أخذهم بالحجة وإظهار بيانهم بالتدليل وأحيانا بالتقرير"<sup>4</sup>. كما أنه من الملاحظ في السور المدنية، أنها يغلب فيها الحديث عن السلوك الإنساني، وترشيد العلاقات الداخلية بين أفراد المجتمع، وبناء هذا الأخير على أسس الفضيلة والأخلاق الكريمة بأسلوب المعلم والمؤدب، إذ كانت العقيدة قد تمكنت من نفوسهم وآتت ثمارها، كما تناول علاقة الدولة بغيرها، ونظم المعاملات الاقتصادية والاجتماعية، ونظام الحرب والسلم.. وهي أمور لا تفي بها إلا الفواصل الطويلة والأسلوب الهادئ المسترسل.

وإذا كانت هناك سمات عامة وبارزة في السور المكية تميزها عن السور المدنية، إلا أن السور المكية تتفاوت في نفسها تفاوتاً يسيراً فكرةً وأسلوباً، ويُعزى ذلك إلى سير الدعوة المتدرّجة في خطاها الحكيمة، كما يقتضي ذلك المنطق والحكمة الرشيدة في تربية النفوس وإنارة العقول.

فقد كانت بدايات الوحي القرآني بسور المفصل التي أثّرت فيها قضايا العقيدة، من توحيد الله والوحي والساعة والبعث والجزاء، والجنة والنار.. إذ كان المقصود تحريك دواعي النظر والتدبير ونفت الانتباه، كالذي يُلاحظ في سورة العلق، والمدثر، والتكوير، والأعلى، والليل، والشرح، والعاديات، والفجر، وغيرها من السور القصار التي تعتبر من أوائل ما نزل من القرآن بمكة قبل الهجرة<sup>5</sup>؛ فهي تشترك في ميزات وخصائص في التعبير والأسلوب، كالتقصير في آياتها، وإيجازها الشديد، والحضور

<sup>1</sup> أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 29، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1985، ص 101.

<sup>2</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 6، الجزء الأخير، ص 3628.

<sup>3</sup> أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص 101.

<sup>4</sup> أنيس المقدسي، تطوّر الأساليب الشعرية في الأدب العربي، ط 7، بيروت، دار العلم للملايين، 1982، ص 50.

<sup>5</sup> الإتيان 14/1.

المكثف للقسم بمشاهد الكون، وكثرة صيغ الإنشاء التي زادها حرارة<sup>1</sup>، تبعث على التأثير، وتحريك الانفعال، كما يبرز فيها التنعيم الذي يسري في أحرفها المهموسة، والمجهرورة، والفواصل المتوزونة المقفاة، بإيقاعها الساحر الذي يستميل الأذن العربية في يسر وسهولة.

ولذلك ومراعاة لحال الدعوة وسيرها المتدرج من مرحلة إلى أخرى؛ كان الترتيل القرآني يواكب ذلك من حيث الأسلوب والمضمون. فبعد أن أثرت قضايا في أوائل الوحي دون تفصيل أو إسهاب في الوصف، نزلت سور فيها تفصيل بضرب الأدلة والبراهين ووصف حال المنعمين ونعيمهم، وحال الفجار وحجيمهم، حيث بدأت بعض السور تجنح إلى الطول نسبياً، وأيضاً الآيات، كما في سورة الحجر، والأنعام، والأعراف، فكان الأسلوب فيها إمتداداً لأسلوب المرحلة المكينة الأولى في الإيجاز، وحرارة التعبير، وتجانس المقاطع والفواصل، ووفرة التحسيم والتشخيص والتخييل، وكثرة الأصباغ والألوان واللوحات.<sup>2</sup> كما نجد ذلك في سورة القارعة، وعيس، والمرسلات، والقيامة، والبلد.. وغيرها من السور المكينة التي تشترك معها في نفس الخصائص والسمات.

ويلاحظ من بين سور القرآن المكي سور وكأنها تتوسط بطولها وحي مكة ووحى المدينة. للتمهيد بين يدي الوحي المدني الذي سيتعاقب على ما يجده من الوقائع بعد الهجرة. فالقضايا التي تناولتها هذه السور الطوال من الوحي المكي، تقتضي الطول، لبسط القول في أمر الدعوة والعمس الصالح، وتوضيح شؤون الغيب المتعلقة بذاته وصفاته سبحانه وتعالى، أو بالملائكة والجن، أو بالأنبياء والأولياء، وأمر الهداية والضلال، وقصص النبيين، ووحدة التوحيد في رسالاتهم، ولولا هذه القضايا المتصلة بالعقيدة، من الناحية الموضوعية، وتلك السمات والملامح التي جرى عليها أسلوب سور هذه المرحلة، والتي لا تخرج عن الضوابط العامة البارزة في أسلوب الخطاب القرآني في السور المكينة، لاستشعر القارئ جواً يشبه إلى حد قريب الشبه بالسور المدنية من الناحية الأسلوبية، لكن عند إعمال النظر الفاحص، والتذوق الواعي للأسلوب والنسج العام؛ سرعان ما يزول أثر النظرة العجلى، وهذا لا يتأتى إلا لمن رزق التذوق السليم للأساليب، واكتسب علماً بطرق التأليف والتركيب ومناسحي بلاغة القول وحسن البيان.

<sup>1</sup> صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص195.

<sup>2</sup> المرجع نفسه : ص209.



ومن تلك السور المكية التي تعتبر من أواخر ما نزل بمكة قبل الهجرة<sup>1</sup>، سورة الصافات، والزخرف، والدخان، الذاريات، والكهف، وإبراهيم، السجدة، والأنبياء، والمؤمنون، والحاثية.. وهي سور فيها من خصائص القرآن المكي، بقيت بارزة المعالم، واضحة السمات، ما يميّزها عن المدني، وإن تباينت في بعض الخصائص أو الضوابط بالنظر إلى السمات البارزة في سور المفصل أو ما يقاربه غير أنها حافظت على النسق الأسلوبي العام للقرآن المكي، وإن لم تنقيد بقصر الفقرات الرثانة، التي يكثر فيها السجع و الازدواج، أو إيقاع الفواصل المتقاربة، ولكنها كسور المفصل الأولى؛ "يسود فيها النفس الخطابي ونزعة الحمل على المقاومين أو المشركين، وقلما يعدل فيها إلى الأسلوب الجدي أو التشريعي الذي نراه في كثير من الآيات المدنية"<sup>2</sup>.

غير أن قصر معظم السور المكية وآياتها وطول معظم السور المدنية وآياتها لا يقطع الصلة بين قسَمي القرآن مكّيّه ومدنيّه ولا بين سور القرآن وآياته جميعاً، بل "الصلة موجودة بأجلّ معانيها كما يحسّها كل صاحب ذوق سليم في البلاغة والبيان فهي محكمة شائعة بين كافة أجزاء الترتيل، وقد افتن العلماء وأشبعوا الحديث عن هذه المناسبات وما جاءت الآية بعد الآية والسورة بعد السورة إلّا لما بينها من شدة ارتباط وأوثق صلة ونجد ذلك في غرضون التفاسير العديدة لكتاب الله"<sup>3</sup>، وهنا يكمن سرّ إعجاز القرآن الكريم.

وعلى هذه الصورة الرائعة تنوّع الأسلوب القرآني في المرحلتين المكية والمدنية تنوّعا يلائم وطبيعة الموضوعات التي تناولها القرآن في كلّ منهما وفقاً لما أراده الله سبحانه وتعالى، وما اقتضته حكمته البالغة، وإنّ التفرقة بين المكي والمدني في النص القرآني تفرقة بين مرحلتين هامّتين "ساهمتا في تشكيل النص سواء على مستوى المضمون أم على مستوى التركيب والبناء، وليس لذلك من دلالة سوى أنّ النص ثمره للتفاعل مع الواقع الحي التاريخي"<sup>4</sup>.

والقرآن في كلتا المرحلتين يمثّل قَمّة الإعجاز البياني، فترى الألفاظ مؤتلفة مع المعاني، والمعاني متّفقة مع الأغراض، اتّفاقاً دونه الفنّ والمنطق وليس فوقه إلّا قدرة الله<sup>5</sup>. لذلك، فحتّى وإن تعددت الضوابط أو المميزات التي تميّز مكي القرآن عن مدنيّه، من حيث الموضوع، فليس كالمخصّص البلاغية

<sup>1</sup> الإتيان 14/1.

<sup>2</sup> أنيس المقدسي، المرجع السابق، ص50.

<sup>3</sup> محمد الصادق قمحاوي، شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردّها، ط1، مصر، دار الأنوار للطباعة، 1389هـ/1978م، ص65.

<sup>4</sup> حامد أبو زيد، المرجع السابق، ص75.

<sup>5</sup> أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص101.



والأسلوبية في دلالتها ودقتها وشمولها من غيرها من الضوابط والسمات، لأن أغلب الضوابط التي يمكن أن تكون فارقة بين الوحيين ترجع أساسا إلى اللفظ والشكل أو إلى القيم التعبيرية بمعنى أوضح.

ومن ثمة، رأى بعض الباحثين من المتأخرين أن يضيفوا إلى ما ذكره الزركشي والسيوطي من الضوابط لكل من المكي والمدني، كثيرا من الضوابط الأسلوبية التي أغفلها الدارسون المتقدمون الذين كان تركيزهم ينحصر في دائرة المضمون في أغلب الضوابط التي ذكروها. ويمكن إجمال تلك الضوابط الأسلوبية في القرآن المكي والتي ركّز عليها كثير من الباحثين واعتبروها بارزة وحاسمة غالبا في التفريق بين الوحيين، أو في ترجيح سورة من السور المختلف فيها وهي كالاتي :

1- إن أغلب سور القرآن المكي ومجموعاته تنحو منحى التسجيع والتوازن والاتساق في الروي<sup>1</sup>. إذ أنّ «مراعاة الفاصلة»<sup>2</sup> يمكن أن تعدّ جزءا من الطبيعة اللغوية للغة التأثيرية-لغة الإنذار- فإنّها يمكن أن تُفسّر أيضا في ضوء تشابه آليات النص القرآني مع آليات النصوص الأخرى في الثقافة، وقد تنبّه القدماء لأهمية الفاصلة في القرآن بشكل عام.

2- قصر الآيات والسور وإيجازها وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتي<sup>3</sup>، وذلك في نظم خطابي يحرك العواطف ويحيي الشعور.

3- كثرة القَسَم جريا على أساليب العرب<sup>4</sup>.

4- أسلوب التكرار، إذ أنّ وصف مشاهد الحياة الأخروية وثوابها وعقابها والتبشير بما قد كثر وتكرر وتنوّع، كما كثر وتكرر وتنوع إيراد قصص الأنبياء وأقوامهم وآدم وإبليس، وذكر الملائكة والجن بإسهاب حيناً واقتضاب حيناً آخر<sup>5</sup>.

5- كثرة أسلوب الحثّ والحضّ والتشويق والتمثيل والوعد والجدل، فإنّ ذلك يوافق أسلوب الدعوة الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر: محمد عزة دروزة، سيرة الرسول ﷺ، ص149.

<sup>2</sup> انظر: حامد أبو زيد، مفهوم النص، ص80.

<sup>3</sup> انظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص183، وانظر: محمد عزة دروزة، سيرة الرسول ﷺ، ص149، وعائشة عبد الرحمن، التفسير البيان للقرآن الكريم، 79/1، وانظر: الزرقاني، مناهل العرفان، 196/1، وانظر: محمد الزفراف، التعريف بالقرآن والحديث، ص67.

<sup>4</sup> انظر: صبحي الصالح، المرجع السابق، ص183.

<sup>5</sup> انظر: محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص149.

<sup>6</sup> انظر: محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص149، وانظر: محمد الزفراف، التعريف بالقرآن والحديث، ص67.

6- إنَّ المشاهد التي احتوتها سور القرآن المكي ومجموعاته ومناسباتها تكاد تكون متشابهة دعوة وتقريراً ووصفاً وحكاية وجدلاً وإنذاراً وتبشيراً وقصصاً، وذلك لتشابه المخاطبين بالدعوة في عهدتها المكي، في العقائد والتقاليد والمواقف.<sup>1</sup>

وعليه كانت الحاجة إلى دراسة لغوية للقرآن المكي والمدني، وهذه الدراسة لا تتم بمعزل عن دراسة سياق النصوص انطلاقاً من مراعاة المعيار الزمني جنباً إلى جنب مع معيار النص ذاته من حيث مضمونه أم من حيث بناؤه وتركيبه.

وعلى هذا الأساس الأسلوبي قام إعجاز القرآن وعلى ضوئه ومع استلهام المضمون والسياق العام أو ربط النص بالواقع، يمكن للباحث أن يحلّ كثيراً من خلاقات القدماء حول المكي والمدني في سور القرآن الكريم. وما ذلك الاختلاف في الأسلوب بين السور المكية والسور المدنية إلا راجع أساساً إلى مطابقة الخطاب القرآني لحال كل منهما، وهذا ما تحاول الباحثة التالية تقريره وتأكيدُه عن طريق الوصف والتحليل لمكونات النص القرآني في خطابه المكي من حيث مستوياته الثلاثة: الصوتي، الصرفي والتركيبي.



<sup>1</sup> انظر: محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص 149 - 150.

إفصاحك الأول

في المستوى الصوتي

جامعة الأمير

العلوم الإسلامية

يرى ابن خلدون- في مقدمته- أن الأذن هي الوسيلة الطبيعية لكل ثقافة لغوية، بل هي خير وسيلة لإتقان اللغة وإجادتها ويتلخص هذا في عبارته الوجيزة: "السمع أبو الملكات اللسانية"<sup>1</sup>. وهذا إن صدق على لسان من الأمم، فإنه يصدق بحق وأكثر انطباقا على لغة العرب؛ لأنها لغة موسيقية وأنها انحدرت إلينا وقد اكتسبت هذه الصفة منذ أقدم عهودها أو أقدم نصوصها.<sup>2</sup>

وقد بحث إبراهيم أنيس عن تعليل موضوعي لهذه الظاهرة عند دارسي اللغة العربية، فلم يقف على رأي يرتاح إليه، إلا الرأي الذي رآه قريبا من واقع العرب التاريخي، رابطا بين هذه الخاصية الموسيقية وبين ما شاع لدى العرب القدماء من الأمية أو ندرة القراءة والكتابة، ويوضح ذلك بقوله: "وفي رأبي أن ظاهرة الموسيقى في اللغة العربية تعزى في أغلب عناصرها إلى تلك الأمية حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص للغوي. فاكتسبت تلك الآذان المران بالتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلام لحسن وقعه أو إيقاعه، وتأبى آخر لنبوءة، أو كما يعبر أهل الموسيقى نشاز"<sup>3</sup>.

ويريد أن يدل على ذلك، بأن المجتمع العربي قبل الإسلام ظلّ بضعة قرون يرعى تلك النهضة البيانية، ويعمل على ازدهارها، ولم يكن للشعر خلال هذه القرون إلا الصورة الصوتية، تتردد على الأسماع فتكتسبها المران وعادة التمييز بين الكلام المشتمل على الإيقاع والنغم.<sup>4</sup>

وأيا من الذين بحثوا ظاهرة الموسيقى والإيقاع في اللغة العربية، العقاد في كتابه "اللغة الشاعرة" الذي أظهر كثيرا من مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، ومن ذلك أنها لغة شعرية أي؛ مقبولة في السمع يستريح إليها السامع كما يستريح إلى النظم المرتل والكلم الموزون<sup>5</sup>، وكأنها في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء<sup>6</sup>. ويخلص في الأخير بقوله: "وأبلغ من كل ما تقدم في الإبانة عن معدن اللغة العربية وعن هذه الخاصة فيها أن أوزانها تتفق في كل ترتيل فصيح، ولو لم يكن شعرا مقصودا كما اتفقت في الآيات

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، ط2، بيروت، مكتبة المدرسة ودارا لكتاب اللباني للطباعة والنشر، 1979، ص1056-1057.

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط6، مصر، مكتبة الانجلو المصرية، 1991، ص195.

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس، المرجع نفسه، ص195.

<sup>4</sup> نفس المكان.

<sup>5</sup> عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، د.ط، بيروت، صيدا، منشورات المكتبة العصرية، د.ت، ص6.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص8.

الكثيرة من القرآن الكريم، وينبغي أن يؤمن المسلم وغير المسلم بأن القرآن الكريم لم يكن شعرا وما هو بقول شاعر كما جاء فيه، وكما جاء في كلام الرسول الذي أوحى إليه<sup>1</sup>.

فالبينة العربية على عراقتها في الأمية، كانت تعبر للأذن أهمية عظيمة وتؤثر العناصر الموسيقية من اللغة، وتنفي العناصر النابية وتتخلص منها، توخيا للانسجام في أصوات الكلام وحركاته ومقاضعه. كما تدلّ على ذلك الآثار الأدبية في العصر الجاهلي، إمّا كانت نظما، أو نثرا، والمتمثلة في الخطب والوصايا والأمثال وكلها قد أُلزِمَ فيها إلى حدّ كبير تردد أصوات بعينها في نهاية العبارات واجمل<sup>2</sup>. ومن ينعم النظر في الأمثال الجاهلية، يجد طائفة منها توفر لها ضروب من القيم التصويرية والموسيقية، وفيها أحيانا أخرى صقل وسجع وتنميق<sup>3</sup>. كما عنوا بأساليب الخطابة عناية بعيدة، وقد هدّتهم فطنهم إلى نمط جديد من الصيغ الصوتية، هو نمط الازدواج وما يطوى فيه من ترادف موسيقي، ودار هذا النمط على ألسنتهم<sup>4</sup>.

تلك العناية الواضحة بالناحية الصوتية وأسباب التأثير عن طريق الإيقاع والسنغم في اللفظ والعبارة، والتزام نظام القافية أو الفاصلة، وتردد الأصوات المتماثلة أو المتقاربة، وغير ذلك كثير وشواهد في الأدب العربي غزيرة جدا؛ مما يدل على حبّ العرب لهذا اللون من الموسيقية في الكلام، والمبالغة في التعبير والتحسين في الألفاظ والتراكيب، ليكون ذلك أوقع في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد<sup>5</sup>. وتتضح لنا هذه الحقيقة في توحيهم الألفاظ التي تخلو مما يُسمى بتنافر الحروف، وفي العبارات المسجوعة في أغلب أحوالها، تتردد في نهايتها أصوات منسجمة متشابهة فتملنك على العربي سمعه ويستمتع بإيقاعه، كما يحرص العربي على جرس الألفاظ وعنايته بما حسن منها أصواتا قبل عنايته بما حسن منها معنى<sup>6</sup>. وليس من تفسير واضح وقريب لتعليل سبب هذه العناية البالغة، إلاّ شيوع الأمية بين العرب التي كانت من "أبرز العوامل التي أكسبت اللغة تلك الموسيقية، ذلك لأنها نمت وازدهرت بعيدة عن قيود الكتابة معتمدة على الأذان والاسماع تتلقى عن طريق المشافهة، فكان

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 23-24.

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص 197.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط 5، مصر، دار المعارف، د.ت، ص 24.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 5.

<sup>5</sup> ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، د.ط، مصر، المكتبة العلمية، د.ت، 215/1-216.

<sup>6</sup> إبراهيم أنيس، "جهود علماء العرب في الدراسات الصوتية"، مجلة مجمع اللغة العربية، ج 15، القاهرة، 1962م، ص 41.

الأسماع قد خلصتها من كل ناب أو نشاز<sup>1</sup>. ومنه ظهر جليا في جميع آثار نثرهم وشعرهم آثار هذه الرغبة الملحة في استمالتهم الأسماع بجمال منطقتهم وخلابة ألسنتهم، وقد دفعتهم تلك الرغبة دفعا إلى تحسين كلامهم<sup>2</sup>.

غير أن القرآن الكريم- وهو المعجزة الكبرى للإسلام - لم يهمل هذه الفطرة عند العرب؛ فقد نزل في صورة نصوص لغوية ذات ألفاظ وعبارات وفواصل تتسم بتلك الموسيقى أو في الذروة منها ودعا المسلمين إلى ترتيله والاستظهار من آياته ما وسعتهم الحافظة<sup>3</sup>، فما من قارئ للقرآن إلا ويلاحظ بجلاء ووضوح ظاهرة ملفتة للتأمل والنظر، وهي ذلك التنوع في الإيقاع الموسيقي وزنا وجرسا، ونغما، ونبرات شديدة ولينة، تعلو وتهبط تساير المعنى وتعين على إبرازه، ويتواتر هذا كله، حتى لا يخفى على الناظر العادي في السور المكية التي شحنت ولأمر ما بطاقات صوتية وإيقاعية أكثر من قسيمتها المدنية. وإن كان في حقيقة الأمر، أن الموسيقى في القرآن جملة -مكية ومدنية- قد فاقت كل تأليف وأعجزت كل بليغ في اللحن اللغوي البديع، والتوقيع المؤلف في انسجام وتناسب صوتا ومعنى "حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء، لا يستمهله أمر من دونه.. فإنه يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه وأطراد نسقه وأثرانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة كأنها توقّعه توقّعا"<sup>4</sup>.

لكن ذلك التقسيم أو التمييز بين نوعي السور القرآنية في مستوى الإيقاع أو الصوت، إنما هو تقسيم في الوصف الذي يطبعه المعنى أو السياق، ومقتضى الحال الذي بلغ القرآن فيه حد الدقة من حيث مراعاته وتحكيمه في كل حرف أو كلمة منه؛ وهذا ما يرجو البحث أن يصل إلى إبرازه في كل مستوى من مستويات اللغة أو النص القرآني.

ومما يبدو واضحا في القرآن الكريم، أن الجانب الصوتي أو الإيقاعي قد حضر بكثافة بارزة، وبصفة تكاد تكون مطردة في السور المكية، مما يُغري بالدراسة والتحليل والبحث عن مكونات هذه الظاهرة الأسلوبية في الخطاب القرآني في العهد المكي.

<sup>1</sup> نفسه، ص 41 .

<sup>2</sup> شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 26.

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص 41.

<sup>4</sup> مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط3، الجزائر، مكتبة رحاب، د.ت.، ص 213.

و إذ أنّ "فاعلية التشكيل الصوتي هي قدرته على خلق إيقاعات متنوعة، ونشاط الإيقاع هو نشاط التشكيل الذي يدخل في تكوينه"<sup>1</sup>، فإنّ الصوت أو الإيقاع لا يُدرس بمعزل عن السياق أو التركيب، فذلك من اهتمام علم الأصوات اللغوية "Phonetics" الذي يدرس الجانب الصوتي من الكلام "دون الالتفات إلى لغة بعينها، فيبيّن الخصائص الفيزيائية للأصوات، ووصف العمليات الفسيولوجية التي يقوم بها المتكلم أثناء النطق دون أن يربطها بوظيفتها اللغوية، وهو بهذا الوصف يدخل في نطاق العلوم الطبيعية"<sup>2</sup>. أمّا القسم الآخر من الدراسة الصوتية، والذي له علاقة لا تقل أهمية عن العناصر البنيوية في لغة النصوص الأدبية أو في موازين النقد الأدبي؛ فيُصطلح عليه "علم الأصوات التشكيلي" (Phonology) و"يدرس الأصوات اللغوية من ناحية وظيفتها في بنية اللغة، ويوضح ما يربط بينها من علاقات"<sup>3</sup>، بما أنّ "اللغة تنظيم يتألف من أصوات تحدد بواسطة شكلها كما تحدد بالاعتماد على وظيفتها أي أنها تحمل مدلولاً معيّناً ووظيفة خاصة بها"<sup>4</sup>. وبعبارة أخرى أوجز وأوضح، "إنّ التشكيل الصوتي حركة الإيقاع والمعنى، وتفاعلات الإيقاع والمعاني تتداخل مع تفاعلات هذا التشكيل"<sup>5</sup>.

إذن، فإنّ ربط الظاهرة اللغوية بالمعنى، أو مراعاة السياق الذي وردت فيه، دون الاكتفاء بالوصف بل إردافه بالتعليل والتفسير، هو عمدة هذه الدراسة، ولا سيّما إذا تعلق الأمر بدراسة لنصّ المعجزة القرآنية لأنه بعيد كل البعد عن العبثية والارتجال والزخرفة الجوفاء.

فقد كان القرآن الكريم مصدر العناية الفائقة بموضوع التشكيل الصوتي من قبل "القُرّاء" والتحاة واللغويين وبعض المفسرين القدامى، لكن هذه العناية ينقصها التعمق في بحث تشكّله الجمالي ومادته الحقيقية، مع استكناه الأسرار والدلالات الخفية والتطلّع إلى كشف دقائق معاني البناء الصوتي. كما أنّهم لم يتفطّنوا لاستقراء أو استقصاء الظواهر الصوتية وجماليات الإيقاع في النصّ القرآني.

فلا جرم أنّ "القُرّاء" قد التزموا الدقة في إخراج الأصوات في نَهج واحد من القراءة هو ما أسماه "قراءة التحقيق" فأعطوا كل حرف حقه، و"كان كدهم الإبقاء على ما ورد عن النبي الكريم متواتراً كما هو في حدود الصحابة الثقات. إلّا أنّ التشكيل الصوتي يبدو - بحسب فهمهم - ممزّقا،

<sup>1</sup> تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط1، سوريا، دار الخوار، 1983، ص59.

<sup>2</sup> عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د.ط، القاهرة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987، ص121.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص121.

<sup>4</sup> رمون طحان، الألسنية العربية، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1989، 22/2.

<sup>5</sup> تامر سلوم، المرجع السابق، ص62.

ويبدو نشاطه الجمالي مفككا، ويصوّر التركيب القرآني في صورة دلالات معزولة تخلو من التفاعل والوحدة<sup>1</sup>. كما أنّ محاولة "سيبويه" لوضع أسس علمية لدراسة التشكيل الصوتي في دراسة الإدغام<sup>2</sup>، وإن كانت من أغنى المحاولات القديمة<sup>3</sup> وأقرها إلى الأساس العلمي لدراسة التشكيل الصوتي، ولكنها أهملت نشاطه الجمالي-أيضا- و"زيفت كثيرا من فاعليته الأدبية، وجعلتنا نقول إنّ التشكيل الصوتي لا علاقة له بالتركيب والسياق. وبدلا من أن ينظر إلى هذا التشكيل على أنّه يخنق المعنى، ويخضع لتقاطعات مستمرة نظر إليه في ضوء العلاقات الخارجية والصفات الثابتة"<sup>4</sup>

أما صاحب نظرية النظم "عبد القاهر الجرجاني" الذي كان يهدف من خلال تلك النظرية إلى بيان إعجاز القرآن، فكان يرى أنّ كلّ فضيلة مرجعها إلى خصائص معيّنة في نظم الكلام، وأنّ نكر خاصية ولكل علاقة لغوية دلالة ومعنى، كما أنّه عرض لوجوه تركيب الكلام وفق مقتضيات النحو وأحكامه مع التركيز على الفروق المعنوية الدقيقة بين التراكيب النحوية وفقا لإمكانات صور الإسناد الكثيرة، وهو بهذا لم يقف على كلّ الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم، مثل النسق الموسيقي للعبارة القرآنية وهو جانب جوهري من التركيب اللغوي، لأنّ "الموقف كان يحتم على عبد القاهر أن يكشف علاقة الأصوات باللغة ووظيفتها في أداء المعنى، وعلى الأخص أنّه متهم لفرط حماسه وغيرته على تأكيد الوحدة بين اللفظ والمعنى، بإغفاله جانب اللفظ وإنكاره لقيّمته من حيث هو صوت مسموع"<sup>5</sup> وهو نقد وجيه، وإن كان الجرجاني إلى حدّ ما، ينظر إلى التشكيل الصوتي في النسيج اللغوي من خلال التركيب ولم يهمله تماما، "ولكن كلّ ذلك لم يكن ليعفيه من تناول الجانب الصوتي على نحو أدقّ مما رأيناه في كتابه"<sup>6</sup> لأنّ سرّ الإعجاز القرآني يجب أن ينظر إليه من جميع جوانبه الجمالية والفنية، وكل ما له علاقة بالدلالة أو التأثير في المعنى وتحديدته وتوضيحه.

كذلك، فمن الذين كان يُتوّع منهم تأكيد علاقة التشكيل الصوتي بالمعنى، أو ربط الصوت بالدلالة، صاحب كتاب "سرّ الفصاحة" الذي حدّد فيه معايير الحسن في اللفظ المفرد وبيان شروط التلاؤم أو الانسجام الصوتي وفصاحة الكلمة، وما يوجد من هذه الشروط في الألفاظ المنظوم بعضها

<sup>1</sup> تامر سلوم، المرجع السابق، ص35.

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1403هـ/1983م، 431/1.

<sup>3</sup> تامر سلوم، المرجع نفسه، ص36.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص36.

<sup>5</sup> محمد زكي العشماوي، قضايا في النقد الأدبي، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1979، ص333.

<sup>6</sup> للمرجع نفسه، ص339.



مع بعض، غير أن الذي كان يتوقعه الناظر في الكتاب الذي وُضع لغاية إبراز تفوق فصاحة المعجزة القرآنية، أن "يعنى بالعلاقات الإيجابية بين أصوات اللغة ومعانيها، وبين الصوت والانفعال وبين ما يكون في مجموعة معينة من الأصوات من صفات خاصة تساعد على نقل الإحساس إلى القارئ أو السامع... وذلك لأن مفهومه للغة كان مفهوما محدودا ومتأثرا بالنظرة المنطقية الشكلية التي سادت تفكير التقاد العرب من قبله"<sup>1</sup>

وعلاوة على ذلك، لم يكن القرآن الكريم في موروثنا النقدي، يحتل مساحة واسعة في حقس تطبيقهم كما ناله الشعر من الاهتمام والدراسة المفصلة والشاملة لمستويات الظاهرة اللغوية، صوتا، وصرفا، وتركيبا وبلاغة، وكأن التشكيل الصوتي بما فيه من الإيقاع والتغم، والوزن، قد استأثر به الشعر دون النثر، لكن حقيقة القرآن بينت وبوضوح لا يقبل الشك، أن لا أحد ينكر ما في العلاقات الصوتية في القرآن الكريم، وما في آياته المحكمات من تأثير صوتي يفتن القلوب ويأخذ بالألباب. وليس من شك في أن مرّة الإعجاز في التأثير الصوتي في لغة القرآن لنظم آياته، ولكن إلى أي حد شاركت هذه العلاقات الصوتية في التأثير؟ وإلى أي حدّ عاونت في أداء المعنى وتوصيل الفكرة في نص الخطاب القرآني في السور المكية؟.

تلك هي الإشكاليات التي يحاول هذا الفصل أن يجليها قدر الإمكان، مقتصرًا بالدراسة والتحليل على السمات الصوتية والإيقاعية الأكثر تواترا ودورانا وبروزا والتي توافق الأغراض الكبرى للوحي في الخطاب المكي، أما الظواهر الإيقاعية التي فيها تقاطع بين المكي والمدني، وهي السمات والخصائص العامة في القرآن الكريم، فإنها لا تدخل تحت الغرض المقصود من الدراسة على وجه التحديد والتخصيص.

وتمام هو معلوم، أن السور المكية تعرضت لقضايا وأغراض، لم تتعرض لها السور المدنية، إلا في القليل وعلى سبيل التذكير والإشارة، وذلك ما اقتضاه منهج الدعوة الحكيم، الذي راعى حال المخاطبين في النفس والتصور والفطرة، فكان أسلوب الخطاب يتلون ويصطبغ بصبغة المعنى المعبر عنه أو الدلالة المتوخاة في البنية العميقة للعبارة القرآنية.

ووفقا لذلك، فالسور المكية مع اشتراكها جميعا في الأغراض الكبرى التي كُرس لها الوحي المكي في العهد الأول من الدعوة قبل الهجرة، إلا أنها تنقسم إلى قسمين من ناحية طبيعة التعبير ولسون

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 300.

الخطاب؛ فمنها السور التي تكون طريقتها إثارة السامع ومفاجأته بما يهزه ويحركه ليصغي إلى ما تتضمنه الآيات، ويتدبر فيما احتوته من أفكار، عمادها من الناحية الصوتية الإيقاعية، التنغيم الذي يسري في أحرفها، وإيقاعها المطابق للعجيب، في زجرتة وتمدّجه وقصفه ولهاته، وفي ألفاظها المساقية لمعانيها وفي فواصلها الموزونة المقفاة التي تشتد تارة، وتلين تارة أخرى، وذلك لأن موضوع هذه السور - على تنوعه - هو تصوير مصارع الغابرين، وعرض أهوال القيامة بمشاهد عذابها ونعيمها، وتحريك دواعي النظر ولفت الانتباه للتدبر في خلق أنفسهم، وفيما حولهم من الأحياء والجمادات، ومناظر الكون وأجرامه، وإبطال وتسفيه زعمهم في آلتهم وما يعبدون من دون الله، وحثهم على الإيمان بالوحي والساعة والبعث والجزاء وغير ذلك مما احتوته سور المرحلة الأولى من الدعوة وهي في أغلبها من القصار الساحرة بالإيقاع الذي يستميل إليه الأذن العربية في يسر وسهولة.

أما القسم الآخر من السور المكية، فقد اختلفت في قليل عن سور القسم الأول، لاختلاف حال المخاطبين واختلاف الطور الذي بلغتها للدعوة، فطالت عباراتها مما أفقدها بعض الخصائص الإيقاعية التي كانت واضحة البروز بإثارها النغمية الشديدة، وتقارب فواصلها، ورتابة إيقاعها، لأن طريقة العرض اختلفت؛ مما اقتضى أسلوباً يوافق طريقة الجدل وبسط الأفكار وعرض المشاهد وتفصيل القصص واستنتاج العبر.

فمما لا يخفى عن الناظر البصير، أن القرآن الكريم ليس شعراً لا في بعضه ولا في كله، وإنما هو في حقيقة الأمر، يمكن وصفه بالنثر الموقّع الذي يضارع في بنائه نظام الشعر، بل يفوقه في تحقيق الأصوات الداخلية التي لا تعتمد ما يعتمد الشعر على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية. "وتوفّر هذا العنصر أشقّ بكثير من توفّر الوزن، لأن الإيقاع يختلف باختلاف اللغة والألفاظ المستعسة ذاتها، في حين لا يتأثر الوزن بالألفاظ الموضوعية"<sup>1</sup>، وهذا ما يُلتمس في لغة القرآن، لغنى مادته الصوتية بإمكانيات تعبيرية هائلة. كالأصوات ومطابقتها الدلالية، وتكرار القالب الصوتي الرتيب، وتواتر الصيغ الصوتية المعبرة، ونظام الفواصل؛ كل هذه الظواهر الفنية، خليقة بالدراسة الوصفية ومحاولة رصدتها، لأنها تشكل بعداً من الأبعاد اللغوية لنص القرآن الكريم، وبالتحديد أكثر، في نصوص السور المكية الغنية بألوان الإيقاع، وكثافة الطاقات الصوتية الوظيفية، التي يمكن أن تُلمس تجلياتها عبر المحاور التالية:

<sup>1</sup> عزّ الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد الأدبي، ط 1، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص 374.

## أولاً - الإيقاع بالجورس المشاكل للمعنى:

قد أدرك القدامى من علماء النحو واللغة ظاهرة المحاكاة الصوتية للمعنى المعبر عنها، أو ما يطلق عليها الأوربيون من علماء اللغة واللسانيات بمصطلح "الأونوماتوبيا" (onomatopoeia)، وهو نوع من التوافق (الهارموني) بين العلامة اللغوية ومعناها، الذي له قيمة في الدراسات الأسلوبية. باعتبار وظيفته التأثيرية، ولبناء مضمونه على الدلالة الإيحائية. وإن كانت الآراء قد تضاربت حول هذه القضية قديماً وحديثاً بين متحمّس لها ورافض أو متحفّظ، قد سبق البحث فيها من قبل دارسين أجلاء فليست هي من صميم الغرض في هذا المقام، وإتّما الذي يعيننا هنا، هو مدى صحة رأي المدافعين أو المتحمسين لهذه القضية في نطاق اللغة العربية.

فمن الذين دافعوا عن هذه المسألة دفاعاً قوياً ابن جنيّ (ت392هـ)، حين تحدّث عن مقارنة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث تحت باب من كتابه الخصائص أسماء "في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"<sup>1</sup>، وباب آخر بعنوان "في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"<sup>2</sup>، فيقول "فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلب عند عارفيه مأموم، وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بما ويحتدونها عليها... حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"<sup>3</sup>. وهذا يشير بوضوح إلى أنّ هناك تقابلاً بين المعاني والحروف في الكلمات بأصواتها المختلفة من حيث الصفة والمخرج، بل ذهب صاحب الخصائص - كما يفهم من كلامه - إلى أبعد من ذلك، بتعميم هذه النظرة في اللغة واطراد القوون في التقابل بين كل صوت في الكلمة وجزء من أجزاء معناها<sup>4</sup>. سيقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، فالحرف الشديد للحدث الشديد كالقاف واللين الناعم للأشياء والأحداث الرقيقة الناعمة كالسين والحاء.

وكان من الذين آمنوا أيضاً بهذه المسألة، السيوطي بقوله: "وأما أهل العربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني"<sup>5</sup>. ويوضح في موطن آخر: "فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ

<sup>1</sup> الخصائص، 152/2.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 145/2.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، 157/2.

<sup>4</sup> نفس المكان.

<sup>5</sup> السيوطي، الزهر في علوم اللغة وأنواعها شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه محمد حاد المولى وآخران، د.ط، صيدا، بيروت.

منشورات المكتبة العصرية، 1408هـ/1987م، 57/1.

لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقلّ وأخفّ عملاً أو صوتاً؛ وجعلت الحرف الأقوى والأشدّ والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً..<sup>1</sup>

أما في العصر الحديث، فقد شغلت هذه القضية العديد من الباحثين، ومنهم العقاد التي تناول ذلك تحت عنوان "الحروف والمعاني في اللغة العربية" فتوصل إلى نتيجة بعد ملاحظاته السريعة، خلاصتها:

"أولاً" أن هناك ارتباطاً بين بعض الحروف ودلالة الكلمات.

"ثانياً" أن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية.<sup>2</sup>

إلى هنا يمكن اعتبار محمد المبارك من الذين وقفوا موقفاً وسطاً بين الذين أنكروا هذه المسألة في اللغة وبين الذين غالوا بإثباتها إلى حدّ بعيد، - كابن جني -، فيقول: "ونستطيع أن نقول في غير تردد أن للحرف في اللغة العربية إيجاءً خاصاً فهو إن لم يدلّ دلالة قاطعة على المعنى يدلّ دلالة اتجاه وإيجاءً ويثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ويوجّه غالبه ويوحى به"<sup>3</sup>.

ويقول أيضاً في نفس السياق: "أن ثمة أمثلة كثيرة في العربية تدل على التناسب الصوتي والتقابل الموسيقي في تركيب الكلمات وحروفها ولكن هذه الملاحظات والأمثلة التي أوردها بعض اللغويين قديماً وحديثاً لا تكفي لإقامة نظرة عامة واستنباط قانون عام قبل توسيع أفق الملاحظة والاستقراء"<sup>4</sup>.

ولهذا فقد استثمر الأدباء هذه الخاصية الموسيقية في أدبهم في مجال اللغة العربية أكثر من أيّ لغة أخرى، من الموازنة بين جرس الكلمات ونغمة المفردات من جهة، والأحداث المصوّرة أو الأفكار المعبر عنها، لكن هذه الخاصية لم تصل إلى أكمل أشكالها وأجلى مظاهرها كما تحققت في كتاب الله المعجز حيث بلغ التقابل بين المعنى والنغمة الموسيقية ذروة الكمال وهو كثير الوقوع في القرآن الكريم ولا سيّما في السور المكية، لأنّ المقام يناسب مثل هذه الوسيلة التي لها تأثيرها ونفاذها السريع، وخاصة إذا تعلّق الأمر بوصف مشاهد القيامة، وترهيب القلوب الغافلة، بتصوير ما ينتظرهم من وعيد

<sup>1</sup> المرجع نفسه 53/1.

<sup>2</sup> عيسى عمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ط3، دار المعارف، مصر، د.ت، ص48.

<sup>3</sup> محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ط7، بيروت، دار الفكر، 1401هـ/1981م، ص261.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص261.

وشقاء يوم الدين، فقد ساهمت الكلمة بجرسها في تقريب الدلالة بكل أبعادها وما في عمقها من إنحاء ويكاد يطرد ذلك عند التعبير عن جزاء الكافرين ومصيرهم، ووصف نار جهنم وما يحلّ بأهلها من تعذيب وتنكيل، وتجد مظاهر استخدام التعبير القرآني البليغ لهذه الخاصية الفنية بشكل مكثف في سور المفصل من القرآن الكريم، وهو مكّيّ إلاّ بعض منه، وسيلنا في اختيار الألفاظ، هو كل لفظ طابته الجرس أو الصوت مطابقة بارزة من حيث الدلالة وتقريب الصورة.

يقول تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ(1) مَا الْحَاقَّةُ(2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ(3)﴾ [الحاقة] إنّ لفظ "الحاقة" بصوته يوحي بسياق السورة، فأياها تنطق بالهول والترويع، إقرارا بعظمة القدرة الإلهية الكبرى في مصارع الغابرين المكذّبين بالدين والعقيدة والآخرة، وفي مشهد القيامة المروع بأحداثه الرهيبة. والسورة من النوع الذي تغلب عليه طريقة الإثارة والإيقاظ بالحركة والإيقاع الملح على الحس وخرّة العنيفة التي توقظ الشعور وتميئ المسامح للإصغاء.

و(الحاقة)، وهو اسم اختير بدقة متناهية لناحيته التصويرية، لأنّ "له جرسا خاصا، هو أشبه شيء برفع الثقل ثم استقراره استقرارا مكنيا، رفعه في حالة الفاء بالألف، واستقراره في تشديد القاف بعدها، والانتهاه بالتاء المربوطة التي يوقف عليها بالهاء الساكنة"<sup>1</sup>، وبذلك كان للجرس فعاليته في تصوير المعنى ووقعه في الحس في سياق السورة القوية الإيقاع العميقة التأثير.

ومن ذلك تجمّد لفظ "القارعة" وهو من معاني القيامة، ذكر في القرآن الكريم، في سور ثلاث كلها مكية على القول الراجح في إحداها وهي سورة الرعد في قوله تعالى:

- ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [31]

- ﴿الْقَارِعَةُ(1) مَا الْقَارِعَةُ(2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ(3)﴾ [القارعة]

- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ(4)﴾ [الحاقة]

فمن الملاحظ في الآية الأولى، أنّ سياقها يختلف عن سياق الآيتين اللتين بعدها، فالمقصود بالقارعة في الآية الأولى من سورة الرعد؛ الداهية التي تفرع الكافرين بصنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم<sup>2</sup>. ومنه فإن معنى اللفظة يبرزه جرسها بإيحائه المدوي الرهيب.

<sup>1</sup> سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص211.

<sup>2</sup> الكشاف 531/1، وينظر: حسنين محمد مخلوف، كلمات القرآن تفسيرا وبيان، د.ط، بوزريعة، الجزائر، المطبعة الجزائرية، د.ت، ص137.

أما في سياق الآيتين الثانية والثالثة، فإنّ القارعة من معاني القيامة، "فمن تناسق التصوير أن تُسمّى القيامة بالقارعة، فيتّسق الظلّ الذي يليه اللفظ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها، مع آثار القارعة في الناس والجبال سواء"<sup>1</sup>.

فلفظ "القارعة" يتضمن من الناحية الصوتية مقطعين بارزين كما نلاحظ من تشريحه المقطعي: القارعة: (قا / ر - / ع - ة): (مقطع طويل مفتوح + قصير + طويل مغلق) وبما أنّ اللفظ يُنطق بالوقف، فإنّ المقطع الأخير هو محلّ التبر من الكلمة، ممّا أظهر دلالتها للسامع، لأنّ المقطع الأخير للألفاظ أو التراكيب تتضمن قوّة إيقاعه، لهذا فهو ينطق بصورة حادة، وكان الوقف عاملا مساعداً هو -أيضا- على إظهار هذا الإيقاع وتقويته. وهذا التوزيع الجيد، ينطوي على إيقاع نفسي هادف مشير ومؤثر.

وإذا نُظر إلى اللفظة من جهة مخارج حروفها أو صفاها الصوتية، فلا يتعد إيقاعها عن محاكاة معنى اللفظة، والتعبير عمّا فيها من دلالة وإيحاء عميق ومحسوس كما يبرزه الجدول التالي:

اللفظة	الحرف 1	الحرف 2	الحرف 3
قارعة	القاف مع المدّ	الرّاء	العين مع الوقف
صفات	شديد	مكرر	بين الشدة والرخاوة
الحروف	مجهور	مجهور	مجهور
	مطبق	بين الشدة والرخاوة	مرفق
	مفخم		

فكل عناصر المعنى الذي يحتوي عليه اللفظ، قد توفّرت، كالشدة والجهر والتفخيم، والوقف الذي يزيد الإيقاع قوّة وإبرازا للدلالة أكثر، لذلك فهي -حقا- "توحى بالقرع والطم، فهي تقرع القلوب بهولها"<sup>2</sup> فلشدة ما يكون فيها ممّا تفرّغ له النفوس وتدهش له العقول يصعب تصورها<sup>3</sup>. وتلقانا ألفاظ أخرى عديدة هي من معاني القيامة أو أنّها "أعلام بالغلبة على القيامة، ولكل منها دلالة على معنى من معانيها وأثر من آثارها، وهي بمقوماتها وأحداثها تقرع القلوب وتصلك

<sup>1</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 6، الجزء الثلاثون، ص 3959.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 3960، وينظر: محمد عبده، تفسير جزء عمّ، دار الكتب، د. ط، الجزائر، د. ت، ص 148.

<sup>3</sup> محمد عبده، المرجع نفسه، ص 148.

الاسماع"<sup>1</sup>، وهي الطاقة والصاخة والغاشية والواقعة، والرادفة والراجفة والدكة الواحدة.. وكلها ذكرت في مقام التأكيد على عقيدة البعث، يوم يقوم الناس لرب العالمين، أو النسخة الثانية التي تعيد البشرية أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا مطمورين في باطنها في أسرع من لمح البصر، وذلك بقدرة العزيز القدير.

ومن تلك الألفاظ التي يجدها السامع تنطق بجرسها وإيقاعها الدالين على معانيها دلالة بارزة بحكم جرسها الصوتي الذي أغناها عن كل شرح وبيان، كلفظي: "الصاخة" و "الطامة"، فقد كان بينها وبين المقام الذي سيقتا فيه -وهو وصف القيامة- تناسق يجليه جرسها الناطق بالهول والفرح". فلفظة "الطامة" لفظة مُصَوِّرة بجرسها لمعناها، فهي تطمّ وتعمّ وتربي وتطفئ على السماء المبنية والأرض المدحورة والجبال المرساة... إنها تطم على كل شيء و تعم<sup>2</sup> وهي في نظر بعض المفسرين؛ "الذاهية العظمى التي تطم على كل هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظيم هولها. وهي القيامة للحساب والجزاء"<sup>3</sup>، ولم تأت المادة في غير هذا الموضع، وأخذها "الراغب" من الطم أي البحر<sup>4</sup>، ويقال: طم البحر على كذا، أي طغى وفاض وغلب، لهذا فمن الواضح، تلك المناسبة بين أصل المادة اللغوي، وما توحى به صوتا ودلالة وهي في مقامها من القرآن الكريم عند التذكير بأهوال ذلك اليوم المشهود كما يتضح من أصوات حروف اللفظة في الجدول التالي:

اللفظة	الحرف 1	الحرف 2
الطامة	الطاء مع المدّ	ميم مشددة
صفات الحروف	شديد، مجهور، مطبق	ما بين الشدة والرخاوة مجهور، مرقق

فتلك الطاء المشددة لأنها بعد اللام الشمسية مع مدّها بالصائت وهو حرف الألف، الذي يمدّ "بجد أقصى من الاستمرار والإسماع وبجد أدنى من التوتر والاحتكاك وتردد الجرس الصوتي والانفتاح النسبي

<sup>1</sup> عماد شلتوت، إلى القرآن الكريم، د.ط، بيروت، دار الشروق، 1403هـ/1983م، ص145.

<sup>2</sup> سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، ص192.

<sup>3</sup> عماد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ط2، بيروت، دار الفكر، 1398هـ/1978م، مج 49/10، وانظر: الزمخشري، الكشاف، 697/4.

<sup>4</sup> الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمة، ط1، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع،

1423هـ/2002م، ص319.



بجرى الصوت<sup>1</sup> علاوة على وصف "الطاء" بأنه شديد أو انفجاري يحدث "نتيجة حدوث انغلاق تام بجرى الهواء المندفع من الرئتين في نقطة المخرج، ثم انفتاح مفاجئ فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً"<sup>2</sup>، يرمز ذلك فعلاً إلى ما تحمله اللفظة من دلالة توافق ذلك الجهر والشدة والتفخيم المناسب في مقام التهويل والترويع، كما يردف حرف "الميم" المشددة حرف "الطاء" الممدودة، وإن لم يوافقته إلا في صفة الجهر، لكن الشدة التي علة "الميم" جعلتها تكتسب وقوع التبر عليها، لأن رفع الصوت أو الجرس في مدة الطاء بالألف، يكون استقراره في تشديد الميم بعدها، مما ناسبها ذلك التبر الذي حصل نتيجة الضغط على مقطع الميم القصير.

ويعاثلها صوتاً ومعنى لفظة "الصاخّة" التي لا تفرق في كثير عنها من ناحية مخارج حروفها. أوصافها، فهي الصيحة تصم الآذان لشدها<sup>3</sup>، مادتها "الصخ": "ضرب أذنه فأصمها، يقال، سمعت للحجر صخّة وقد صخّ صخيخاً وهو صوته إذا قرع"<sup>4</sup> أو "الضرب بالحديد على الحديد والعصا الصلبة على شيء مصمت... وهي الحادثة العظمى التي عبر عنها بالطامة الكبرى يكون نذيرها ذلك الصوت الهائل الذي يحدث من تخريب الكون ووقع بعض أجزامه على بعض ولكون هذه الحادثة تأتي بذلك الصوت تصخّ الآذان أي تصمها"<sup>5</sup>.

فصوت الصاد الشديد المفخم مع مدّه بالألف، ليستقر الصوت بالمدّ في الخاء المشددة-هي الأخرى- مع تفخيمها، يعطي إيقاعاً مناسباً مناسبة دقيقة لما تؤدّيه اللفظة من معنى ودلالة في مقامها من الآية أو السورة، فهو لفظ "ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً"<sup>6</sup> وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه، مشهد من مشاهد القيامة كما تصوّره الآيات التي تلت تلك اللفظة المدوّية المفزعة المؤثرة بصوتها البارز في الدلالة على المعنى في هذا المقام.

وفي نفس السياق من وصف يوم القيامة وما يحدث فيها من أهوال، يلقانا لفظ "الدك" الذي لازم ذكر "الأرض"، ولم يرد في القرآن إلا في موضعين هما في قوله تعالى:

<sup>1</sup> ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 98.

<sup>2</sup> عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص 118.

<sup>3</sup> حسنين محمد مخلوف، كلمات القرآن، تفسير وبيان، ص 386.

<sup>4</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، د. ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت، ص 250.

<sup>5</sup> محمد عبده، تفسير جزء عمّ، ص 25.

<sup>6</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس، الجزء الثلاثون، ص 3834.



- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً  
وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) ﴿ [الحاقة]

- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22-23]

إن ملازمة لفظة "الدك" بجميع اشتقاقاتها، للفظي "الأرض" و"الجبال" وحتى وإن اختلف المقام،  
له من الدلالة الصوتية ما لا يخفى على الناظر البصير، فقد وردت لفظة "دكا" في غير هذين الموضعين  
المشار إليهما من سورتي: "الحاقة" و"الفجر"، ولكن في سياق آخر غير وصف القيامة وما يحدث فيه.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [الأعراف: 143]

إن الذي جعل موسى صعقا، هو رؤيته للجبيل العالي، مذكوكا، قد ساخت نتوءاته فبدا مسورا  
بالأرض<sup>1</sup>، فالعرب تقول: اندك السنام، إذا أنقرش<sup>2</sup>، والدك قريب من الدق لفظا ومعنى<sup>3</sup>، بل هما  
أخوان في اللفظ والدلالة، كما ذهب إلى ذلك الزمخشري<sup>4</sup>، وفي موضع آخر، وضمن صياغة تعبيرية  
واحدة، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي  
حَقًّا ﴾ [الكهف: 98]

فالدك في القرآن لم يلازم- في حدوثه- غير الأرض والجبال، وهما من البدائع العظيمة في  
الكون، فإذا دكنا، سُمع لهما صوت هائل مريع يكون فوق طاقة سمع الإنسان، ومن ثم فلفظة "الدك"  
توحي بجرسها بذلك الصوت الذي ينتج عن حدوث الدكة الواحدة المحطمة التي تنذر بالواقعة.  
فحرف "الدال" أسناني لثوي واضح الشدة والجهر وكذا الكاف المشدّد والشديد، وهذا يكفي في  
الدلالة على المشاكلة الدقيقة بين حروف اللفظة وما فيها من دلالة الشدة والقوة المحطمة لجُرم عظيم  
كالأرض. وفي ذلك تأثير لا يمكن إنكاره، يزيد المعنى وضوحا.

فهذا الإيقاع الذي يلتمس بوضوح في كل من: لفظ الحاقة والقارعة والصاخة والطامة  
والدكة الواحدة المحطمة، إيقاع مشوب بالقوة والتهويل والعنف؛ حيث قوة الجرس، وغزارة الإيقاع،  
مجسّدا بذلك حقيقة يوم القيامة، ليحرك النفس والعقل، ويثير الوجدان والمخيلة، ويهزّها جميعا بالإيقاع

<sup>1</sup> سيد قطب، المرجع السابق، المجلد الثالث، الجزء التاسع، ص 1369.

<sup>2</sup> الكشاف 601/4.

<sup>3</sup> القاسمي، محاسن التأويل، 10/ 150.

<sup>4</sup> الكشاف 155/2.

الموسيقي الهادف، لأن النفس تحس بالمعنى الذي يحدته جرس الحروف وإيقاعها الذي روعي فيه مقتضى الحال أو ما يقتضيه الموضوع وحال المخاطب.

وإذا ما تخطينا الألفاظ المصوّرة بجرسها لأحداث يوم القيامة إلى الألفاظ التي تصوّر حال جهنم وحال من يدخلونها من الذين حقّت عليهم كلمة العذاب، لرأينا ذلك الاتساق البديع بين اللفظ وما يعكسه جرسه أو إيقاع حروفه من معنى ينقل إلينا بأمانة ودقّة من خلال صورة ظاهر اللفظ الوضوح المشرق البسيط.

فلفظ "يصطرخون" الوارد في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:37]، قد تضمّن حروفاً شديدة تؤدي الغرض، فالآية في معرض تصوير أو بيان حال الذين كفروا برهم فهم في نار جهنم يتصارخون، ويستغيثون ربهم ليخرجهم مما هم فيه من العذاب، ليعملوا من الصالحات غير الذي كانوا يكسبون، فلفظ "يصطرخون" يعكس حالهم تلك تماماً. لأن صوت "الطاء" و"الصاد" لهما نفس المخرج، أي من طرف اللسان أو أصول الثنايا. وكلاهما مطبق مفخّم، إلا أنّ حرف "الطاء" مجهور شديد و"الصاد" مهموس رخو، كما أنّ "الطاء" زائدة في مبنى الكلمة لتؤدي زيادة في المعنى، فكلمة "يصطرخون" أبلغ من "يصرخون" للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخاً عنيفاً منكراً خارجاً عن حد الاعتدال بحيث "يُخِيلُ إِلَيْكَ جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة"<sup>1</sup>. كما تلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون، أو ضجّة الاصطراخ والنداء<sup>2</sup>.

ومثل هذا ما نجده في سورة الشعراء، في وصفه تعالى لحال الغاوين والضالين من المشركين -يوم القيامة-: ﴿وَأُزْلِفَتُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُم أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94)﴾ .  
فكلمة "فكُّبُوا" أبلغ من "كُفُّوا" في تصوير العذاب، والتدافع في النار بقوة، والإشارة إلى أنهم يُكَبُّون في النار كَبًّا فظيماً<sup>3</sup>، فكانت الزيادة للمبالغة في الفعل وتأدية المعنى المناسب، وإنّ السامع

<sup>1</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط الشرعية الثامنة، بيروت، دار الشروق، 1403هـ/1983م، ص92.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص92، وينظر: في ظلال القرآن، مج5، الجزء الثاني والعشرون، ص3945.

<sup>3</sup> السيوطي، الإتقان، 88/2.

ليسمع" من جرس اللفظ صوت دفعهم وسقوطهم بلا انتظام، وصوت الدبدة الناشئ عن الكبكية<sup>1</sup>، فهو لفظ مصوّر يجرسه لمعناه، مما يساعد على تقريب المعنى وتوضيح الصورة وضمان التأثير وتخريك الألفدة.

ولفظة "الدّع" الواردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور:13] فهي تصوّر بالجرس مدلولها، إذ أنّ "الدّع" هو الدفع في الظهور بعنف وشدة<sup>2</sup> وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يُخرج صوتاً غير إرادي، فيه عين ساكنة، هكذا "أع" وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس الدّع<sup>3</sup>. وجاءت اللفظة في آخر الفاصلة بتتوين الفتح الذي ينطق ألف مدّ عند الوقف، مما يجعل حرف "العين" المشدّدة، ممدود الصوت والجرس، وفي ذلك محاكاة واضحة واتّساق جليّ بين معنى اللفظة وما يُخرجه المدفوع من صوت عند دفعه بقوة في ظهره، وهذا من الأصوات التي يُخرجها الإنسان بالطبيعة في تلك الحال.

ومن الأصوات الطبيعية التي تؤدّيها بعض الألفاظ القرآنية التي أغنى جرسها عن كل بيان، في الوصف والحركة، لفظة "الحسيس" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:101-102] فلفظة "الحسيس" تصوّر بجرسها معناها وحدثها، وهو صوت النار وهي "تسري وتحرق وتحدث ذلك الصوت المفزع، وإنه لصوت يتفزع له الجلد ويقشّر"<sup>4</sup>. ويتجلّى في تكرار حرف "السين" نذري ينقل صوت النار في حال الإحراق وسيراتها في الأشياء، وهو حرف فيه صفيّر، مرقق، رخو، مهموس ومثله صوت "الحاء" الذي يطابقه في الصفة ويخالفه في المخرج، لكن ذلك لا يمنع من إحداث إيقاع يعكس حال وحركة النار كما يسمعها السامع من مكان بعيد، وإن كان الصوت المحاكي لا يصرّ الشيء الموصوف تماماً، وإنّما يحاكي نشاطه وفعاليته كلية، وذلك لأن المحاكاة ليست إلا وسيلة صوتية لوصف حدث أو فعل، يخرج عن نطاق اللغة، وهنا يقوم التشكيل اللغوي العضوي بنقل السمات العامة للظاهرة التي يحسّها المستخدم - في ذلك الفعل- إلى أصوات لغوية تؤثر- بالتالي- في فهم المعنى وتحديدده في العمل الفني اللغوي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص133.

<sup>2</sup> حسين محمد مخلوف، كلمات القرآن، ص311.

<sup>3</sup> سيد قطب، التصوير الفني، ص95، وانظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص175.

<sup>4</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، الجزء السابع عشر، ص2399. وانظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص169.

<sup>5</sup> محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1988، ص14.

ومن ألفاظ الوعيد والإنذار -أيضا- في مقام تصوير النار، تصويرا صوتيا، في هيجانها وهي مغتظة غاضبة، وقد اختيرت الحروف الهادية إلى تلك المعاني، كحروف [الطاء والشين] في "شواظ" من قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:35] و[الطاء] من "تلظى" في قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل:14] ومن "لظى" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَى (15) نَزْأَةٌ لِّلشَّوَى (16) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (17) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (18)﴾ [المعارج].

هذه "الطاءات" المفخمة لتقع موقعها المنوط بها في مقام الهول بكلّ عنفه وفضاعته، وجاء في صورة مكشّرة، يصحبها إيقاع طويل وشديد، "وصوت يتصاعد من أعماق الحنجرة إلى درج الضبح والبعج"<sup>1</sup>، وإنّ "لظى": "علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب"<sup>2</sup> و"وأنّ جرسها يحدث حركة باللسان، وكأنه يحترق بالنار، ويستمدّ الإيقاع قوّته من هذا المعنى المهول وجرسه"<sup>3</sup>، ولاسيّما وأنّ اللفظتين "لظى" و"تلظى" قد وقعتا في مؤخري الآيتين، وما في ذلك من نعمة معبرة قد تضمنت غنة ساكنة في "الطاء"، وهذا الإيقاع التابع أسهم في إبرازه نوع الموضوع والمعنى.

ومن الآيات التي تمثل خاصية التصوير بالجرس بدقة في النطق والتشخيص وروعة في الأداء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:51] جاء في معجم مقاييس اللغة أنّ "زَلَقَ: الزاء واللام والقاف أصل واحد يدلّ على تزّج الشيء عن مقامه"<sup>4</sup> و"ليزلقونك" في الآية بمعنى: "ليزّلون قدمك فيرمونك"<sup>5</sup> أو "أنه من حدّة نظرها حسدا يكادون ينحونك عن مكانك"<sup>6</sup> وبذلك تكون اللفظة قد صوّرت نظرات الكفر الحادة المليئة بالحقد، وتشخص أبصارهم وكأنها تودّ أن تبطش وتنتقم من الرسول، "إنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليه شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك أو يهلكونك، والنظرة الحادة المقصودة تؤثر، وتؤكد شدة معنى "ليزلقونك"؛ جرسها، وإيقاعها وتأكيدا باللام، ونضج حروفها التي تُحدث حركة غير منظمة في اللسان، تبتدئ بانزلاق اللسان، وتنتهي بتعلقها بوسط النغم

<sup>1</sup> عمر السّلامي، الإعجاز الفني في القرآن، د.ط، تونس، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1980، ص254.

<sup>2</sup> الكشاف/4:610.

<sup>3</sup> عمر السّلامي، المرجع نفسه، ص254.

<sup>4</sup> أحمد ابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ/1979م، 21/3.

<sup>5</sup> حسنين محمد مخلوف، كلمات القرآن، ص350.

<sup>6</sup> ابن فارس، المرجع السابق، 21/3.

من العلو<sup>1</sup> كما أنها تنطق بما في نفوسهم من الحقد والغل والبغض، وهو اختيار يعبر عن دقة وإبداع وإصابة في مكانها من المقام الذي هي فيه.

ومن الألفاظ التي تحقق فيها الإيحاء بالجرس بقوة، لفظة "دمدم" بما فيها من ثقل في نطقها، ما يشبه صوت دمدمة الدبابات، قال تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: 14]. إن معنى "دمدم" أطلق عليهم العذاب<sup>2</sup> فأهلكهم أو أطلق العذاب عليهم<sup>3</sup> فانخسفت بهم الأرض فسويت عليهم عقوبة لعقرهم الناقة، وقيل: الدمدمه حكاية صوت الهدمة<sup>4</sup>. فاللفظة بقوة جرسها ونغمتها التي تَهز النفس، قد أدت المعنى كاملا في مقامها من الآية، بتكرار حرفي "الذال" و"الميم" اللذين يحددان ثقلا وضغطا داخل الفم؛ مما يوحي بهول الصورة وقوة الخالق وشدة العقاب النازل المدمر الذي لا يبقي ولا يذر.

ولفظة "توزهم" في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزَاجَهُ﴾ [مريم: 83]. أي تزعجهم وتقلقهم، وهذا معنى [تَهزهم هزًا]، "فالأزّ والهزّ، والاستفزاز؛ أخوت. ومعناها التهيج وشدة الإزعاج، أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوسواس والتسويلات"<sup>5</sup>. إلا أن "الهمزة" أقوى من "الهاء" في الدلالة على المعنى المقصود في هذا المقام من الآية، "وكأنهم حصصوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من "الهزّ" لأنك قد تهز ما لا يبال له كالجدع وساق الشجرة"<sup>6</sup>.

إلى هنا، يمكن القول أن الألفاظ التي عبرت عن مكانم معانيها، بجرسها وإيقاعها، وذلك تبعاً للموضوع، وما يقتضيه المقام، هي في العديد من الآيات المنثورة داخل كل سورة قرآنية، مكينة ومدنية، لكن حضورها في المكينة أكثر كثافة وبنسبة بارزة تكاد تكون مطردة في كل سورة يقتضي المقام فيها ذلك اللون من الظواهر الصوتية، لأن "الإيقاع الموسيقي يساير دوما الموضوع، لا يسبق المعنى، ولكنه يخضع للمحتوى وصيغة التعبير، التي يراعي القرآن فيها استجاباتها من حيث الوقوع ومدى أثرها في النفس، وهنا يحتل الإيقاع الموسيقي مكانه ليتعاون مع العبارة في أداء المحتوى والغرض

<sup>1</sup> عمر السلامي، المرجع نفسه، ص 103.

<sup>2</sup> الكشاف 761/4.

<sup>3</sup> حسين محمد مخلوف، كلمات القرآن، ص 391.

<sup>4</sup> تفسير القاسمي، 167/10.

<sup>5</sup> الكشاف 42/3.

<sup>6</sup> ابن جني، الخصائص، 142/2.

القرآني"<sup>1</sup>، ولا سيّما في مواطن الترهيب ووصف المشاهد من يوم الحساب، فإنّ السامع يتلقّى ألفاظا، شديدة على مسامعه، فتتهزّ لها النفس ويتأثر بها القلب، ليعقل المعنى ويتدبره، وذلك هو الغرض السامي للأسلوب القرآني الهادف في ذلك المقام بحروفه القوية التي تناسب مواقف الزجر والتعنيف والوعيد والنبر الحاد، والجرس القوي. "فالخروف تختلف قوة وضعفا، وتباين في جرسها ورناتها ويتبع ذلك اختلاف الكلمات التي تتكوّن منها في وقعها على السمع، وفي مترلتها في أداء المعنى، وفي إشاراتها لانفعالات خاصة وألوان من الإحساس، وكلّ ذلك يؤثر في الإبانة... ولكل هذا شأن في بلاغة القول وروعته، وحسن أدائه، ومطابقته لمقتضى الحال"<sup>2</sup>.

ومن ثمّ فإنّ الإيقاع بالجرس المشاكل المعنى، هو إيقاع موظّف لإيصال المعنى على نحو فنيّ، ليُسهم في إبراز القيمة التعبيرية للألفاظ، ويشير استحابة السامع للصوت والانفعال والمعنى؛ إذ أنّ "الأصوات اللغوية في داخل الكلمات رموز لغوية صوتية ذات دلالات"<sup>3</sup>.

وأخيرا يمكن القول أنّ ظاهرة التناسب بين جرس الألفاظ ومعانيها وما بينها من تقابل وتوافق صوتي ثلاثم أحد الأغراض الكبرى للوحي المكّي، ألا وهو الترهيب في التصوير والحركة لبلوغ التأثير النافذ إلى أعماق النفس، وإقناع القلوب التي ضُرب عليها الرآن وختم عليها بغشاوة الجاهلية، لذلك لم يرد من الألفاظ- في الأمثلة السابقة- إلّا التي تحقّق فيها التناسب بين جرسها والمعنى تحقيقا واضحا أو التي أسهمت أكثر بجرسها في تقوية المعنى أو تحديده، مع إمكانية التأثير في سمع السامع بوقعها الحامل للمعنى وموافقها للمقام أو الموقف المراد تصويره أو تجسيمه، وهو ما يُعرف باسم "المحاكاة الصوتية الأولية أو الأساسية وتبدو إذا اشتملت الكلمة على صوت يحاكي الحدث"<sup>4</sup>.

وتلك الظاهرة الأسلوبية، هي وسيلة من الوسائل الأسلوبية التي استخدمها القرآن الكريم باقتدار وبراعة تمشيا مع متطلبات المقام وما تقتضيه الدلالة للإفصاح عن مكنون المعنى، إذ أنّ البعد الدلالي هو الذي يتحكّم في توجيه هذه الظاهرة الأسلوبية.

<sup>1</sup> عمر السّلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص252.

<sup>2</sup> عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن، (حروف القرآن)، ط1، المملكة السعودية، عكاظ للنشر والتوزيع، 1983، ص27.

<sup>3</sup> محمّد حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، د.ط، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958، ص114.

<sup>4</sup> محمد العبد، إبداع الدلالة، ص33.

## ثانياً- إيقاع الوحدات اللغوية

إنّ الإيقاع الصوتي في دائرة التعبيرية لا يقتصر على الأصوات المفردة، إمّا في معدل تكرارها، أو في بنية الكلمة بما تُوحىه إيقاعاً وجرساً من معنى، بل تشمل أيضاً الإيقاع المركب والمقصود به تكرار أصوات متضامة متعاضدة من شأنها أن توضح المقام وتجلّيه، ولأجل خلق الانسجام والتجانس الصوتي في العبارة، ولعلّ أهم الظواهر الخليقة بإبراز هذا التلاحق الصوتي كما أبرزه القرآن يتمثل في التجنيس وظاهرة الإيقاع بالصيغة:

### 1-التجنيس

هو لون من ألوان البديع عند علماء البلاغة، وبما له من أثر في السمع، وبما يُحسّه من نغمة حسنة مرجعها التوافق الإيقاعي، فقد انتظم في النظام الصوتي لأنّ مباحث البديع "تدور في مستويين: أولهما المستوى السطحي الذي يختص بالناحية المحسوسة من التطق التي تظهر من اللسان ثم تمرّ إلى السامع عبر أذنه كالجنانس والسجع والازدواج.

والآخر، يتمثل في المستوى الأعمق، أو ما يمكن تسميته بالنطق الفكري، وهو الذي يتّصل بالفصاحة المعنوية كالطباق والمقابلة والتورية.

وتحرّك البديع في هذين المستويين ارتبط بالصياغة من حيث تشكيلها الحسيّ في النطق أو في الكتابة، ثم من حيث تشكيلها المعنوي"<sup>1</sup>.

وقد عرفه صاحب الطراز بقوله: "وهو على تنوّعه عبارة عن اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معنيهما، وهو عظيم الموقع في البلاغة، جليل القدر في الفصاحة، ولو لا ذلك لما أنزل الله كتابه المجيد على هذا الأسلوب، واختاره له كغيره من سائر أساليب الفصاحة"<sup>2</sup>، وبمعنى آخر أوضح هو "مقطعان صوتيان متفقان في الإيقاع مختلفان في الدلالة، أي لفظان متحدان في الشكل مختلفان في المضمون"<sup>3</sup>، وذلك ما يحقق في التجنيس، الجانب الإيقاعي منه وهو "الركيزة التي يعتمد عليها فن الجناس، وما الجانب الصوتي إلّا الإيقاع (Rythm) أو النغم، أو التردد الموسيقي، فالكلمتان المتجانستان تجانسا تاماً، هما في الواقع إيقاعان موسيقيان تردداً في مساحة البيت الشعري

<sup>1</sup> محمد عبد النّظير، البلاغة و الأسلوبية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص196.

<sup>2</sup> يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المنظم لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الرياض، مكتبة المعارف، د.ت، 351/2.

<sup>3</sup> منير سلطان، البديع، تأصيل وتجديد، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1986، ص76.



أوالآية القرآنية أو الجملة النثرية، وكذا الكلمتان المتجانستان تجانسا ناقصا، فالنقص في الجناس الناقص يلي حاجة النفس إلى الإيقاع المتباين، كما يلي الجناس التام حاجتها إلى الإيقاع الواحد المتكرر"<sup>1</sup>.  
فالجناس بصفته ظاهرة موسيقية كلامية قد حفلت به شواهد غزيرة في الأدب العربي القلبي شعره ونثره، مما يدل على ميل العرب لهذا اللون من الموسيقى الكلامية<sup>2</sup> أو الانسجام الذي يخلتسه تردد أصوات متماثلة أو متقاربة.

وإذ أن التجنيس تلك حقيقته من حيث الإيقاع الصوتي، ومن حيث أنه قسم من أقسام المحسنات البديعية، فلا تقتصر وظيفته البيانية على مجرد التحسين والزخرف اللفظي، وإنما يتعدى تود إلى الوفاء بالمعنى مع الإفادة أو الإضافة المعنوية، لأن اختلاف المعنى بين المتجانسين شرط في تحقيق تلك الإضافة، إذ المطلوب من اللفظة الثانية أن تضيف معنى جديدا للفظ الأولى ويكون السياق قد استدعى ذلك لإتمام المعنى المقصود، ويوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني وفقا لنظريته في النظم، نافي أن يكون للفظ في ذاته أي أثر في تحسين الكلام وبلاغته، وإنما الأثر كله للنظم وللتأليف والصياغة. فيقول: "وعلى الجملة فإنك لا تجسد تجنيسا مقبولا... حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تتبغى به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه"<sup>3</sup>.

ومنه أن الحسن في الجناس- في نظر الجرجاني- لا يعود إلى لفظه، وإنما يعود إلى معناه. إلى جانب ما يولده من إيقاع نغمي حسن الوقع على المسامع، فالوظيفة التعبيرية للجناس، وما له من الأثر النفسي من ناحية وتلاؤمه وانسجامه مع النظم من ناحية أخرى، كل ذلك يبرزما للجناس من عظيم المزية، وشرف المترلة في تشكيل البيان وتأثيره من الناحية البنوية للنص، وهو رأي يُحسب للجرجاني فقد أكد على قيمة بعض المحسنات البديعية من حيث تشكيلها المعنوي في الصياغة أو النظم، أي أن يكون للمحسن البديعي "دور في نقل المعنى وإيصاله، وأن ينسجم في الوقت نفسه مع البناء العام للتركيب البلاغي، ولا يكون على حساب هذا البناء"<sup>4</sup> غير أن البلاغيين أفسدوا هذه الناحية من مباحث البديع عندما جعلوه شيئا إضافيا يأتي وراء الإفادة وظهور الدلالة، وجودة المطابقة

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص82.

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص303.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، صححه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، د.ط، بيروت-لبنان، دار المعرفة، د.ت، ص8.

<sup>4</sup> أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، د.ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1410هـ/1990م، ص283.



للمقام، وبعد مراعاة مقتضى الحال<sup>1</sup> ولا يعدو أن يكون حلية شكلية تضاف إلى الصورة لمجرد الزينة التي لا تفيد شيئاً في وضوح الفكرة أو خفائها.

وهذا ما يخالف كلية النتيجة التي توصل إليها عبد القاهر وهي أن التحنيس لا يتم له فضيلة في الكلام "إلا بنصرة المعنى إذ لو كان اللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، ولما وجد فيه إلا معيباً مستهجن.. إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها"<sup>2</sup>.

كما ذهب الزمخشري وفق هذا المنحى، فهو يرى أن الجنس "من محاسن الكلام، الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعاً، أو بصيغة عالم بجوهر الكلام، يحفظ معه صحة المعنى وسداده"<sup>3</sup>. فبهذا المقياس، يكون الجنس وسيلة يستدعيها المعنى أو النظم لأداء الفكرة على الوجه الأكمل، لا سيما إذا لم يكن وراء استخدامها تكلف أو طلب حلية، وإن كان هذا غرض من أغراضه في صيغة الكلام، وذلك ما لم ينكره الزمخشري ولا الجرجاني، فكلاهما أقرّ بصنعة البديعية التي يحسنُ بها الكلام، ولكنه - في نظرهما - قشر بجانب اللبّ، و"ما اللبّ في - رأيهما - إلا الظلال المعنوية والنفسية التي يوحىها نظم الكلام"<sup>4</sup>، لأنّ هذا النوع من التعبير اللفظي يهدف إلى إحداث تأثيرين: أحدهما: صوتي، وهو توفير نوع خاص من الانسجام في النغم، والتقارب الصوتي، أما التأثير الثاني. فهو معنوي، ناتج من سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه"<sup>5</sup>، وهذا ما يسمّيه البلاغيون بالجناس المطبوع، فقد ورد على صورته البديعية كثيراً في القرآن الكريم؛ وبكثافة واضحة في المكّي منه، فقد بلغ في نظمه الحد الأقصى لترجيع صدى الصوت للكلمة المجانسة الأولى، وبفواصل بينهما تقصر وتطول دون تفويت لنغمة الجمال الموسيقي الناتجة من ترديد إيقاعين بينهما انسجام وتوافق قد يكون تاماً، أو يكون ناقصاً، بحسب ما يستدعيه المعنى أو المقام، "فإذا لم يكن المعنى قد استدعى الإيقاع، ولم يكن الإيقاع وليد المعنى، فلا خير في هذا الجنس، بين الكلمتين منفردتين أو في سياق"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة و لأسلوبية، ص196.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص5.

<sup>3</sup> الكشاف/360/3.

<sup>4</sup> أحمد جمال العمري، لمرجع السابق، ص187.

<sup>5</sup> أحمد جمال العمري، لمرجع نفسه، ص146.

<sup>6</sup> منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد. ص77.

وخير مثال عل ذلك قوله تعالى في سورة الروم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (55).

في هذه الآية قد تحقق جناس تام في ترديد كلمة "الساعة"، فكان اتفاق الكلمتين في اللفظ والوزن والحركات، ولا اختلاف إلا من جهة المعنى، إذ ليس منه في القرآن "إلا هذه الآية، فالساعة الأولى عبارة عن القيامة، والساعة الثانية هي واحدة من الساعات، لكنهما اتفقا لفظا فلهذا كان جناسا تاما<sup>1</sup>، واختيار لفظ "الساعة" معنى ليوم القيامة، فيه من الدلالة القوية واللطيفة البديعة التي لا تخفى عن المتدبر البصير، فهي "تدل على دقة مجيئها، ودقة حسابها، وانضباط وقتها، وقصر وقتها الذي يذهل المجرمين، وكأنهم لم يعيشوا في الدنيا غير ساعة من زمن، ولا بقوا في القبر غير ساعة من زمن، إنما جاء إحساسهم بقصر الوقت تعبيرا عن هول المفاجأة، لذا لم تكن لفظة أخرى بقادرة على إعطاء هذا الإحساس أكثر من كلمة "الساعة"، وهنا وجب التجانس التام، بين المعنى والتلغيم، لا لزر كشة ولا لتزيين، أو تحسين، إنما وفاء للمعنى ودقة في الأداء، وتصويرا للمفاجأة، ومدى وقعها على هولاء المجرمين<sup>2</sup>.

من هنا، فقد وردت الكلمتان متفتحتين في الإيقاع الصوتي التام، مختلفتين في المعنى، مرتبطتين في الإطار العام بالسياق، وذلك لم يكن إلا لغرض إتمام المعنى والوفاء به، ثم ما نتج عن تكرار النغمة نفسها - ولكن بمعنى آخر - من إضفاء الجمال الموسيقي النابع من ترديد الإيقاع مرتين بينهما فاصل، حتى يتيح للمستمع أن يجول بفكره ونظره متدبرا في الحقيقة التي تضمنتها الآية الكريمة وفيها بيان وأي بيان.

وشبيه بهذا الجناس الناقص، أو المشبه، "وهو يأتي على أنحاء مختلفة وحاصله أنه يتطرق إليه الاختلاف بوجه من الوجوه"<sup>3</sup>.

وقد ورد منه في القرآن كثيرا على أضرب عديدة ميزت السور المكية بحضور وافر أسهم في تكثيف جماليات الإيقاع المتناغم الذي تميزت به السور المكية عموما، وموازيا مطابقة الحال، أو موافقة الوصف الذي يقتضيه المعنى في حدود السياق الذي يجري فيه، وهو ما يلاحظ بجلاء بحيث أن القرآن وإن جاء على أساليب فنية بلاغية، فقد برئ من كل تكلف أو تحمّل لفظي أجوف، وإنما هو

<sup>1</sup> يحيى بن حمزة العلوي، الطراز 2/ 356.

<sup>2</sup> منير سلطان، البديع ناصيل وتجديد، ص 87.

<sup>3</sup> يحيى بن حمزة العلوي، للمرجع السابق، 359/2.

ذلك البيان البديع السَّمَح السَّلَس، الذي فيه من التعبير أبلغه، ومن المعنى أشرفه، كالذي جاء في قوله تعالى: ﴿ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ ﴾ [النمل: 22].

فلقد "جاء ههنا زائدا على الصحة [صحة المعنى] فَحَسُنَ، وَبَدَعَ لفظا ومعنى، ألا ترى أنه نـر وُضِعَ مكان "نبأ" "بخبير" لكان المعنى صحيحا، وهو كما جاء أصحَّ في النبأ، من الزيادة التي يطابقها وصف الحال"<sup>1</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: 26] إن في الآية تماثلا وتجانسا يكاد يكون تاما، وهذا ما يجعلك تحس بالإيقاع الجميل في أجزاء الآية، أي أن القارئ وهو يتلو الآية الكريمة يشعر وكأن هناك إيقاعا نفسه يتكرر ضمنها ويعود هذا إلى سببين هما:

1- التماثل على مستوى الحركات والسكنات.

2- التماثل على مستوى أغلب الحروف.

الكلمتان المتجانستان	الأصوات المشتركة	الإيقاع الصوتي
ينأون ينهون	الياء-النون-الواو- النون	تام
عنه عنه	كل الأحرف	تام

فالتجانس في الآية الكريمة- كما يمثل الجدول- بين "ينهون و ينأون"، وهما مقطعان صوتيان غير تامين، ومختلفان في المعنى، ونلاحظ أن الجار والمجرور المتعلق بالفعلين واحد، وهو "عنه"، أي أن الرسول ﷺ يحدث له النهي عنه، والنأي عنه<sup>2</sup>، والنهي أمر بالابتعاد بالقول، والنأي ابتعاد بالفعل والجسد، والنهي يصدر إلى الآخرين من الكفار، والنأي أمر يصدر من الكفار إلى أنفسهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الكشاف 360/3.

<sup>2</sup> الكشاف 14/2.

<sup>3</sup> منير سلطان، البديع ناصيل وتحديد، ص88.

وإيقاع النهي قريبٌ جدًا من التأيي، واتحاد الإيقاع يوحى بأنَّ الفعلين كانا يصدران بنفس القوة والعنف والغل...ولذا جاء الجناس، لأنهما فعلان من جنس واحد، هو الحقد الأسود، وجاء الجناس ناقصا، وما كان يصلح إلا أن يأتي ناقصا، للوفاء بالمعنى والوفاء بالإيقاع بلا تكلف<sup>1</sup>.

تلك أمثلة قليلة جيء بها لقصد إبراز القيمة الفنية للجناس في النظم القرآني، وبيان مدى ما يحققه من الإيقاع الحسن، وجمعه في الوفاء بين المعنى والإيقاع، وليس في القرآن الكريم من الجناس إلا على هذا النمط الأسلوبى. وقد رصد البحث مواضع الجناس في الآيات المكية، بغية الوقوف على سماته، ومدى مساهمته في توفير الإيقاع وخلق الانسجام الصوتي في النص القرآني، وعند الاستقراء. لم يوجد من الجناس التام في السور المكية إلا آية سورة الروم التي سبق تحليلها سلفا، وأما غير ذلك، فهو من الجناس غير التام بمختلف أنواعه، كما يحاول حصرها الجدول التالي:

مسلسل	اللفظان المتجانسان	السورة	رقم الآية	نوع التجانس
1	ينهون...ينأون	الأنعام	26	مضارع
2	وجهت وجهي	الأنعام	79	اشتقائي
3	أسفى...يوسف	يوسف	84	اشتقائي
4	خزائنه...خازنين	الحجر	21 - 22	اشتقائي
5	الصبيحة...مصباحين	الحجر	83	مصحف
6	أصفح الصفح	الحجر	85	اشتقائي
7	كُلِّي...كلُّ	النحل	69	ناقص (مطرف)
8	قرأت القرآن	النحل	98	اشتقائي
9	تزر(وازره وزر)	الإسراء	15	اشتقائي
10	قرأت القرآن	الإسراء	45	اشتقائي
11	لتعلن علواً	الإسراء	4	اشتقائي
12	قاموا فقالوا	الكهف	14	لاحق
13	يحبسون...يحبسون	الكهف	104	مصحف
14	نادى... نداء	مريم	3	اشتقائي

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 89

15	خَلْفٌ...خَلْفٌ	مريم	59	اشتقاقي
16	أرحم الراحمين	الأنبياء	83	اشتقاقي
17	الصابرين...الصلحين	الأنبياء	85	لاحق
18	أرسلنا...رسول	الأنبياء	25	اشتقاقي
19	وجبت جنوبها	الحج	36	ناقص
20	أرسلنا...رسول	الحج	52	اشتقاقي
21	أنزلي متزلاً... المترلين	المؤمنون	29	اشتقاقي
22	يوتون ما أتوا	المؤمنون	60	اشتقاقي
23	سبأ نبأ	التمل	22	لاحق
24	أسلمت ... سليمان	التمل	4	ناقص
25	تقوم ، مقامك	التمل	39	اشتقاقي
26	أعمال...عاملون	المؤمنون	63	اشتقاقي
27	أرحم الراحمين	المؤمنون	118	اشتقاقي
28	فعلت فعلتك... فعلت	الشعراء	19	اشتقاقي
29	يسقين...يشفين	الشعراء	79- 80	مصحف
30	يعلمه علماء	الشعراء	197	اشتقاقي
31	منقلب ينقلبون	الشعراء	227	اشتقاقي
32	كلنا كنا	القصص	45	ناقص (مكتنف)
33	تصيبهم مصيبة	القصص	47	اشتقاقي
34	أقم...القيم	الروم	43	اشتقاقي
35	منذرين...منذرين	الصفوات	72- 73	المحرف
36	صوّرَكم...صوّرَكم	غافر	64	اشتقاقي
37	تفرحون...تفرحون	غافر	75	لاحق
38	أغنى...أغنى	النجم	48	لاحق
39	جنى الجنّتين	الرحمن	54	اشتقاقي

اشتقائي	1	الواقعة	وقعت الواقعة	40
اشتقائي	19	القلم	طاف، طائف	41
اشتقائي	15	الحاقة	وقعت الواقعة	42
اشتقائي	18	الحاقة	تحفى...خافية	43
اشتقائي	89	الواقعة	روح...ريجان	44
اشتقائي	9	الجن	نقعد...مقاعد	45
اشتقائي	9	المدثر	نقر... الناقور	46
اشتقائي	45	المدثر	نخوض... الخائضين	47
اشتقائي	18	القيامة	قرأناه...قرآنه	48
مضارع	23 - 22	القيامة	ناضرة...ناظرة	49
ناقص (مردوف)	30 - 29	القيامة	الساق...المساق	50
اشتقائي	8	الإنسان	يطعمون الطعام	51
لاحق	16- 15	التكوير	الخنس...الكنس	52
لاحق	21-20	التكوير	مكين...أمين	53
اشتقائي	18-17	الإنشاق	وسق...أتسق	54
اشتقائي	3	البروج	شاهد...مشهود	55
اشتقائي	8	الأعلى	نيسرك لليسرى	56
اشتقائي	25	الفجر	يعذب عذابه	57
اشتقائي	26	الفجر	يوثق وثاقه	58
اشتقائي	7	الليل	سنيسرّه لليسرى	59
لاحق	10-9	الضحى	تقهر...تنهر	60
لاحق	2 - 1	العلق	خلق...علق	61
اشتقائي	1	الزلزلة	زلزلت زلزالها	62
لاحق	8 - 7	العاديات	شheid...شديد	63
ناقص (مردوف)	11	العاديات	رّبهم بهم	64

65	همزة لمزة	الهمزة	1	لاحق
66	يمنعون الماعون	الماعون	7	ناقص
67	فلق ... خلق	الفلق	2-1	لاحق

يتبين من الجدول السابق، أنّ تجانس الكلمتين كان نتيجة المماثلة في الحروف أو التماثل الجزئي والكلي في الحركات والسكنات مما يعطي جرسا إيقاعيا يلتذ به السمع، والغلب في جناس السور المكية- كما يتضح من خلال الجدول- هو جناس الاشتقاق القائم على تكرار حروف تشترك من الوجهة الإيقاعية، إذ أنّه اتفاق الكلمتين في معنى واحد يجمعهما<sup>1</sup>، وهو إذ يجيء على هذه الصورة يزيد الأسلوب قوة بياناً، والمعنى وضوحاً ونفاذاً، كما لمس ذلك صاحب الكشف بدوقه البياني من خلال قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾ [يوسف:84] "أضف الأسف وهو أشدّ الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة، والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمد فيملح ويبدع... لأنّ الرّزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترّبت عليها الرّزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به"<sup>2</sup>.

ومن الجناس الذي توافر فيه التطابق الصوتي التام، هو ما أطلق عليه البلاغيون "الجناس المضارع"<sup>3</sup> الذي يكون فيه معني الكلمتين قد اختلف لوجود فونيم في الكلمة الأولى له ما يقابله في الكلمة الثانية، والحرفان متقبلان في المخرج ومتناسبان صوتياً، وتحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجُحُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (22) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (23) ﴿[القيامة]﴾، فاللفظان: (ناضرة) ونظيرتها (ناظرة) قد اختلفا معنوياً بحرف مناسب للآخر وهما حرفا الضاد والطاء، وبذلك يحدث نوعاً من الإيقاع الصوتي العذب بالتقاط صدى الصوت الأول وترديده، زيادة على التطابق الصوتي التام، أو التوافق في الحركات والسكنات كما يمثل ذلك الجدول التالي:

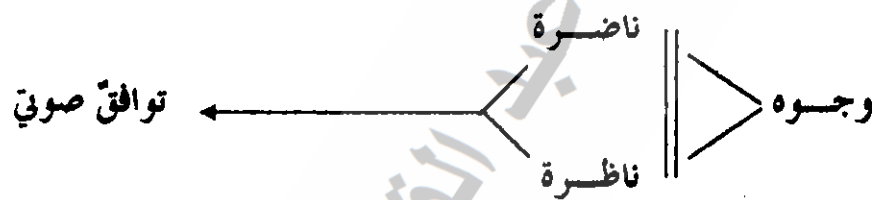
مجال الحركات والسكنات			
الكلمة الأولى	نَا	ضِرَ	ةَ
الكلمة الثانية	نَا	ظِرَ	ةَ
نوع التطابق الصوتي	+	+	+
نوع الإيقاع	إيقاع تام		

<sup>1</sup> يحيى بن حمزة العلوي، الطراز 3/353.

<sup>2</sup> الكشف 2/496.

<sup>3</sup> أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، د. ط. بيروت، دار القلم، د. ط. ص 332.

وإلى جانب هذا التجانس الصوتي أو الوفاء بالإيقاع بلا تكلف، يصاحبه وفاء بالمعنى حين وعد الله تعالى الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها حالة، فالإنسان قد ينظر إلى أي صنع حميد من صنع الله في الأرض فإذا الوضاعة والنضارة ترسم على ملامح وجهه "فكيف بها وهي تنظر - لا إلى جمال صنع الله - ولكن إلى جمال ذات الله؟"<sup>1</sup>، فالوجه تَنْظُرُ وهي تنظر إلى ربها، والنظر صادر من الوجه وهما يحدثان في وقت واحد، لذا جاء الإيقاع تاما وظهر الانسجام واضحا بين الجملتين كما يصور ذلك الرسم التالي:



وبذلك كان تجانس اللفظين حسنا لأن موقع معنيهما من العقل كان حميدا وكانت الفائدة عظيمة. ولما يكون معنى الكلمتين قد اختلف لإبدال حرف ليس من مخرج الحرف الذي يقابله مسر الركن الآخر ولا يقاربه أطلق على هذا اللون من الجناس "جناس اللاحق" الذي يتحقق فيه أغلب الأصوات في الكلمتين ليحدث بينهما نوعا من الجناس الصوتي، وقد ورد هذا اللون في السور المنكية في كثير من المواضع التي اقتضاها السياق أو المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: 75]، فالجناس الصوتي حدث من اجتماع لفظي "تفرحون" و"تمرحون" في هذه الآية، وكان الفرق بينهما حرف الفاء بدل الميم، وأن الفرح غير المرح وليس مترادفين في الآية، ففي المرح زيادة معنى، لأن الفرح هو الأشرُّ والبَطْرُ<sup>2</sup>، أما المرح فهو شدة الفرح والتوسع في البطر<sup>3</sup>، أو مجاوزة الحد في بطر النعمة، أي أن الكلمة الثانية تتضمن بحسب السياق إضافة وإفادة لا تتأتى بمضمون الكلمة الأولى وحدها، وأن التماثل التام في الحركات والسكنات يقوم

<sup>1</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، مج6، الجزء التاسع والعشرون، ص3771.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، (مادة فرح)، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر، 1412هـ/1992م، 541/2.

<sup>3</sup> لسان العرب، (مادة مرح)، 591/2. وانظر: كلمات القرآن، تفسير وبيان، ص276.



بإحداث التوازن النغمي، كما يغطي التماثل الناقص في الحروف الذي في حرف الفاء والميم، إذ ليس بينهما تقارب صوتي، لذا كان التماثل في الحركات والسكنات معتبرا وإيجابيا من الوجهة الإيقاعية.

وأما أن تكون إحدى الكلمتين مشتملة على حروف الكلمة الأخرى مع زيادة<sup>1</sup>، فيكون "جناسا ناقصا" كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 29-30].

فزيادة الميم في "المساق" هو الذي أوجب كونه جناسا ناقصا من ضرب "المردوف"، وبما أن المقام هو الآخرة لما يُساق العباد مساقاً للجزاء ليرَوْا أعمالهم وما تشهد عليهم من خير أو شرّ، وهذا ما تفسره آية سورة "ق" في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [21]، من هنا ندرك أن لفظة "المساق" التي جاءت مجانسةً صوتياً للفظه "الساق"، قد اختيرت لتكون في موضعها من السياق لتؤدي المعنى وافياً، وكان الإيقاع وليد هذا المعنى ومنبثقا عنه، وزيادة حرف الميم لم تؤثر في الملاءمة الإيقاعية بين اللفظين أو في إحداث التجانس الصوتي في الآية الكريمة.

وفي كل ما سبق بيانه، وفي غير ذلك من ألوان الجناس الميثوثة في السور المكية يظهر لنا ذلك التوفيق الأسلوبي الدقيق في الملاءمة بين الألفاظ لتوفير التناسب في الإيقاع، وكل ذلك مرتبط بالدلالة التي يستدعيها المقام ومن ثمّ، فإنّ القرآن-هَذَا- قد نقل هذا المحسّن البديعي (الجناس) من اعتباره تماثلا في المقاطع على مستوى الأسجاع والقوافي، أو مناسبة لفظية زائدة على عملية البيان الأصلية إلى اعتباره ذا وظيفة دلالية؛ إذ أنّ الدلالة هي التي تقتضي هذا اللون البلاغي، ويقود النظم إليه لحسن الإفادة، وبلوغ القصد في غاية البيان، أي أنّه جرس صوتي قائم على الانسجام والتماثل والتقارب الصوتي مبعثه الأسلوب نتيجة لاختيار وحدات لغوية بعينها في مكائنها المطلوب من السياق.

وظاهرة التجانس الصوتي في القرآن المكّي خاصية تتعلق بجانب من جوانب الأسلوب المتّزن الذي يهدف إلى إرضاء الأذن بالنغم القائم على التناسب الصوتي والتقابل الموسيقي في تركيب الكلمات وحروفها دون أن يطغى ذلك على أداء المعنى أو تعطيل الإفادة وإثما القرآن قد استغل "وظيفة التحسين في اللغة من حيث هي إمكانات لغوية لها تصور شكلي محدد في إبراز الناحية

<sup>1</sup> يحيى بن حمزة العلوي، الطراز 352/3.

الجمالية التي تتجاوز مجرد الإفهام والإفادة مع مراعاة المقتضى في علم المعاني<sup>1</sup> وهو بهذا قد رفع عن المحسنات ما لازمها من ألوان الغموض ومناهات التلاعب بالألفاظ والعبية التي لا تفيد شيئا في التعبير عن العاطفة أو الإحساس أو الإسهام في توضيح المعنى الذي يتضمنه السياق، لأن ربط هذا الأخير بالصياغة في القرآن كان لغايتين متمازتين هما: إقناع المتلقي وإمتاعه وشدَّ انتباهه، وما التجانس الصوتي إلا أحد الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس، ولون من ألوان الإيقاع الصوتي الذي يعاون على التأثير المعنوي والنفسي.

## (2) إيقاع الصَّيغ المتماثلة

في السور المكية التي تكثر فيها ألوان من الانتظام الصوتي المرتبط بالمكونات اللغوية، ورد نوع من النسق الإيقاعي اللطيف على شكل لازمة إيقاعية متكررة في عدد من السور، وكان الإيقاع بالصيغة هو عماد النسق الصوتي المتكرر، وقد جاء هذا التلازم الإيقاعي لأغراض تتصل بالسياق، أولها علاقة في تحديد البنية الداخلية للنص القرآني، وكان توظيفه البياني قد استثمر استثمارا بارعا، إذ أن المقام يقتضيه لما له من تأثير في الدلالة؛ إيضاحا وقوة وتأكيذا.

وقد ورد هذا النسق الإيقاعي في السور المكية متوسطة الطول، وسور المفصّل والسور القصار، والجامع بينهما هو قصر آياتها، مما يناسب فواصلها مثل هذا النسق الذي ينتهي بنغمة التنوين المدوّية، والتي تزيد في عدوية النغم القرآني حُسْنَا يَلْتَذُّ بِهِ السَّمْعُ، لذا فإن ظاهرة الإيقاع بالصيغة لا يمكن أن تُفسَّرَ إلا في ضوء الخصائص الصوتية للبنية الإيقاعية الداخلية لكل سورة، ثم تفسيرها بوصفها ظاهرة مكررة في القرآن المكي. فما هي القيمة الإيقاعية لهذا التكرار؟ وما هي ظلاله الدلالية؟ هذا ما يحاول المبحث كشف النقاب عنه ابتداء من محاولة حصر هذه الظاهرة المتكررة في عدد من السور المكية بواسطة الجدول التالي:

رقم الآية	السورة	الآية	مسلسل
4	الإسراء	لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا	1
7	الإسراء	وَلِيَتَّبِعُوا مَا عُلُوًّا تَثْبِيرًا	2
12	الإسراء	وَكَوَّلَ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا	3

<sup>1</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 197.

4	فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا	الإسراء	16
5	وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا	الإسراء	26
6	وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا	الإسراء	43
7	فَتَفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا	الإسراء	91
8	لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَّةَ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا	الإسراء	106
9	وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكِبْرَهُ تَكْبِيرًا	الإسراء	111
10	وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا	الإسراء	70
11	فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا	مريم	75
12	وَلْيُمِدَّهُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا	مريم	79
13	أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُثُهُمْ أَرْثًا	مريم	83
14	فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُهُمْ لَهُمْ عَذَابًا	مريم	84
15	لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا	مريم	94
16	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا	الفرقان	2
17	وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا	الفرقان	21
18	وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّخْجُورًا	الفرقان	22
19	وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا	الفرقان	25
20	لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا	الفرقان	32
21	كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاَهُمْ تَدْمِيرًا	الفرقان	36
22	وَكَأَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا	الفرقان	39
23	ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا	الفرقان	46
24	وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّخْجُورًا	الفرقان	53
25	فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا	الفرقان	71
26	ثُمَّ لَنَسْفَعْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفَاعًا	طه	97
27	فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا	طه	105

28	تَمُورُ السَّمَاءِ مَوْرًا	الطور	9
29	وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا	الطور	10
30	إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا	الواقعة	4
31	وَبُهِتَتِ الْجِبَالُ بُهًا	الواقعة	5
32	وَاللَّهُ أَلْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا	نوح	17
33	ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا	نوح	18
34	أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا	المزمل	4
35	فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا	المزمل	16
36	وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا	المدثر	14
37	عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا	الإنسان	6
38	وَذَلَّلْتُ قَطُوفَهَا تَذْلِيلًا	الإنسان	14
39	فَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا	الإنسان	16
40	إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا	الإنسان	23
41	وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمثَالَهُمْ تَبْدِيلًا	الإنسان	28
42	وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا	التبأ	28
43	أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا	عبس	25
44	ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا	عبس	26
45	وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا	الفجر	19
46	وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا	الفجر	20
47	كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا	الفجر	21

من خلال هذا الجدول يظهر بوضوح أن النسق الإيقاعي قد لازم قالباً صوتياً ونحويًا ودلاليًا واحداً، لأن التركيب النحوي واللغوي لبنية هذا النسق الصوتي قد حافظ على نمط تركيبى واحد قائم على التوزيع الثنائي وفق الصيغة التالية: [(الفعل + الفاعل) + المفعول به + المفعول المطلق] كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْسِيرًا﴾ [الإسراء: 111].

## [كِبْرَةٌ تَكْبِيرًا]

[ (فعل + فاعل) (أنت) + المفعول به (الضمير المتصل) + مفعول مطلق ]

" والإتيان بالمفعول المطلق بعد "كِبْرَةٌ" للتوكيد، ولما في التنوين من التعظيم، ولأن من هذه صفاته هو الذي يقدر على إعطاء النَّعم التي يعجز غيره عن إسدائها"<sup>1</sup>.

لذا جاء الأمر لتعظيمه تعظيماً جليلاً يليق بمقام سلطانه عن أن يلحقه شيء من النقائص ويجيء بالمفعول المطلق لبيان أغراض في المعنى، وأغلب ما جاء في القرآن المكي هو لتأكيد المعنى ورفع الالتباس أو تقرير معنى الكمال في حصول الفعل الذي يقوم به الفاعل وهو المبالغة التي تذهب بكر توهم أو نقص في تأدية الفعل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:16]: فإن هذه الآية تخبرنا بعاقبة إحدى القرى التي حق عليها عقاب الله تعالى فخرَّبها "تخريباً لا يُكتنه كنهه ولا يُوصف، وأهلك من كان فيها من أهلها إهلاكاً هائلاً...إشارة إلى التنكيل بهم بدم صروحهم ودورهم، وطمي أثرهم، وهو أوجع للقلب وأنكى للعدو، ولذلك أتى إثره بالمصدر المؤكد فقال: (تَدْمِيرًا) أي كلياً بحيث لم يبق لهم زرع وضرع"<sup>2</sup>. فتتابع الأصوات في الجملة وتلاحقها وتكرارها، حريّ بتوليد إيقاع نغمي ولده حرف "الدال". والتنوين في المفعول المطلق، وهي نعمة مشوبة بالقوة والعنف، تعبير عن الشدة والغضب العاصف بالقوم الكافرين.

أما الصفة التعبيرية بهذه الصيغة أو بهذا النسق الإيقاعي، - كما هو مبين في جميع الآيات الواردة في الجدول - فتفيد بلاغة في المعنى ووقعا شديدا على النفس، بحيث يشعر المرء للآيات بضغط قوي على اللسان وداخل الفم، ذي جرس يتصل بالنطق والسماع، إنه إيقاع يتلاءم والصيغة التعبيرية لمحتواه ولا سيما إذا كان الأمر أو الخطاب صادرا من الله تعالى، ففي كلامه نفاذ لا مرد له ولا معقب من بين يديه ولا من خلفه.

وإن الذي يستدعي التعبير بهذه الصيغة، هو السياق الذي يختار هذه النمطية في الأسلوب، وذلك لما يكون مقام الآية في حاجة إلى زيادة بيان أو تأكيد مطلق أو ما إليه من الدلالات التي تكتنفها صيغة المفعول المطلق في كل آية أو سورة من السور.

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء الخامس عشر، ص240.

<sup>2</sup> محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، المجلد السادس، الجزء السابع عشر، ص214.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:106] ففي فعل "نزلناه" المضاعف وتأكيد به بالمفعول المطلق إشارة إلى تفريق إنزاله المذكور في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:105] وأن في التضعيف الصوتي لحرف "الزّاي" الذي يزيد طاقة الحرف الصوتية عمقا، دلالة واضحة كما يكشف ذلك النظام المقطعي المتلاحق في الجملة: [ن- ز / ز- ل / نا / ه- / ت- ن / ز- ي / ل- ن]، إذ نلمح- في هذا التشريح المقطعي- تكرار حرف الزّاي مرتين وهو الذي ولّد هذه النغمية، إلى جانب حرف النون واللام، وهي كلها أصوات مجهورة، ساعدت في نقل الدلالة المناسبة للمقام المعبرة عن معنى الضبط والدقة والتأكيد أيضا. وعليه فإن إيقاع الوحدات اللغوية المشكّلة لهذه الصيغة الإيقاعية الواردة في السور المكّية، كانت كلها في المقام الذي يقتضيها، لتعبّر عن التصوير الكامل للموقف أو المشهد المراد تصويره. أو تأكيد المعنى والدقة في وصف الحدث، وكما يأتي البيان القرآني بالصيغة هذه لرفع اللبس والتوهّم أو النقص الذي يلحق المعنى المراد نقل دلالته للمخاطب، إذ أنّ التعبير بهذه الصيغة الإيقاعية مطلب مقصود ويستدعيه النظم.

لهذا كان اختيار القرآن الكريم لهذه الصيغة الإيقاعية في خطابه اختيارا يقود المعنى إليه، ويؤمّمه السياق القرآني على اختلاف مواضعه من الآيات والسور، مما أفرز تلك الملاءمة، أو التعانق البارع بين الإيقاع الصوتي والدلالة في ظل المقام الواحد من الخطاب القرآني. وكما لا يخفى، أنّ ورود هذه الصيغة في آخر الآية<sup>1</sup> يجمل الموقف عندها، لما تتضمنه من مدّ صوتي وهو عنصر هام في جماليات التشكيل الصوتي وفي توضيح ما يسمّى التأليف اللحني للنص<sup>1</sup>.

### ثالثا: تكرار القالب الصوتي

من السمات الواضحة في القرآن المكّي، التكرار النمطي لبعض التراكيب اللغوية بحيث تشكل من الناحية الإيقاعية قالباً صوتياً مكرراً، بصيغة تتسم بالنظام الدقيق الذي له من الدلالة الفنية ما يجعله قريبا من الأذن الموسيقية، مؤثرا في النفس، شديد النفاذ إلى القلب. وهذا القالب الصوتي يأتي من توافق وتطابق في أركان العبارة أو تطابق في مستوى الحركات والسكنات، وقد يكون في أغلب المكونات اللغوية للعبارة دون أن تشعر بمفاجآت صوتية، فالوحدات تنساب كانسياب ماء النهر المتدفق، ولا شك أنّ في هذا الانسياب تأثيرا جماليا له وزنه واعتباره.

<sup>1</sup> تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص51.

وقد ورد القالب الصوتي المكرر في كثير من المواضع من السور المكية، وبصور مختلفة تلائم السياق وتتساوقه اتساقا باهرا، وغالبها يرد في أول السور، كما يرد في وسطها وفي آخرها أيضا. والجدول الآتي يرصد مواضع تكرار القالب الصوتي ومدى تواتره في السور المكية:

السورة	رقم الآية	القالب الصوتي
المؤمنون	2	- الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
المؤمنون	3	- وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
المؤمنون	4	- وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ
المؤمنون	5	- وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ
المؤمنون	8	- وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
المؤمنون	9	- وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
المؤمنون	57	- الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ
المؤمنون	58	- وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ
المؤمنون	59	- وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ
الشعراء	90	- وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ
الشعراء	91	- وَبُرِّزْتَ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ
الصفات	1	- وَالصَّافَاتِ صَفَا
الصفات	2	- فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا
الصفات	3	- فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا
الذاريات	1	- وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا
الذاريات	2	- فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا
الذاريات	3	- فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا
التجم	43	- وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى
التجم	44	- وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا
التجم	48	- وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى
الواقعة	28	- فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ

الواقعة	29	- وَطَلَحَ مَنْضُودٍ
الواقعة	30	- وَظَلَّ مَمْدُودٍ
الواقعة	31	- وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ
المدثر	3	- وَرَبِّكَ فَكَبِيرٍ
المدثر	4	- وَتِيَابِكَ فَطَهَّرُهُ
المدثر	5	- وَالرُّحَى فَاهْجُرْ
المدثر	7	- وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ
المدثر	33	- وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ
المدثر	34	- وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ
المرسلات	1	- وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا
المرسلات	2	- فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا
المرسلات	3	- وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا
المرسلات	4	- فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا
المرسلات	5	- فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا
المرسلات	8	- فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ
المرسلات	9	- وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ
المرسلات	10	- وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ
المرسلات	11	- وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ
النبأ	9	- وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
النبأ	10	- وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا
النبأ	11	- وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا
النبأ	13	- وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا
النبأ	19	- وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا
النبأ	20	- وَسِيرَتِ الْجِبَالُ كَأَنَّهَا سَرَابًا
النازعات	1	- وَالنَّازِعَاتِ غُرَفًا



النازعات	2	- وَالتَّاشِطَاتِ نَشِطًا
النازعات	3	- وَالسَّابِحَاتِ سَبِيحًا
النازعات	4	- فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا
النازعات	5	- فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا
عبس	25	- أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
عبس	26	- ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا
التكوير	1	- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ
التكوير	2	- وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ
التكوير	3	- وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ
التكوير	4	- وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ
التكوير	5	- وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
التكوير	6	- وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ
التكوير	7	- وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ
التكوير	8	- وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ
التكوير	10	- وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
التكوير	11	- وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ
التكوير	12	- وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ
التكوير	13	- وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ
التكوير	17	- وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ
التكوير	18	- وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَسَ
الانفطار	1	- إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ
الانفطار	2	- وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انشَـرَّتْ
الانفطار	3	- وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ
الانفطار	4	- وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ
الانفطار	13	- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ

الانفطار	14	- إِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَجِيمٍ
المطففين	7	- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ
المطففين	18	- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ
الانشقاق	2-1	- إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ
الانشقاق	4-3	- وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ
الطارق	11	- وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ
الطارق	12	- وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ
الشمس	5	- وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
الشمس	6	- وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
الشمس	7	- وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
الليل	7-5	- فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى
الليل	10-8	- وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى
الغاشية	26-25	- إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ
الزلزلة	7	- فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
الزلزلة	8	- وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ
العاديات	3-1	- وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا
العاديات	5-4	- فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا فَوْسَطُنَّ بِهِ جَمْعًا
العصر	3	- وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

إن الناظر في الجدول السابق، يلحظ أن القالب الصوتي في العبارات القرآنية لم يكن على وتيرة واحدة، وإنما اتخذ أنماطا عديدة وتشكيلات متباينة، سواء من حيث طوله وقصره، أم من حيث تركيبه اللغوي وذلك تبعا للسياق الذي يرد فيه الإيقاع المكرر في موضع من المواضع. والمراد بالتكرار في هذا المقام هو تكرار ضرب من الإيقاع ناتج عن تكرار بنية الوحدات اللغوية في العبارة، دون تكرار الدلالة.

وعمداد هذا القالب الصوتي في الآيات المكية التماثل في أجزاء العبارة، والذي يكاد يكون تماثلا في بعض المواضع، وهذا ما يجعل السامع يحس بالإيقاع الجميل لا في نهاياتها فقط بل في كل أجزاءها.

أي أنك إذا انتقلت في قراءتك إلى الجزء الثاني من العبارة، شعرت تقريبا بنفس الإيقاع الذي مررت أثناء قراءتك للجزء الأول. وقد يتكرر قالب الصوتي أكثر من مرتين إلى عشر مرات كما في سورة "التكوير"، وكل ذلك يسري فيه ضرب من الإيقاع على وتيرة واحدة متماثلة، ويعود هذا إلى سبين رئيسين هما:

- التماثل في البنية اللغوية التركيبية لأجزاء العبارة.

- التماثل على مستوى الحركات والسكنات وبعض الحروف.

فالجدول السابق الذي استقصى مواضع القالب الصوتي، قد بين أنماطا أو مجموعات من القوالب الإيقاعية، فنجد منها ما يقرب إلى الطول كما نلمسه في أوائل سورة "المؤمنون"، مع الحرص على تطابق نظام ترتيب الكلمات في الجمل، واختلاف يسير في الطول. والجدول الآتي يبين أسباب وأسرار ذلك التطابق الإيقاعي:

الإيقاع الأول	الإيقاع الثاني	الإيقاع الثالث
الذين هم	في صلاتهم	خاشعون
الذين هم	عن اللغو	معرضون
الذين هم	للزكاة	فاعلون
الذين هم	لفروجهم	حافظون
الذين هم	لأماناتهم وعهدهم	راعون
الذين هم	على صلواتهم	يحافظون
+	+	+

ما يلاحظ في هذا الجدول، هو تشابه العناصر اللسانية من حيث بنية الجمل الداخلية التي أفرزت قالباً إيقاعياً مكرراً يتمثل في تكرار مظاهر إيقاعية ثلاثة على الرغم من كونها تتفاوت فيما بينها تفاوتاً كبيراً:

- المظهر الإيقاعي الأول: اسم الموصول والضمير (هم) المكرر في بداية كل جملة.

- المظهر الإيقاعي الثاني: الجار والمجرور + الضمير المتصل (هم) في الغالب.

- المظهر الإيقاعي الثالث: بنية اللفظة الأخيرة في كل جملة؛ إذ أنّ هناك تجانساً صرفياً

يفسره البناء الصرفي لكل لفظة وهو صيغة اسم الفاعل أو ما يضارعه وهو "الفعل المضارع"، ولا سيما

إذا تعلق الأمر بجمع المذكر السالم للتشابه النبوي التام بين: (مُحافظون = يُحافظون) وللمدّ الذي ينسجم مع نهايات الجمل في الإيقاع الخارجي الملموس في الوقف المراعى في كل آية.

فالجداول بين -عموديا- القاسم المشترك للآيات، وهو التشكيل الإيقاعي الثلاثي المتحسس بداية ووسطا وانتهاء، وإن كان ذلك الاختلاف الصوتي يوجد بين بعض الألفاظ، فإن لفظ "اللغو" يختلف بنويها وإيقاعيا عن لفظ "الزكاة"، وإتاما الأمر- هنا- يتعلق بمنظومة إيقاعية جمالها في نطقها مجتمعة، لذلك ما كان لهذا الاختلاف ليؤثر على سير الإيقاع إذا روعي أن الآيات مشكّلة في عبارات منتظمة؛ فالتقابل الناقص بين الجمل في الوسط (الإيقاع الثاني) يؤثر نوعا ما في الإيقاع العام، لكن التوازن الكائن في البداية والنهاية يقلل من هذا التأثير.

وما يلاحظ أيضا هو أنّ هناك توازنا نحويا وصرفيا، وتوازنا من حيث عدد الوحدات المشكّلة لبنية كل جملة إلا في اليسير الذي لا يكاد يؤثر، لذا أفرز ذلك الإيقاع الجميل المناسب دون مفاجآت صوتية، وإتاما هو وتيرة واحدة من الإيقاع الذي تلتذ به الأذن.

والتوازن الذي يحدث نتيجة التماثل على مستوى الحركات والسكنات وبعض الحروف والتساوي في عدد الحركات والسكنات عبر الوحدات يفرز إيقاعا لا يخفى جماله وروعته أنسرد في الأذن، وقد تحقق هذا في العديد من القوالب الصوتية المكررة في القرآن المكي ومنه ما كان في فاتحة سورة "النازعات" التي استندت في تشكيل بُنيته إلى قانون التوازي أي أن أطرافها متوازنة إيقاعيا وصرفيا كما يوضح ذلك الجدول الآتي:

المفردات	مظهر التوازن	نوعه	الحركات والسكون
التأزعات التأشطات السّابحات السّابقات المديّبرات	ات	صرفي	شبه تساوٍ كامل بسبب مفارقة ( مديّرات في صيغة ) اسم الفاعل
غرقا نشطا سبحا سبقا أمرا	ا	صرفي و لغوي صوتي (في بعض الحروف) س.ب.ق	تساوٍ كامل

وإن التشريح المقطعي الآتي يؤكد جلياً مظهر التوازي و التقابل الكائن بين ألفاظ الآيات:

- الناشطات: ( نـا / شـ / طا / تـ )
- النازعات: ( نـا / زـ / عا / تـ )
- السابحات: ( سا / بـ / حا / تـ )
- السابقات: ( سا / بـ / قا / تـ )
- المدبرات: ( مُـ / دَـ / بـ / را / تـ ) : إن اختلاف هذا الأخير عن مقاطع

الألفاظ السابقة في المقطعين الأول والثاني، لا يكاد يؤثر في الإيقاع المماثل.

أما الطرف الثاني من الجمل، فقد جاءت الألفاظ فيها متساوية تساويًا كاملاً من حيث المقاطع وفي تقابل دقيق من حيث الحركات والسكنات، ويراعى في التشريح المقطعي -هنا- الوقف:  
(غُرْ / قَا )، (نَشْ / طَا )، (سَبْ / حَا )، (سَبْ / قَا )، (أَمْرًا).

فذلك التساوي الكامل أو الناقص إلى حد لا يتال من جمال الإيقاع فتيلًا، هو أساس التأثير الإيقاعي المصحوب بجلال المعنى وإصابته من العقل والقلب معاً.

وفي كثير من المواضع يكون عماد القالب الصوتي ومحدثه هو الازدواج "وهو الجمل المتماثلة الأوزان والمقاطع الصوتية المتشابهة في الإيقاع"<sup>1</sup> وقد تمثل ذلك بدقة متناهية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13، 14] ففي الآية ازدواج بين الجملة الأولى والجملة الثانية أي أن إيقاع الجملة الأولى هو إيقاع الجملة الثانية، وحركات وسكنات حروف الجملة الأولى هي حركات وسكنات حروف الجملة الثانية ناهيك عن التقابل الصرفي والتوازن المقطعي بين الألفاظ .

ومنه أيضاً قوله تعالى في سورة "الغاشية": ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)﴾ وفي سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنِ﴾ [18]، فقد جاءت الجملة الثانية لتوافق القالب الصوتي أو إيقاع الجملة الأولى بعد فاصل بينهما من الآيات التي بينت البعض من جزاء ذلك الصنف يوم القيامة، لتعرض بالمقابل لجزء الأبرار من أهل الجنة، إذ كانت البداية في ذلك بإعادة الإيقاع نفسه لندكرنا بأن سياق الفكرة لم يكتمل إلا بتمام الأسلوبين كعهد القرآن الكريم في طريقة الترغيب والترهيب.

<sup>1</sup> ممر سلطان، البديع تأصيل تجديد، ص 59.

وقد يلجأ الأسلوب القرآني إلى تكرار القالب الصوتي الطويل دون الإخلال بتطابق نظام تركيب الكلمات في الجمل إلا الاختلاف اليسير في الطول، نتيجة عدم التساوي في عدد المقاطع بين بعض الكلمات، لكن ذلك لم يؤثر على الإيقاع بحيث تتلقي الأذن قالباً صوتياً تكرر فيه نفس الإيقاع، هذا بالإضافة إلى المطابقة الباهرة بين المعنيين، أي ما يسمّى في علم البلاغة "المقابلة"، وهي من ألوان التكرار النمطي ووسيلة أسلوبية ذات صيغة دلالية مزدوجة، مما يجعلها مؤثرة في الأداء أبلغ تأثير بل إن تركيب المفردات -على سبيل التقابل- قد يساعد بدوره على تكثيف الإيقاع وآساقه، ويخلق نوعاً من التلاؤم الموسيقي ويدعم ويؤكد الإيقاع بتناسق حركة المعنى وانتظامها وبذلك يحصل تقابل على مستويين: تقابل في السياق، وتقابل من حيث معاني الألفاظ، أو التضاد الدلالي أي تقابل على المستوى الأفقي وعلى المستوى العمودي؛ وهذا يمثل خاصية الدقة البيانية في أسلوب القرآن الكريم.

إلى هنا يتبين أن القالب الصوتي في القرآن المكّي يزخر بإيقاعات تسري في التركيب النيسوي للجملة، مما يمكن القول بأن نسبة التواتر عامة- كما يبرز ذلك الجدول السابق - في بداية الجمل ووسطها ونهايتها الغالبة، وهذا هو سرّ الإيقاع الجميل الذي تنتبه إليه الأذن الموسيقية لأن الإيقاع لا يتم إلا بتقابل البنى الخارجية في وحدات متتالية، المترنم بها يجد ذلك طبعاً ثرياً، ومعطاء سخياً نتيجة تساو أو شبه تساو في عدد الحركات والسكنات عبر الوحدات في بنية الجمل، ولوجود قواسم مشتركة ملحوظة أسلوبياً وصوتياً إلا أن الذي يكثف الإيقاع الصوتي أكثر هو تلك الجوانب الصوتية الأخرى المبتوثة في ثنايا الجمل، كالامتداد الصوتي، والتشديد، وتكرار الحروف، كل ذلك يعطي قاناً صوتياً جماله وروعته يخلقها الانسجام والتناسق، والتماثل الصوتي أو التطابق في نظام الكلمات داخل الجمل، وصرفياً ونحوياً باعتبار أن نظام البنية التركيبي هو أحد العوامل الهامة في تشكيل القالب الإيقاعي.

كلّ هذه الخصائص أو الجوانب المساهمة في إبراز القالب الصوتي تجري- بعضها أو كلّها- على النماذج التي وردت في السور المكّية، فاستقراء جميعها بالتحليل لا يخرج كثيراً عن إطار التحليل الصوتي لبعض النماذج التي تقدّم تحليلها؛ لأنّ المنهج اللساني قمين بسير أغوار الإيقاع الموسيقي في نظم اللغة ووصف جماله وأسرار تأثيره واستمالاته للأذن الموسيقية، ولا سيّما ما لمسّ الجملة داخلياً، لذا دعت الحاجة لتحليل مكونات القالب الصوتي إلى كلّ ما من شأنه أن يوفر التوازن والتقابل الكامل أو الناقص من مكونات اللغة على المستوى الصرفي والنحوي والبلاغي في جزء منه، كالتطابق والمقابلة؛ وهما محسّنان بديعيان قد ساهما- كما تقدّم بيانه- في إعطاء القالب الصوتي جماله وروعته

والمقابلة؛ وهما محسّنان بديعيان قد ساهما- كما تقدّم بيانه- في إعطاء القلب الصوتي جماله وروعته إيقاعيا ودلاليا، ويبقى أنّ القلب الصوتي ليس إلّا لونا من ألوان الإيقاع الذي أثرى النص القرآني المكّي بنغماته المناسبة وتوازنه الصوتي العجيب، بحيث هو جزء من منظومة إيقاعية تتسم بخفّة النفس وسهولة المخرج، وسلاسة الانسياب.

#### رابعاً- في الفواصل القرآنية

من التكرار النمطي على المستوى الصوتي في النظم القرآني عنصر الفاصلة الذي هو لون من ألوان الأداء الإيقاعي يتمثل فيه سمة التوازن اللفظي والاعتدال في المقاطع، بحيث يمكن القول؛ أنّ الفاصلة ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم باين القرآن بها سائر الكلام<sup>1</sup>، وهي من المحسّنات التي يحرص عليها كلّ أسلوب رفيع، وتدخل في علم البديع الباحث عن التركيب من حيث وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال. فكما "أنّ الشعر يحسن بتساوي قوافيه كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله"<sup>2</sup> إلّا أنّ القرآن قد فاق الشعر بكثير، لمزجه الموفق بين مزايا النثر والشعر جميعاً، "فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة؛ فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامّة، وأخذ في ذاته من الشعر الموسيقي الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي؛... فنشأ النثر والنظم جميعاً"<sup>3</sup>.

ثم إنّ "تقطيع المنثور من الكلام جملاً أو فقرّاً أو فواصل عمل بلاغي تقتضيه حال النفس وحركة الذهن وطبيعة التنفس، وهذا التقطيع - وإن نشأ في اللغة على مقتضى الطبع- له فلسفة وهندسة وموسيقى هي عناوين علم البلاغة وبراهين فنّ البليغ"<sup>4</sup> ولا ريب في ذلك، إذا كان الكلام هو كلام الله تعالى الذي يعلم بطبيعة النفوس، ومواقع الاستحسان، وأسرار التعبير الفني.

وقيمة الفاصلة وبلاغة النظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، فهي إلى جانب مساهمته في جمال وروعة في التعبير القرآني، فإنّها أيضاً عامل من عوامل إظهار المعنى، تعمل على إظهار المعنى الوارد في الآية وتلائمه تمام الملاءمة، كما تثير الانتباه في إيقاعات داخل الأسلوب القرآني.

<sup>1</sup> البرهان 54/1.

<sup>2</sup> ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1402هـ/1982م، ص171.

<sup>3</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 102 - 103.

<sup>4</sup> رشيد بلحبيب، (إعجاز القرآن والإطار البياني، التقديم مراعاة الفاصلة نموذجاً)، مجلة المشكاة، السنة الخامسة، عدد20، وجسد - المغرب.

ربيع 1415هـ/1995م، ص36.

والقرآن لم يكن بدعا في هذه الظاهرة الأسلوبية؛ فقد كان ميل العرب إلى الإيقاع القسوي المتوازن إلى أن النفس بطبيعتها تميل إليه، وتأنس به، لما فيه من "نغم متعادل، ورتة موسيقية، فهو أعمق أثرا في النفس، وأحلى إيقاعا في الأذن"<sup>1</sup>، وما جمعه الرواة من حُطَب الجاهلية أكثره مسجوع<sup>2</sup> فكان السَّجْع محببا إلى الخطباء، وذلك للاستعانة به على التأثير، ولما يقتضيه المقام من تأنق في القول<sup>3</sup> إلا أن إيقاع الفواصل القرآنية إيقاع يثير الهمم، ويحفز إلى تلقي دعوة الحق لا الضلال أو التضليل السدي يحاوله كهَّان العرب بأسلوب الإيقاع اللفظي في لغة وثنية يؤثرون بها على الناس.

ولذا، فإن كثيرا من السور المكية قد بُنيت آياتها كلها أو أغلبها على تناسب الفواصل، فانطلاقا من تعريف أحد الباحثين الذي توصل إليه بعد تمحيص وتدقيق ليكون تعريف الفاصلة تعريفا جامعا مانعا في قوله: "الفاصلة-كلمة آخر الآية ككفاية الشعر وسجعة النثر. والتفصيل- توافق أو احر الآي في حروف الروي، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح النفوس"<sup>4</sup>، فإن نظام الفاصلة في السور المكية له ميزات تميزه عن صنوه في السور المدنية - وهذا في الأغلب والأعم - لأن ذلك مرهون بنمط الأسلوب الذي يراعي مقتضى الحال؛ فيكون طول أو قصر الجمل تبعاً للمقام السدي تسايره، وعليه، فإن القرآن المكي - في أغلبه - قد جاء مسجوعا، يشتد في فواصله التماثل والتشابه، أو "الفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل؛ والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي"<sup>5</sup>، ودد ما يلائم التعبير القرآني في السور المكية، حيث قصر العبارات واتقاد في الجمل على المشركين، مع سجع يسهل على خواجه النفس الظهور بمظهر رائع مؤثر، إذ أن العهد كان عهد دعوة و"أحداثه متشابهة من كونها مواقف دعوة وحض وإنذار وتبشير وتنديد وتذكير ووعظ من جانب النبي، ومواقف إنكار وعناد ومكابرة وجدل وتحذ وأذى من جانب الكفار"<sup>6</sup>. فطبيعة هذا العهد تقتضي ذلك الطراز من الفواصل السريعة في فقرات قصيرة رنانة شديدة الوقع، متوازية أو متوازنة، تزيد من روعة التلاوة بما تخلع عليها من إيقاع محبب، وتمد القارئ بألوان من التنغيم المؤثر، وهي فواصل

<sup>1</sup> محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ط 2، مصر، دار المعارف، 1968، 77/1.

<sup>2</sup> زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د.ط، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت، 65/1.

<sup>3</sup> محمد طاهر درويش، المرجع السابق، 76/1.

<sup>4</sup> محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، دار عمان، 1406هـ/1986م، ص29.

<sup>5</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص102، وانظر: حسن ضياء الدين عتر، بينات المعجزة الخالدة، ط1، حلب، سوريا، دار النصر،

ص256.

<sup>6</sup> محمد عزة دروزة، القرآن المجيد، ص101.



تساوي في شكلها السجع في أسمى صورهِ. والقرآن الكريم لجأ إلى هذه الوسيلة البلاغية - في بيانه القرآني الأعلى- أكثر في السور المكية فلا تكاد تجد سورة مكية تخلو منه، وملاحظة اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل تبدو واضحة في السور المكية بحيث تعددت طرائق استخدامه لهذا اللون من الإيقاع حتى صارت سمّة واضحة طبعت القرآن المكي بطابع مميز في غالبه. أمّا الفاصلة المتقاربة التي تقاربت حروف رويّها، كتقارب الميم من النون والميم من الياء، والفاصلة التي تغلب فيها قافية النون والميم وقبلهما "ياء" أو "واو" فإنّهما نوعان من الفواصل لا يشيعان ولا يحضران بكثافة في السور المكية. كما يغلبان بصفة واضحة على الآيات المدنية وخاصة في السور الطوال منها أي أنّ فواصل السور المكية - غالباً- قصيرة بالقياس إلى غالب السور المدنية، ويأتي هذا مطابقاً لمقتضى الحال واتساقاً مع موضوع السورة أو الآية التي تجري فيها الفواصل المسجوعة.

هذا ما جعل صاحب الظلال يلقي باللائمة على المتقدمين، أنّهم لم يتعمّقوا فهم الإيقاع في ظاهرة الفواصل برغم أنّها - كما يرى- "ظاهرة واضحة جدّ الوضوح في القرآن وعميقة كل العمق في بنائها الفني، فإنّ حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري ولم يرق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤدّيها في كل سياق."<sup>1</sup> وينجو من هذا اللوم "صاحب الطراز" الذي رأى أنّ الفواصل القصيرة من طبيعتها - من حيث الإيقاع- تأتي في مواطن الخفة والرقة والعدوية، وهي أصعب الفواصل - على حدّ قوله- "اعلم أنّ السجع منقسم إلى ما يكون طويلاً، وإلى ما يكون قصيراً، فأما القصير فهو أوعر أنواع التسجيع مسلّكاً، وأصعبها مدرّكاً، وأخفّها على القلب وأطيها على السمع، لأنّ الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن وأرقّ ولأنّها إذا كانت أطرافها متقاربة لذّت على الأذان لقرب فواصلها ولين معاطفها"<sup>2</sup>.

ويكون تقارب نغمات الفواصل في الآي القصار غالباً؛ لتؤدّي إيقاعاً مميّزاً تبعاً لجوّ السورة ونوع الموضوع، فهي قوية عنيفة شديدة في السور المكية لأنّها بصدد التعبير عن مشاهد يوم القيامة وهو جانب هام من جوانب العقيدة الإسلامية، أو ترسم مشاهد غاية في القسوة، ألوانه وظلاله وأجرامه مفردات كونية، حيث يحدث الزلزال الكوني الرهيب، أو تؤكد على حقائق العقيدة التي جاء الدين الخاتم لتقريرها، كحقيقة الوحي والرسالة المحمدية، نافية عنه صفات الكفار وأدعاءهم.

<sup>1</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص72.

<sup>2</sup> يحيى العلوي، 23/3.

فالسور المكية- في الغالب- "قصيرة الآيات، سريعة الحركة، سريعة النبض، مثيرة للوجدان"<sup>1</sup> الذي هو ممكن العقيدة ومستقر الإيمان، لذلك كانت فواصلها- بحسب مقدارها من الآية- "من نوع ماهو بعض آية، أو ماكان جزءا من الآية، لا تقوم الآيات إلا به، ولا تستقل هي بمفهوم في غير آياتها"<sup>2</sup>. وهو النوع الغالب المطرد والأكثر حضورا في قصار السور التي جاءت فواصلها على هذا النحو من الاتصال. أما ما جاء وكأنه تعقيب على الآية، أو تلخيص لمضمونها، أو تأكيد لمعناها، فهو غالب مطرد في السور المدنية، لطول العبارة، أو الحركة المتأنية، وهذا راجع بالأكثر إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ويمكن القول أن أسلوب القرآن المكي يميل- في غالبه- إلى النثر المسجوع وإلا "فماذا يقال في آيات كثيرة جدًا من سور كثيرة أيضا من القصار وغير القصار قد ختمت بفواصل متناسبة لا تختلف في شيء عن تقفية السجع؟"<sup>3</sup>، وهذا ما التفت إليه بعض العلماء والباحثين قدامى منهم ومحدثين، إذ أنهم لاحظوا ذلك النسق الصوتي، مدركين تماما وزن القرآن الكريم في نظمه، ومدركين الغاية التي عمد إليها القرآن في التزام وزن بعينه، ومحاولين ضبط هذه الظاهرة التي استدعت انتباههم ومقارنتها بما عهدوه العرب من أوزان الشعر.

وذهب الفراء (ت207هـ) مهتديا بذوقه الفني وإحساسه الموسيقي، حين لاحظ ما بين رؤوس الآيات من تلازم واتساق في الإيقاع وتوافق نغمي في الفواصل متبعا هذه الظاهرة في الكثير من السور المكية، منوهاً بالاتزان الموسيقي في كثير من الآيات التي تحتوي على هذا اللون الموسيقي المتلائم. ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:2] يقول: "وقد قرأ القرآن يسري بإثبات الياء ويسر- بحذفها، وحذفها أحب إلي لمشاكلتها لرؤوس الآيات"<sup>4</sup>، وبذلك كان الفراء قد آثر قراءة عنى قراءة؛ إذ أن القراءة الفضلى عنده ما يُراعى فيها هذا النسق الصوتي والانسجام في اللحن، فإذا عُرِّيت القراءة من هذا التوافق؛ فقد عُرِّيت من التأثير النفسي والوقع الحسن، لذلك فهو يضعها في مرتبتها دون المرتبة الأولى. والفراء لا يجد في قراءة الحذف غضاضة، فالقرآن قد جاء بلغة العرب، والعرب

<sup>1</sup> محمد قطب، دراسات قرآنية، ص19.

<sup>2</sup> الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص158.

<sup>3</sup> عبد الرحمن تاج، (السجع وتناسب الفواصل في القرآن الكريم)، مجلة مجمع اللغة العربية، ج36، القاهرة، ذو القعدة/نوفمبر، 1375هـ/ 1975.

ص21.

<sup>4</sup> الفراء، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، مراجعة علي النحدي ناصف، د.ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، 260/3.

كانوا يلجأون إلى حذف الياء والاكتفاء بكسر ما قبلها<sup>1</sup>. وبهذا يرى الفراء أنّ النظم القرآني حريص على التوافق الصوتي أو الاستقامة في القراءة حتى تسير الآيات كلها على نسق واحد، وانسجام معين، دون نفور ولا تخلخل، ليتحقق أثرها في النفس. وليبان نظرتة الجديدة في التوازن والتلاؤم بين رؤوس الآيات، ظل يعرض من حين إلى آخر "قواعد عامة للتغيرات التي يمكن أن تطرأ على الكلمات، والتي يعتمد إليها القرآن أحيانا للتوافق الموسيقي في نظمه، وصلة تلك التغيرات بما يطرأ على القافية في الشعر لإقامة الوزن. ولا يفتأ الفراء يشير إلى أنّ القرآن في عدوله عن لفظ إلى آخر، أو تعديله للألفاظ لا يخرج عن أساليب العرب، وفنون القول عندهم، وخاصة في الشعر وهو الكلام الموزون الذي يشابه ما في نظمه من توافق وانسجام ما يراعيه أسلوب القرآن"<sup>2</sup>، إذ أنّه أنزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم فيما تطرب لسماعه الأذن، وتشم لوقعه النفس.

وفي نفس النسق، يرى ابن سنان الخفاجي (ت 466م) أنّ التغم المتوازن، والتوافق الصوتي الذي أساسه التزام الجمل لتمائل الأسجاع، كان مقصودا في القرآن، مُعلّلا ذلك بما ذهب إليه من تأويل الحذف الذي يلحق الكلمات في فواصل الآيات، استنادا إلى قواعد اللغة وفصيح كلام العرب، كتعليقه للحذف في سورة الفجر: "وحذفوا الياء من (يسري والوادي) طلبا للموافقة في الفواصل"<sup>3</sup>، وهو بهذا، على رأي الفراء في أنّ السجع أو توافق الفواصل في القرآن<sup>4</sup>، معادل إيقاعي لما عهدته العرب من الكلام الموزون "وكما أنّ الشعر يحسُن بتساوي قوافيه كذلك النثر يحسُن بتماثل الحروف في فصوله"<sup>5</sup>.

وإن كان من الحقائق التي لا شك فيها ولا شبهة فيها أنّ القرآن ليس فيه ما قصد وصله بشيء من موازين الشعر، ولكن "في القرآن وزن وإن لم يكن على غرار الوزن المألوف في شعر العرب وإنّما هو وزن داخلي يضي على أسلوب القرآن ذلك الروح الذي يجذب إليه القلوب ويشدّ نحوه الأسجاع، ويقرعه لساعات طوال فلا تمّله، وإنّما تستعذبه وتستمره"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، د.ط، القاهرة، الفحالة، دار النهضة للطباعة والنشر، د.ت، ص 165.

<sup>2</sup> محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطوّر النقد العربي، ط 3، دار المعارف، د.ت، ص 65-66.

<sup>3</sup> ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، ص 173.

<sup>4</sup> ابن سنان الخفاجي لا يرى فرقا بين الفاصلة والسجع، ولا يرى مانعا من تسمية الفاصلة في القرآن سجعا وهذا ما تميل إليه هذه الدراسة.

<sup>5</sup> ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، ص 171.

<sup>6</sup> عبدالرؤوف مخلوف، الباقلان وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية، د.ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1978، ص 45.

ومن المحدثين يرى صاحب تفسير التحرير والتنوير أن الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز في النظم القرآني؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام وهي جانب من جوانب فصاحة الكلام، وأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة، تكثر وتقل، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع والعبارة فيها بتمائل صيغ الكلمات من حركات وسكون وهي أكثر شيها بالتأمل ما لا يلزم في القوافي، وأكثرها جار على أسلوب الأسجاع<sup>1</sup>.

ومثل ذلك ذهب صاحب الظلال إذ يرى ذلك واضحاً في مواضع عديدة مطّردة تدلّ كلها على أن القرآن قد عمد اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل "ودليل ذلك أن يُعدّل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة. وأن يُبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو أخرت فيه، أو عدلت في النظم أي تعديل"<sup>2</sup> وأردف ذلك بأثلة عديدة من القرآن لأحوال الحذف لهذا الغرض، كلها من الآيات المكية، ليخلص إلى نتيجة بيانية والتي تتجلى في قوله: "وهكذا تتبدى تلك الموسيقى الداخلية في بناء التعبير القرآني، موزونة بميزان شديد الحساسية، تميله أخف الحركات والاهتزازات، ولو لم يكن شعراء، ولو لم يتقيّد بقيود الشعر الكثيرة، التي تحدّ من الحرية الكاملة في التعبير الدقيق عن القصد المطلوب"<sup>3</sup>، وهذا ما يمثل بعضاً من موسيقى القرآن الكريم ونغماته التي "استرعت أسمع العرب، واستهوت نفوسهم ورأوا لها حلاوة، وعليها طلاوة ليست من الشعر، وإن علت على أعين مافية"<sup>4</sup> والسجع في النثر كالقافية في الشعر، و" لكن الفرق بينهما أن القافية غير مستغنى عنها، لأن الشعر لا يستقيم بدونها، في حين أن السجع مستغنى عنه أي يستقيم النثر بدونه لأنه ليس من أسسه"<sup>5</sup>. وذلك محقق في القرآن المكي في كم من موضع، فيه من وضوح الدلالة ما يؤكد القول بأن رتبة الإيقاع في نظم القرآن المكي تقوم على أساس مراعاة تناسب الفواصل في آخر الآيات مع اتحاد المعنى، لكن ترى أن السجع يتخلّف فجأة في بعض الأحيان، فيختلف نظام الفواصل والقوافي، وتطول العبارات، لتغيّر السياق والجو، مع بقاء ذلك الخيط الرفيع الذي يربط بين الآيات للحفاظ على تناسق المعاني في السورة، وذلك برهان صريح على أن المعنى هو الأصل في القرآن، وأن السياق هو المدار الذي تدور عليه تغييرات قوافي الفواصل واختلاف اللحن والتنغيم الإيقاعي. "فالموسيقى

<sup>1</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المقدمة الأولى من التفسير، ص15.

<sup>2</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص86-87.

<sup>3</sup> نفسه، ص88.

<sup>4</sup> محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص281.

<sup>5</sup> محمد سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995، 278/1.

المتناسبة مع الموضوع والنعمة المسائرة للفكرة فقد بلغت في القرآن الغاية المثلى حتى غدا القرآن فكراً مصوراً موسيقياً لا ينفصل فيه الفكر عن الفن ولا الفن عن الفكر<sup>1</sup>.

وبذلك يصبح التعرض بالبحث والاستقصاء لظاهرة التناسب بين الفواصل في القرآن المكي أمراً جدير العناية به، لأنه يُعدُّ من أبرز خصائص وسمات النظم القرآني في السور المكية، والتزام مراعاة الفاصلة ثابت ومطرّد في ثناياها، ويؤكد ذلك الزركشي بقوله: "اعلم أنّ إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرّد متأكّداً جدّاً ومؤثراً في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه في النفس تأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع"<sup>2</sup>. وأشار سيبويه (ت180هـ) في كتابه عن مسوغات صرفية ونحوية لأجل استقامة الإيقاع وتناسب الفواصل بقوله: "جميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي"<sup>3</sup>. ويأتي على ذلك بأمثلة من القرآن كأدلة على ما يقول، وأورد السيوطي قولاً لابن الصائغ في التناسب الذي يقتضيه التركيب اللغوي فيقول: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول"<sup>4</sup>. وقبل تفصيل القول في مسألة التناسب الإيقاعي، يُحذّر عرض وجوه التناسب وبيان مواضعه كما ضبطها الاستقصاء. فالذي ذكره السيوطي في "الإتقان" نقلاً عن كتاب "أحكام الرأي في أحكام الآي" لشمس الدين بن الصائغ (ت776هـ) لا يزيد عن بضعة وأربعين موضعاً<sup>5</sup>، فمنها ثمانية وثلاثون خروجاً وردت في السور المكية، وأظهر التقصي والبحث أن هناك مواضع أخرى كثيرة لم يشملها إحصاء ابن الصائغ وذكرها بعض المفسرين وبيّنتها مباحث البلاغة والبيان، والجدول التالي يحاول حصر هذه المواضع التي وقع فيها الانحراف عن الأصل لأجل سلامة الإيقاع أو التناسب:

مواضع الخروج عن النظم المؤلف	ر. الآية	السورة	الأصل
1 وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا	13	الإسراء	الأصل أن تتقدم الصفة المفردة على الصفة الجملة، ووقعت المخالفة لتناسب الفواصل.
2 ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا	69	الإسراء	فقد أُخِّرَ ماحقه التقديم، وجمع بين

<sup>1</sup> محمد المبارك، دراسة أدبية لنصوص من القرآن، ط4، دار الفكر، 1392هـ/1973م، ص114.

<sup>2</sup> البرهان 60/1.

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، 289/2.

<sup>4</sup> الإتقان 127/2.

<sup>5</sup> نفس المكان.

المحرورات، لأن السنظم الحسن يقتضي ذلك.				
الأصل "ساترا" و "آتيا"، لكن وقعنا على صيغة المفعول موقع الفاعل للتناسب.	الإسراء مریم	45 61	- وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا - إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا	3
الإتيان بصيغة المبالغة للمحافظة على الأصل.	مریم	64	وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا.	4
الرسالة أخص من النبوة، لسولا أن الفاصلة بُنيت على الياء المشددة التي بعدها ألف، هكذا: سوياء، عصياء، ولياء، ملياء، حفياء، شقياء.. لذلك قُدِّمت الرسالة على النبوة.	مریم مریم	51 54	- وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا - وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا	5
الأصل أن يتصل الفعل بفاعله ويُؤخَّر المفعول عليه، لولا موافقته لنسق الفاصلة المطردة في السورة وتحسين النظم.	طه	67	- فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى	6
الأصل باستقراء ذكرهما في القرآن تقلبم موسى على ذكر هارون. أي الأفضل على الفاضل، ووقعت هنا المخالفة لمراعاة الفواصل وعندم كسر الإيقاع المطرد في فواصل السورة.	طه	70	- فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى	7
- المألوف في السنظم أن تقدم السماوات على الأرض، وأخرت هنا للفاصلة.	طه	4	- تَتْرِي لِمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى	8
- فقد أعقبت فاصلة السماء فواصل: "الدعاء"، "دعاء"..	إبراهيم	38	- فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ	9

الأصل اتصال المعطوف بالمعطوف عليه، فـ" وأجل مسمى" معطوف على "كلمة" ولهذا رُفِع.	طه	129	10	- وَلَوْلَا <u>كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى</u>
الأصل "الجزم" في الفعل "تخشى" و"تنسى"، على القول بأنه نهي.	طه الأعلى	77 6	11	- لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى. - سَتَقْرُبُكَ فَلَا تَنْسَى
تقدم معمول على معمول، أصله التقديم، فـ"الكبرى" مفعول "نرى". لأن الفواصل مبنية على الألف المقصورة.	طه	23	12	- لِتُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى
الأصل ذكر المفعول بعد الفعل المتعدي، ووقع الحذف للتناسب.	طه	50	13	- أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى - فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى - مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى
الأصل "فتشقيًا"، لكن في الآية أثر إسناد الإخراج لآدم، وإن كان هما على السواء، لولا المحافظة على الفاصلة	طه	117	14	- فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى
تقدم المعمول على العامل لتناسب الفواصل التي قبلها، :آمِنُونَ، محضرون، الرّازقين	سبأ	40	15	- وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنَّا كُنَّا يَعْبُدُون.
إيثار صفة المبالغة "عُجَاب" على "عجيب".	ص	5	16	- إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ.
في الأصل، تأخير ما هو متأخر في	النجم	25	17	فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى



الزمان لولا مراعاة الفواصل وتلاؤه بناء الفاصلة على الألف المقصورة في مقاطع السورة لتقدمت "الأ. ن" في قوله تعالى في سورة القصص ﴿الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [70]				
"ضيزى" بغرابه لفظها مماثلة لغرابية زعمهم، وما ابتدعه من زور، وما فيها من نغم موسيقي ما يتناسب مع الفواصل	النجم	22	تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضِيزَى	18
"عسر" و "عسر" صيغتان لمعنى واحد في الدلالة، وكان إشار إحداهما مراعاة للفاصلة في السورة. وقد وردت بصيغة "عسر" في مواضع ثلاث	القمر	8	- مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ.	19
"ذات ألواح ودر" كناية عن موصوف هو الفلك أو السفينة، ولم تذكر بهذه الكناية إلا في هذا الموضع، و أوثرت عن الاسم الصريح للمحافظة على الفاصلة	القمر	13	وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ	20
كان من الجائز حمل الصفة على المعنى وتأتي مؤنثة كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7]	القمر	20	- تَتَرَعُّ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعَرٍ	21
"نذر" أصلها "نذري" بياء الإضافة التي حذفت، لرؤوس الأبي المنتهية بحرف الراء.	القمر	30	- فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ	22

23	- وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ التَّنْذِرُ	41	القمر	تقدم المعمول على الفاعل، فروي فواصل سورة القمر كلها هو الآء
24	- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ	54	القمر	المقصود بـ"نهر" الأنهار، وبنار اسم الجنس أو المفرد لأحسن الفاصلة.
25	- وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ	46	الرحمن	المقصود في الآية "جنتان"، وإتباع أطلق الاثنان على الجمع، للمحافظة على الفاصلة التي بنيت على حرف النون قبلها ألف.
26	- خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ	31-30	الحاقة	"الجحيم" من متعلقات الفعل التي تأتي متأخرة، وقدمت لتنفيذ الجمع بين قوة المعنى، والحفاظ على حسن النظم.
27	- كِتَابِيَّةً، حَسَابِيَّةً - مَالِيَّةً، سُلْطَانِيَّةً - وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ	20-19 29-28 10	الحاقة الحاقة القارعة	الأصل فيها: "كتابي"، "حسابي"، "مالي"، "سلطاني"، "ماهي" ووردت بإثبات هاء السكت، للحفاظ على وحدة الفاصلة في السورة وما لها من تأثير عظيم في الفصاحة
28	- فَأَوَلَيْكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا - لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا - هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا - يَهْدِينِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا	14 21 10 24	الجن الجن الكهف الكهف	الأصل أن كلمة "رَشَدًا" ساكنة الوسط كما وردت في مواضع عديدة: [النساء:6]، [الكهف:66]، [الأنبياء:51]، [الجن:2] وقد وردت بحركة الوسط في السورتين لأن الفواصل فيهما كذلك. ولم يجز "رَشَدًا" في القراءات السبع على قول ابن الصائغ.

29	-وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتَلًا	8	المزمل	أوْثرت كلمة "تبتلاً" على "تبتلاً". وإن كانا متساويين في المعنى لمراده تناسب الفواصل.
30	- سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ - إِنَّهَا لَطْفِي - فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ	26 15 9	المدثر المعارج القارعة	"سقر"، "لظي"، "هاوية" هي جميعاً أسماء للتار، وردت كل واحدة في سورة مراعاة لفواصل كل سورة.
31	-وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ -إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ.	23-22 30	القيامة القيامة	قُدّم الطرف في الآية مراعاة لحسن النظم، والفرق بين التظمين ظاهر لو قيل: ...ناظرة إلى ربها / المساق إلى ربك.
32	-سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ	45	القمر	"الدُّبُر" جمعه "أدبار"، و"دُبُر" وأوْثرت الأخرى توفيقاً بين رؤوس الآي ومقاطع الكلام .
33	- قواريرا - قواريرا -إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسَلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا	16-15 4	الإنسان الإنسان	"قوارير" و"قوارير" ممنوعان من الصرف، وقرناً بالتثنية بدل من ألف الإطلاق، في الأول وفي الثاني لإتباعه الأول لأنه فاصلة. ونوّت "سلاسل" للمجانسة أيضاً.
34	-إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ	32	المرسلات	لم يُؤثر الجمع "القصور"، و"الشُرر" جُمع تحقيقاً للتناسب الإيقاعي بين المقاطع
35	-بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ	22	الانشقاق	أوْثر الإخبار بالمضارع المختوم بالواو والنون على القول "في تَكْذِيبٍ" [البروج: 19] ومعناها واحد، واختلافهما لاختلاف الفواصل في السورتين، كما هو ظاهر في الفواصل السابقة واللاحقة: يُؤْمِنُونَ، يَسْجُدُونَ،

				، يُكذِّبُونَ، يُوعُونَ.
36	-وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ	4	الفجر	"يَسِرُّ" هو فعل معتل ينتهي بياء، حُذفت لغير جزم، لتوافق الفواصل في بداية السورة: الفَجْرِ، عَشْرِ، يسر، حَجْر.
37	-فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا	8	الشمس	كان في تأخير التقوى رعاية للفاصلة المبنية على الهاء التي بعدها ألف، سوها، زكاه، دسها..
38	-فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ	9-10	الضحى	قُدِّم "اليتيم" و "السائل" للاحتفاظ بالإيقاع في الآيات القرآنية ولمكان حسن النظم السجعي.
39	- وَطُورٍ سِينِينَ	2	التين	الأصل "سيناء" وكان تغيير بناء الكلمة لموافقة رؤوس الآي في السورة لقوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِينَاءٍ﴾ [المؤمنون: 20]
40	-بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا	5	الزلزلة	الأصل أوحى "إليها"، فوق حرف "ها" مكانها مراعاة الفاصلة.
41	- عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ - مَاءٍ دَافِقٍ	7 6	القارعة الطارق	الصفتان: "دافق"، "راضية" وهما على صيغة الفاعل، وقعنا موقع المفعول مراعاة الفواصل في كل.
42	-وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ	4	الإخلاص	تقدم خير كان على اسمها، وأصه التأخير مراعاة التناسب أو رعاية الفاصلة المبنية على روي الدال في السورة.

من الملاحظ- في هذا الجدول- أن هذا الاستقصاء قد اقتصر على المواضع التي كان توجيه الخروج فيها عن الأصل بعيداً عن التعسف والتمحل، وقريباً من فهم الممكنات الجمالية في النظم القرآني وآليات الفصاحة وأساليب تأليف الكلام من حيث الألفاظ والمعاني والنظم ومطابقة الأحوال

المختلفة وحسن التعبير وقوة التأثير. والذي تجدر الإشارة إليه - في هذا المقام - هو أن توجيه الخروج عن الأصل في تلك المواضع المثبتة في الجدول لا يمتنع في توجيهها أمور أخرى مع وجه المناسبة كما يقرر ابن الصائغ<sup>1</sup>. كما لا يمنع اعتبار البعد الصوتي أو الإيقاعي في توجيه أي خروج عن مقتضى الظاهر في النظم القرآني أحد الأبعاد الجمالية والفنية للعبارة القرآنية الذي لا يقل قيمة أو مرتبة في تحديد مزايا أسلوب القرآن بل هو أحد أسراره في التأثير وسحره البياني.

وفي هذا ردُّ على من رفض البعد الصوتي في توجيه الانحراف عن مقتضى الظاهر ومنهم الباقلاني الذي ذهب في توجيه تقديم هارون على موسى في أحد المواضع<sup>2</sup> دون سواها إلى أن ذلك كان لفائدة هي أن "إعادة ذكر القصة الواحدة بالألفاظ مختلفة، تؤدّي معنى واحداً، من الأمر الصعب، الذي تظهر به الفصاحة، وتبين به البلاغة"<sup>3</sup>. ولكن الذي يستقصي مواضع ذكر اسميهما متلازمين يجدها في تسعة مواضع ذُكرت في سور مختلفة<sup>4</sup>، يرى بأنّ تقديم هارون على موسى لم يرد إلا في ذلك الموضع وأنّ الأمر "إنّما هو أمر السجع ورعاية التوافق في رؤوس الآي ولا قيمة لمذهب الباقلاني الذي ينفي من القرآن السجع"<sup>5</sup> حتى وإن كان سجع القرآن في أبرع وأعجز صورته، فمجرد تغيير الأسلوب بتقديم أو بتأخير لغير ما علّة ظاهرة على ما يذهب إليه الباقلاني، أو بعلّة ثبوت العجز والإعجاز من طريق التخالف بين الصياغة في القصة الواحدة، فهذا لا يخدم الإعجاز في جانبه الجمالي في شيء ويغمط وجهها من أوجه اللغة وهو الجانب الإيقاعي أو الصوتي، "فاللغة لها وجهان؛ وجه يتمثل في الأصوات المسموعة وما تستشعره الأذن من وقع الكلم ونغمها، ووجه يتمثل في الدلالة والمضامين التي تحملها الألفاظ"<sup>6</sup> وبناء عليه، فإنّ القرآن يراعي الوجه الأول، ويقصد به ظاهرة الأصوات والأنغام كما يراعي الظاهرة الثانية ويعني بها ظاهرة الدلالة، ما لم تؤدّ رعاية الأولى للإحلال بالثانية، فأنت ترى في كثير من المواضع قد انتهت مقاطع الآي فيها بحروف لا يلتزم فيها بتجانس أو تماثل أو حتى تقارب، وأنّ الأسلوب جاء طليقاً متحرراً وفي ترسل لا يعدم البراعة والإعجاز في توجيه جوانبه اللغوية والبلاغية وأسرار البيان دون أن يعمد أو يتكلّف أو يراعي السجع أو توافق

<sup>1</sup> الإيقان 126/2-127.

<sup>2</sup> وهي الآية (70) من سورة طه، قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السِّحْرَ سُحُوداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

<sup>3</sup> الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، د.ط، مصر، دار المعارف، 1963، ص 61.

<sup>4</sup> وهي الأنعام: 84، يونس: 75، الأعراف: 122، الأنبياء: 48، المؤمنون: 45، الشعراء: 48، الصافات: 114-120.

<sup>5</sup> عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، د.ط، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1978، ص 241-242.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 238.

الفواصل، حرصا على الجانب الثاني وهو الدلالة أو البنية العميقة في مقاطع العبارة، وأن الموقف أو السياق لا يقتضي ذلك القالب اللغوي في التعبير والإبانة. أما حين يقتضي المقام ذلك فإنه " يلجأ إلى السجع ويعمد إليه قصدا، بل إنه في سبيل تحقيقه ليرك مألوف الاستعمالات اللغوية إلى نادرها، فيفرد ما حقه الجمع أو يجمع ما حقه الأفراد، ويؤخر ما من شأنه أن يتقدم، ويقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ليتحقق بذلك الصنيع التناغم الصوتي في رؤوس الآي، ولا يكون من وراء ذلك كله إلا إضافة عنصر من عناصر الجمال والتأثير إلى مضمون الآيات الأصلي"<sup>1</sup>.

وبتعبير أوضح و أدقّ يمكن القول " أن النظم القرآني لم يخرج عن مقتضى الظاهر في التركيب اللغوي مراعاة للفاصلة، ولكن المعنى فرض الخروج عن هذا "المقتضى" وكانت الفاصلة نتيجة من نتائج الوفاء بالمعنى، فالأمر كله سياق عام يؤدي معنى معينا يتطلب تركيبا معينا. فالعلماء - هنا يصفون مدى ارتباط الشكل بالمضمون، وموسيقى الفاصلة جزء من الشكل وجزء من المضمون"<sup>2</sup> ولا حاجة في أن النظم القرآني يجمع بين الوظيفتين الجمالية والمعنوية على السواء، فليس " من الخطأ في الدين ولا في البلاغة أن نقول إن القرآن يهتم بالناحية اللفظية لأنها جزء من أسلوبه، ولأنها من دواعي التأثير، ولكن الخطأ أن نقول إن القرآن يختار الكلمة والأسلوب أو العبارة مراعاة لتناسب الفواصل وحده"<sup>3</sup>، إذ " لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرد ما إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسنُ النظم و التثامه كما لا يحسن تحيّر الألفاظ المؤنقة في السمع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده.. فليس من البلاغة في فتيل أو نقيض"<sup>4</sup>، وبهذا يعلم أن القرآن لا ينظر إلى تحسين اللفظ قبلما ينظر إلى إتقان المعنى "ولا يصح أن يفهم أنه قد يسير إلى تحقيق تناسب الفواصل من طريق معنى بعيد أو معنى غيره أقرب... أو أن القرآن قد يعدل في سبيل تحقيق التناسب بين الفواصل عن اللفظ الصريح المعهود في الدلالة على معناه إلى لفظ غير صريح أو غير معهود كذلك، فإن ذلك يكون تغليبا لرعاية الألفاظ على رعاية المعاني على حين أن رعاية المعاني هي التي يجب أن يكون لها في أسلوب القرآن الكريم المقام الأول"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرؤوف مخلوف، المرجع نفسه، ص240.

<sup>2</sup> منير سلطان، البديع ناصيل وتجديد، ص50.

<sup>3</sup> رشيد بلحبيب، "إعجاز القرآن والإطار البياني، التقديم مراعاة الفاصلة نموذجاً"، مجلة المشكاة، ص34-35.

<sup>4</sup> البرهان/1/72.

<sup>5</sup> عبد الرحمن تاج، "السجع وتناسب الفواصل في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية، ص32.

وفي حقيقة الأمر، أنّ كثيرا من المواضع التي روعي فيها التناسب - كما هو مبين في الجدول السابق- لا يرجع السبب الأصل في مجيئه على النحو الذي جاء عليه إلى إرادة تحقيق التناسب بين الفواصل، وإنما سبب ذلك هو "النظر إلى المعنى وتحقيق ما تقتضيه من مراعاة الاعتبارات البلاغية المختلفة ثم يجيء تناسب الفواصل في المرتبة الثانية"<sup>1</sup>، ولا يجب أن يحصر الناظر في القرآن نظره في زاوية ضيقة من التأويل أو التوجيه، إذ لا يمكن أن تتحلى لنا روائع الأسلوب القرآني وأسرار بلاغته إلا بمدّ البصر إلى الأفق الواسع الذي يمكن أن يكشف في ظلاله عن كثير من خفايا النظم القرآني البديع.

فموافقة اللغة للحسن السليم والفطرة والذوق المألوف، وميلها إلى التوافق والانسجام ونفورها من التخالف والنشاز، هي من مقاصد المنظومة اللغوية الفصيحة، والقرآن الكريم حين يعمد إلى قالب من قوالب التعبير الذي يراعي فيه الجانب الإيقاعي تحقيقا لجمال التوقيع وانسجام المقاطع - كما يتردد في أغلب السور المكية- ويعدل أحيانا عن المشهور من أساليب العرب واستعمالاتها الشائعة إلى غيرها لذلك الغرض دون طغيان للفظ على المعنى، أو تحيُّف في الدلالة، فيكون الأجدر ألا يُنفى عنه ما يثبت له من ذلك الطريق الفني أو الإعجاز الجمالي في النظم القرآني، وهو الذي خاطبهم بلغتهم بما تحمله من أساليب وأنواع الخطاب المألوفة.

إذا فقالب السجع أو الفاصلة ليس هو محك التفاضل أو التفاوت، وإنما "الميزة والتفاوت تكون بمقدار ما يتحقق في الكلام- على أي قالب جاء- من البلاغة التي هي رعاية مقتضى الحال"<sup>2</sup>، ومن النسق الباطني الذي تتسق به أجزاءه وعناصره، ومن المعنى فيه على حدّ اللفظ، ومن الموسيقى ذات التأثير والاستهواء الصوتي. ومن هذا القبيل أتى القرآن الكريم النفس البشرية، فلا تملك إلا أن تخضع له إقرارا أو استجابة، وهي لا تعلم كلّ منابع السحر فيه، وإن كان قالب التسجيع ليس جديدا عليهم، وما محاكاة مسيلمة للقرآن وغيره من المتنبئين إلا بيان واضح عن أنّ الإعجاز في النظم الذي يعتمد على التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني للتعبير عن أشرف المعاني. أمّا ما كان يتكلّفونه من التعبير أيما تكلف ويصبون اهتمامهم على موسيقى العبارة، فإن ذلك ينطق عن "واقع الصدمة الأولى للنفس العربية التي أثارها موسيقى القرآن"<sup>3</sup> الفريدة، وأنّ السجع إحدى

<sup>1</sup> عبد الرحمن تاج، "السجع وتناسب الفواصل في القرآن الكريم"، ص 38.

<sup>2</sup> عبد الرؤوف مخلوف، المرجع السابق، ص 199.

<sup>3</sup> الراهبي، إعجاز القرآن، ص 214.

صورها، فقد رفع القرآن من قيمته وجعله عنصراً هاماً من العناصر المكوّنة للجمال التعبيري، وبث فيه الروح لحمل أعظم الدلالات العلوية بعد أن كان عنصراً مكرّراً مملاً تكتنفه الغرابة وخرافات الكهّان وأراجيفهم، وأن خصائص السجع أو الفاصلة بشكل عام تتجلى أكثر في مساحة نظم السور المكية التي يبرز فيها التحدي وملامح الإعجاز القرآني، لأن أول ما بدأه الخطاب الرباني من الآيات وما أعقبها في فجر الدعوة كان على القلب المسجّع القائم على تماثل الفواصل لأن "الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في المقاطع، والاعتدال مطلوب في جميع، والأشياء والنفس تميل إليه بالطبع"<sup>1</sup>.

### 1- أنواع السور المكية من حيث الفواصل

قد سلف القول بمرحلة التزول القرآني الذي يُسائر خُطى الدعوة ومواكبة أحداثها ووقائعها على مستويات متعددة؛ على نفسية الرسول المبلّغ، وعلى مختلف المخاطبين بالرسالة، وعلى مقتضيات الدعوة في تطورها العام، فوفقاً لذلك جاء تنوع القوالب الأسلوبية والأنماط التعبيرية في القرآن المكي ذاته، وإن بدت سمات المكي واضحة عليها جميعاً إلا أن إيقاع حروف الفواصل يختلف باختلاف الموضوع، وتبعاً لصياغة التعبير، فالإيقاع يسائر المحتوى ونظم الكلام، وهو تابع لها، لذلك لم تأت جميع السور المكية كلّها مسجّعة أو على نمط واحد مكرّر من الفواصل، إذ ليس هناك أطراد في شكل من الأشكال التعبيرية إلا ما يقتضيه المعنى أو يحدده أسلوب ملائم لائق بالمقام، ومن ثمة، فإن السور المكية على تعددها الكثير أي ما يقارب الواحد والتسعين سورة<sup>2</sup>، قد تميّزت بالتنوع البديع في فواصلها. ويمكن تقسيم السور المكية من حيث نمط الفاصلة إلى الأقسام التالية:

(أ) - السور المكية المسجّعة أو الموزونة أو المقفاة، وعددها خمس وستون سورة بما فيها الرحمن والإنسان والزلزلة، التي ترجّح مكّيتها هذه الدراسة، وهذه السور تتوزع على نمطين من الفواصل هما:

1- سور ذوات الرّوي الموحّد (المتماثل)، التي بُنيت آياتها جميعاً من أولها إلى آخرها على

نوع واحد من الفواصل لم تخرج عنه إلى غيره، وهي: (القمر، الأعلى، الشمس، الليل، القدر، العصر، الفيل، الكوثر، الإخلاص، الناس)، وهذا النوع من السور لا يوجد نظيره في السور المدنية باستثناء سورة "المنافقون" المدنية التي تتشابه مع هذا النوع على وجه الدقة.

<sup>1</sup> ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط2، الرياض، دار الرفاعي، 1403 هـ/1983 م، 313/1.

<sup>2</sup> وذلك بترجيح بعض السور المدنية على أنها من مكّي القرآن؛ وذلك بحسب ملامح أسلوبها المبينة في هذه الدراسة.



2- سور لا يطرد فيها الرّوي الموحد أو التماثل في جميع آياتها، وإّما يتخلف لتغيّر في

الرّوي أو الانتقال إلى مقطع آخر من الفواصل (والمراد بالمقطع هنا فقرة موسيقية أو وحدة موسيقية مؤلّفة من عدّة آيات تماثل رويها على حدّ سواء) لكن دون أن نحس بتفكك في البنية الإيقاعية، أو حدوث نشاز قد يذهب بذلك الانسياب والانسجام الموسيقي الكامل بين النغمات والسور و السّي هي: الفاتحة، الفلق، المسد، الكافرون، الماعون، قريش، الهمزة، التكاثر، القارعة، الزلزلة، العاديات، العلق، التين، الانشراح، الضحى، البلد، الفجر، الغاشية، الطارق، البروج، الانشقاق، المطففون، والانفطار التكوير، عبس، النازعات، النبأ، المرسلات، الإنسان، القيامة، المدثر، المزمّل، الجن، نوح المعارج، الحاقة، القلم، الملك، الواقعة، الرحمن، النجم، الطور، الذاريات، ق.

فالوحدة الموضوعية أو وحدة السياق في السور القصار وخاصيتها البنيوية في البدء والختام يُلهم أنّ كلاً منها نزل دفعة واحدة، وإن كان هناك استثناء فهو قليل بالنسبة إلى هذا الكمّ الكبير.

أمّا السور المتوسطة الطول فهي: ص والصافات، و يس وفاطر والشعراء والفرقان وطه ومرمّم والكهف والإسراء والحجر، فإنّ ظهور تلاحق فصولها وانسجامها، إضافة إلى تسجيّعها وتوازنها برغم طولها النسبي، يُلهم أو يحمل على الترجيح بأنّها نزلت دفعة واحدة مثل سابقتها من القصار أو فصولاً متتابعة بدون اعتراض بفصول من سور أخرى إلى أن تمّ كلّ منها وقد اكتسب شخصيته كسور مستقلة، وذلك حتى يصحّ التحدّي والتمثيل.

ب- سور مكية يمكن وصفها بأنّها غير مسجّعة وغير موزونة من وجه عام، لأنّ بعضها قد

احتوى فصولاً مسجوعة أو موزونة، ويتمثل في تلك السور الضاربة إلى القصر أكثر منها إلى التوسط وهي: الأحقاف والجاتية والدخان والزخرف والشورى وفصلت وسبأ السجدة ولقمان، وباقي سور هذا النوع فهو متوسط وقريب من الطويل وطويل وهي: غافر والزمر والروم والعنكبوت والقصص والنمل والمؤمنون والحج والأنبياء والتحل وإبراهيم والرعد ويوسف وهود ويونس والأعراف والأنعام؛ وذلك لأنّ تماثل الفواصل يقلّ كلّما مالت القرائن أو الجمل إلى الطول، وأنّ الإيقاع الموسيقي تخفّ رتته كلما مال التركيب إلى الطول الذي يجعل الأسلوب أقرب إلى الاسترسال منه إلى القالب السجعي الذي عماده قصر الجمل إن لم نقل تساويها كما يتّضح في أغلب سور النوع الأول.

أمّا سور النوع الثاني مع أنّها غير مسجوعة وغير موزونة الآيات مثل سور النوع الأول، إلّا أنّ الذي يعن فيها يجد تلاحقاً في السياق وترابطاً في الفصول، وذلك يرجع إلى وحدة الموضوع في

كلّ منها، وأنّ فصولها نزلت متتابعة من دون اعتراض بفصول من سور أخرى إلى أن تمّ كل منها واكتسب شخصيته المستقلة، ناهيك ما نزل منها دفعة واحدة كسورتي "الأنعام" و"يوسف" الطويلتين، وإن كان يغلب على سور النوع الثاني طول السور دون الآيات، وهذا الطول نفسه - حينما يُلاحظ - ليس شيئاً ذا بال إذا قيس بعدد الآيات في السور المدنية أو بعدد الألفاظ في الآية المدنية الواحدة، ولكنّه - بلا ريب - يُعدّ طولاً بالنسبة إلى ما يتوقّعه القارئ في جميع المراحل المكية من تناسق القرآن مع ما يرغبه فصحاء مكة من إيجاز التعبير، تعويلاً على الإشارة الخفية أو الإيماءة البارعة المحكّمة.

وأما ما يلاحظ من ذلك التبدّل الطفيف في خصائص الإيقاع في سور النوع الثاني - في قليل منها - لأنّها سور تمثّل المرحلة الانتقالية التي تتوسط بسورها الطوال وحي مكة الذي تمّ نزوله، ووحى المدينة الذي سيتعاقب على ما يجدر من الوقائع بعد الهجرة، وأنّ العامل الزمني - في غالب الظنّ - هو الذي فرض تلك المقاطع ذات الطابع المدني على سور طابعها مكّي، وفقاً لتمهيد الطريق بين يسدي مراحل الوحي المدني المقبل، بما أنّ المرحلة المدنية الأولى افتتحت بسورة البقرة وما يليها من السور الطوال والمئين، إذ تغيّر الخطاب بتغيّر المخاطبين وتجدّد الوقائع.

وإنّ السور المكية بموضوعاتها المتعددة والتي تخاطب في أغلبها قلب الإنسان ومشاعره قد زحرت بالعديد من الإيقاعات التي تتراقص في الأذن الموسيقية، عمادها في ذلك، إحداث الرّنة الموسيقية التي تتضمّن عدوبة النغم وحلاوة الجرس، والإيقاع الرّخي المنساب، الذي يتميّز بعمق التأثير بحيث ترتعش له كل ذرة في الكيان البشري وترفّ معه وتستجيب، وما ذلك العدول الإيقاعي أو الانزياحات التي ثبتت على مستوى الفواصل في السور المكية - كما سبق بيانه - إلاّ بغرض التأثير وتمكين المعنى أقوى تمكين وأحسنه.

## 2- سمات نظام الفواصل في القرآن المكي

من الواضح لدى المتصفح للسور المكية على كثرة عددها وتنوع مواضيعها واختلافها وتباينها؛ طولاً وقصراً، أنّ فواصلها تنوعت بحسب ذلك، باعتبار أنّ نظام الفواصل قد ناسب في أغلب تشكيلاته معاني السياقات داخل كل سورة أي أنّ الدلالة هي الموجه الرئيس للفاصلة والمحكّ الذي تدور عليه في جميع ألوانها وأنماطها؛ ومن ثمة تكون محاولة حصر جميع أنواع الفواصل في القرآن المكي ليس من صميم هذا البحث بقدر ما يكون التركيز الجزئي فحسب على الفواصل الأكثر بروزاً،

الذي تدور عليه في جميع ألوانها وأنماطها؛ ومن ثمة تكون محاولة حصر جميع أنواع الفواصل في القرآن المكي ليس من صميم هذا البحث بقدر ما يكون التركيز الجزئي فحسب على الفواصل الأكثر بروزاً، أو التي طبعت القرآن المكي وميزته، بحيث يمكن اعتبارها سمات وعلامات تفرز النظم المكي من النظم المدني في بنيته الإيقاعية من ناحية الفاصلة تحديداً.

وبعد إمعان النظر في استخدام القرآن المكي لنظام الفواصل، انتهى بنا البحث إلى أن أهم سماته - علاوة على ما تقدم بيانه في نفس المقام - إما على مستوى بناء الفاصلة، وإما على مستوى الرّوي أو الحرف الأخير منها يمكن استخلاصها كما يأتي:

### أ- الفواصل المكية من زاوية حرف الرّوي

#### 1- التماثل في حروف الرّوي

قد سبق القول بأن فواصل القرآن المكي يغلب عليها التماثل، وهو اتحاد الفواصل في الحرف الأخير، وتسمى كذلك الفواصل المتجانسة أو ذات المناسبة التامة، وشيوع ذلك في الآيات المكية واضح، حتى أن سورا بكاملها قد استقلت بالفواصل المتماثلة وتمثل ذلك جلياً في السور الآتية:

- "القمر"، "القدر"، "العصر"، "الكوثر" التي تماثلت فواصلها في حرف الرّاء.

- "الأعلى" و"الليل" اللتان تماثلت فواصلهما في حرف الألف المقصورة.

- سورة "الشمس" التي على فواصل الألف الممدودة بعدها "ها".

- سورة "الفيل" التي على اللام .

- سورة "الإخلاص" التي على الدال.

- سورة "الناس" التي على السين.

وهي كلّها من سور المفصل التي تفرّدت بهذا النوع من التماثل ذي الرّوي الموحّد في كلّ سورة منها، لم تخرج عنه إلى غيره بحيث يسري النغم فيها على وتيرة ورتابة واحدة، و انسيابية موقّعة تشبع في الأذن التوقّع وجمالية الإيقاع، و العامل الأساسي في تحقيق هذا اللون هو قصر الجمل أو القرائن، فكلما مال التركيب إلى القصر تكثفت النغمات الصوتية، وتحقق التماثل في المقاطع الأخيرة من الآيات بحيث تُوفّر بذلك قوّة "إيقاعية" لها من الدلالة الصوتية والجمالية ما يزيد في تقريب المعاني وتوكيد الدلالات، ويمكن تسمية هذا اللون من الفواصل بالسجع العالي الذي يمثل أسمى صور

السجع، لا من حيث استيفائه لعناصره الفنية فحسب بل ومن حيث طواعيته للمعنى الذي يقتضيه. فهو بذلك ليس حلية تضاف إذا "ناداه التّظّم ولم يفتعل هو التّظّم"<sup>1</sup> على حد قول الجرجاني.

## 2- التماثل المقطعي في حروف الرّوي

هناك نوع من السور هو دون النوع الأول من حيث التماثل العمودي، وإنّما كان التماثل فيها أفقياً أي لم يكن التماثل في جميع آياتها على روي واحد، لأنّ حروف الرّوي قد انتظمت في نظام مقطعي (المراد بالمقطع هنا، وحدة أو فقرة موسيقية مؤلفة من عدة آيات تماثل رويها على حدّ سواء) ويتغيّر حرف الرّوي من مقطع إلى آخر، فقد يكون هذا التغيّر - في السورة - في مقطعين أو ثلاثة أو أربعة، كما يكون في مقاطع كثيرة تصل إلى عشرة مقاطع أو أكثر، والتغيّر في المقاطع نوعان؛ بسيط ومركّب، ويعنى بالمركّب، أن يعرّج بالتوالي على سابق، وإذا نُظر إلى شيعه فهو أقلّ من النوع الأول كما توضّحه الجداول التالية:

### السور ذات المقطعين البسيطين

السورة	عدد آياتها	روي المقطع الأول	روي المقطع الثاني
الفرقان	77	ياء قبل الرّوي وألف بعده	ألف قبل الرّوي وبعده
ص	88	ألف قبل الرّوي الساكن	ألف قبل النون أو الميم الساكنتين
الملك	30	واو أو ياء قبل الرّاء	واو أو ياء قبل النون أو الميم الساكنتين
نوح	28	واو أو ياء قبل النون ومثيلاًها	ألف قبل الرّوي المفتوح
المزمل	20	ياء قبل الرّوي وألف بعده	ياء قبل الميم الساكنة
النبأ	40	واو أو ياء النون الساكنة	ألف قبل الرّوي وبعده
التكاثر	8	تأسيس قبل الرّاء الساكنة	واو أو ياء قبل النون الساكنة
الزلزلة	8	ألف قبل الهاء وبعدها	كلمة " يَرَهُ "
		+ ميم بعد الهاء	1:

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص7.

### السور ذات ثلاثة المقاطع البسيطة

السورة	عدد آيها	الرّوي الأول	الرّوي الثاني	الرّوي الثالث
الصفات	182	ألف بعد الرّوي 3:	تأسيس قبل الرّوي 7:	واو أو ياء قبل 172: الرّوي
الذاريات	60	ألف بعد الروي 4:	وزن فاعل:2+فعل 3:	واو أو ياء قبل 51: الروي
التكوير	29	وزن فعَلتُ 14:	على حرف السين 4:	واو أو ياء قبل 11: الرّوي
الطارق	17	وزن فاعل9+فعل1 10:	وزن فعَل 4:	ياء قبل السروي 3: وألف بعده
البلد	20	وزن فعَل6 + فعلا1 7:	ياء ونون التثنية 3:	على التاء المربوطة 10:
الضحى	11	على الألف المقصورة 8:	على الرّاء الساكنة 2:	على التاء الساكنة 1:
الانشراح	8	راء بعدها كاف ساكنة 4:	" يُسْرًا " 2:	ياء ساكنة 2:
القارعة	11	" القارعة " 3:	وزن مفعول 2:	ختم بهاء ساكنة 6:

أما السور ذوات أربعة مقاطع فهي: الطور، الحاقة و العاديات وإن كانت هذه الأخيرة إذا نظرنا إلى فواصلها من حيث الوزن، فإنها تعتبر ذات مقطعين: الأول على وزن " فعلاً " روّيه مختوم بمد الألف: 5 . والثاني على وزن " فعول " روّيه مسبق بمد واو أو ياء: 6 . والسور التي تزيد مقاطعها على أربعة هي الانشقاق والعلق والقيامة والمعارج والفجر .  
وأما المقاطع المركبة فنجدها في سور كثيرة \_ أيضا \_ منها:

- سورة واحدة على الأقل ذات مقطعين مركبين، هي سورة " الكافرون " : فاصلة المقطع الأول على روّي ( الواو والنون )، و فاصلة المقطع الثاني على روّي ( الدال ) ثم العودة إلى روي المقطع الأول ( الياء

والنون)، ويحسب روي (الميم) مقطعا صغيرا ضمن المقطع الثاني، فتصبح الصورة ذات مقطعين مركبين إذا تجنبتا التعقيد.

- وهناك سورة واحدة ذات ثلاثة مقاطع مركبة هي سورة "مریم" آياتها 99، وبيان بناء فواصلها كالآتي:

الآيات من 1-33 رويها على الياء المختومة بمدّ بالألف

الآيات من 34-40 رويها على النون أو الميم المدفتين بواو أو ياء

الآيات من 41-34 رويها كالأيات من 1-33

الآيات من 75-99 رويها مختوم بمدّ بالألف

فالذي يتأمل السورة جيدا ويتابع سياقها يرى أن تغير الروي من مقطع إلى آخر محكوم بتغير السياق، لا مجرد التنوع والتغيير. فالسورة تبدأ بقصة "زكرياء" و"يحيى" وتليها قصة "مریم" و "ولادة عيسى عليه السلام"، وتسير الفاصلة على روي واحد، وهو الياء المختومة بمدّ بالألف، حتى إلى نهاية قصة "ولادة عيسى" تغير النغم الموسيقي أو نظام الفاصلة بتغير نظام الروي هي الآيات من الرابعة والثلاثين حتى الآية الأربعين التي بني رويها على "النون" أو "الميم" المرذفتين بـ"واو" أو "ياء"، والابتداء بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فقد تغير الأسلوب - كما هو ملاحظ - لتغير السياق المتمثل في التقرير الرباني بشأن حقيقة عيسى بن مریم الذي امتري فيه الممترون، و"كأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة، مستمدا منها. ولهجة الحكم تقتضي أسلوبا موسيقيا غير أسلوب الاستعراض القصصي، وتقتضي إيقاعا قويا رصينا، بدل إيقاع القصة الرخي المسترسل"<sup>1</sup>. وبمجرد الانتهاء من التعليق - أو التقرير - عادت السورة تسروي قصص عدد آخر من الأنبياء، فعاد الروي الأصلي الذي استخدم في القصص من أول السورة.<sup>2</sup>

ولذلك لا يشعر القارئ لتلك المقاطع المركبة بكسر في الإيقاع أو مفاجأة للأذن الموسيقية وإنما هو تغير داخل النغم الواحد، وفي هذا دليل لا يُردُّ في أن المعنى أو السياق هو القائد الذي يقسود ويوجّه المنحى الإيقاعي أو بالأحرى الفاصلة. وليس الأمر هو اعتبار تلك الآيات أنها مقحمة على السياق وأنها من المدنيّة، لأنها مخالفة للروي ونايبة عن موقف القرآن المكي الودّي العام نحو النصرى،

<sup>1</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 109.

<sup>2</sup> محمد قطب، دراسات قرآنية، ص 8.

وهو قول متهافت وبعيد عن فهم أسلوب النظم القرآني ولا سيما تلاؤم السياق مع ألوان التعبير، وهذا شأن السور ذوات المقاطع المركبة، وفي نظم القرآن المكي أمثلة كثيرة من هذا النحو.

ومن السور ذوات المقاطع المركبة التي تزيد مقاطعها على أربعة مقاطع هي: "النازعات"، و"عبس"، و"المدثر"، و"الواقعة"، والسورتان الأخيرتان تكرر فيهما أكثر من مقطع. ومن بينها - أيضا - سورتان متغيرتا الرّوي موحدتا الرّدف هما: "البروج"، ردفها الموحد هو الواو أو الياء مدًا ورويًا المتغير كما يلي: على الجيم:1، على الدال:8، على القاف:1، على الراء:1، على الدال:7، على الباء:1، على الطاء:1، على الدال:1، على الظاء:1. وسورة "قريش" والتي يمكن توضيحها بالشكل الآتي:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٌ
إِلَافُهُمْ رَحَلَةَ الشَّيْءِ تَاءٌ وَالصَّيْفُ
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

فالملاحظ أنّ حرفي اللين: "الياء و الواو" في هذه السورة وحرفي المد: "الواو والياء" في سورة "البروج" كان لهما الدور الكبير في التأليف بين حروف الرّوي غير المتماثلة في كلا السورتين، وجعل الإيقاع في كل سورة منهما منسجما ومتآلفا، لا نبو فيه ولا نشاز.

أما النموذج الآخر للتغير في الفاصلة، هو التغير بمقاطع محتومة بلازمة، وتمثلها سورة "المرسلات" التي تتألف من تسعة مقاطع، ختم كل منها بقوله تعالى: ﴿ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ إلا المقطع الأخير، فقد ختم بعد الآية المذكورة بقوله تعالى: "فبأيّ حديثٍ بعده يُؤمنون" تعقيبا على السورة كلها، وأما بناء مقاطعها فهو كالتالي:

- 1- رويّ على النون مردوف بالواو أو الياء:2، ﴿ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .
- 2- رويّ محتوم بمدّ الألف:6، "واقع":1، وزن فعلت:5، "الفصل":2، ﴿ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .
- 3- رويّ على النون مردوف بالواو أو الياء:4، ﴿ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾
- 4- رويّ على التاء المددوفة والمحتومة بالألف:3، ﴿ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

5- روي على النون مردوف بالواو، الباء الساكنة:2، الراء الساكنة:2، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

6- روي على الواو والنون:2، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

7- روي على النون مردوف بالواو أو الياء:4، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

8- روي على النون مردوف بالواو أو الياء:4، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

9- روي على النون مردوف بالواو أو الياء:1، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ

بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ .

فكما هو واضح من جملة هذه المقاطع، أن أغلبها بني على فواصل متقاربة، بحيث أنك لا تكاد تشعر بتغير الروي من مقطع إلى آخر وأن الذي زاد من تكثيف هذا التقارب النغمي هو تكرار تلك اللازمة المشحونة بإيقاع الأحرف الشديدة والمجهورة.

ومن ثمة يمكن القول أن السور ذوات التماثل المقطعي بسيطاً كان أو مركباً. بما أن قراءتها قصيرة \_ فإن الانسجام والتألف النغمي والإيقاعي يتحقق فيها على المستوى العمودي، كما هو على المستوى الأفقي، وهذا ما يكسب السورة المكية ديناميكية إيقاعية من شأنها أن تبعد عن النص القرآني رتابة السجع البارد أو العاطل عن التجدد والإبداع، لأن البنية التركيبية للفواصل ونمط توزيعها في مساحة النص القرآني، تتضمن عوامل فاعلة في خلق الإطراب الفني قد تعدمها رتابة الأوزان والقوافي في قمة شاعريتها.

### 3- تغير بغير مقاطع أو التماثل الناقص

من جملة السور التي لم تتماثل الفواصل فيها من أولها إلى آخرها ولم يتحد رويها، هي ما كان التغير فيها لم يخضع لنظام مقطعي في توالي الفواصل وتوارد الروي، وإنما كان خاضعاً لاعتبارات أخرى تنحصر في المعنى أو السياق أكثر من أي تفسير تعبيرى آخر لهذا النوع من الانزياح على غير نظام في الظاهر لكثير من السور المكية والتي يمكن تقسيمها \_ بحسب هذا النوع من التغير \_ إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يضم سوراً كان التغير في فواتحها، وهي "الأعراف"، "الرعد" و"الإسراء"، "المزمل"، وقسم كان التغير في صلبها، وهي: "طه"، "الأنبياء"، "الحج"، "الزمر"، "الرحمن"، "القيامة"، "النازعات"، "عبس"، "الانشقاق"، "الكافرون". وقسم حدث التغير في خواتمها وهي "النجم"، "الانفطار"، "الضحى"، "المسد".



وأغلب هذه السور كان التماثل أو وحدة الرّوي حاضرا فيه بمساحة أكبر، حتى أنه كاد يكون التماثل فيه كاملا، لولا التغيير الطفيف الذي يطرأ على الإيقاع بسبب تغير الرّوي أو الفاصلة التي كانت السورة جميعها على نعمها وطبعتها بطابعها الذي يوافق سياقها، ويكفي \_ في توضيح ذلك \_ تحليل نموذج أو اثنين من كل قسم، لإبراز هذه السمة التي تواترت في جزء كبير من القسم المكّي من القرآن.

فسورة "ص" التي بُنيت فواصلها في الأغلب على الوزن أكثر من بنائها على الرّوي، وأن الوزن يتغير من مقطع إلى آخر، لكن تصب كلها في نسق إيقاعي متناغم يجعلها ذات وحدة موسيقية عمادها التناسق والانسجام. وأوزان الفواصل التي بُنيت عليها أواخر الآيات هي: "فَعَال"، "فَعَّال"، "فُعَال"، "افتعال"؛ "الفعال"، "الأفعال"، "المفاعل"، وهذه الأوزان، وإن اختلفت في الصيغة، فهي متفقة في الرّدف "الألف"، وهو ما تتوافق فيه الفواصل الأخرى: "أَنَاب"، "أَصَاب"، "التَّار"، وبقية الفواصل إلى ختام السورة تتراوح بين: "الياء والنون" و "الواو والميم"، و"الياء والميم"، أما ما ورد في فاتحتها وخالف نسق الفواصل فيها فلم يؤثر في كثير من جانب الإيقاع، إذ أنه لم يحدث كسرا ولا مفاجأة إيقاعية تذهب بجمالية النغم أو اتساق الإيقاع، ومثل ذلك ينطبق على سورة "الإسراء" وغيرها كثير .

أما السور التي وقع التغيير في صلبها فمنها سورة "طه" التي بُنيت فواصلها في أغلبها على ألف المدّ المقصورة، ويتخلف هذا التماثل عند قوله تعالى: ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) ﴾، إلا أن الآية التي بعدها بقصر قرينتها وإيفائها بالمعنى قد غطت على التغيير الحاصل وخفّضت من وطأة المفاجأة الإيقاعية، فلا تكاد تشعر بهذا الانزياح الطارئ.

ومن القسم الثالث من السور التي كان التغيير في خواتمها، نجد سورة الضحى التي ختمت بقوله تعالى: "فحدّث"، فهي فاصلة خالفت ما قبلها من فواصل السور رويًا وردفًا، ووردت منفردة، لأن السياق هو الذي قاد النظم إليها واقتضاها، فكانت في مكانها الدقيق وفي مصيبتها المحترم، إذ بعد أن عدّد الله عليه نعمه وأياديه، وتذكيره برعايته له من أول نشأته، "لئلا يتوقع إلّا الحسنى وزيادة الخير والكرامة"<sup>1</sup> يوجّهه ويوجّه المسلمين من ورائه إلى رعاية كلّ يتيم، وإلى كفاية كلّ سائل، وإلى

<sup>1</sup> الكشف 767/4.

التحدث بنعمة الله الكبرى عليه، وفي أولها: الهداية إلى هذا الدين،<sup>1</sup> والتحدث هو المظهر العملي للشكر، والحديث الصامت النافع الكريم<sup>2</sup>، والرسالة، هي أكبر النعم التي يُؤثّرُ بها نبيُّ مُرسل . وقد آثر القرآن فاصلة "فحدّثُ" وإن فات معها توافق الفواصل، لأنها أليق في هذا المقام لما تحمل من معنى التبليغ والرسالة، على فاصلة "فخبّر" وإن حصل معها الانسجام ورعاية توالي الفواصل، إذ أن المعنى هو الأصل.

وعليه فإنّ خروج هذا النوع من السور في فواصلها عن التماثل أو الفاصلة الغالبة وما يطرأ على فواصل كل منها من انزياح إما في أولها، أو وسطها، أو في خاتمها ليحمل دلالة وأيّ دلالة، مردّها إلى حقيقة الإبداع في النظم القرآني الذي يقترب في - ظاهره - من السجع أو الشعر، لكنه ليس في شيء من قيودهما الضيقة البتّة، فالفاصلة القرآنية لا تُلتزم دائماً، لا في السورة كلها، ولا في جزء كبير منها، ولأن الشاعر مقيد بهذه القافية يعسر عليه في الغالب أن يتابع فكرة على المنهج المنطقي، كما أنّه ليس من الضروري أن تنتهي الفكرة القرآنية بالفاصلة، بل إنّها لتسمح بمتابعة الفكرة في جملة آيات معاً. لذا فإنك ترى الفاصلة المسجوعة في النظم القرآني تتخلّف في ثنايا السورة ويقع الانزياح الإيقاعي السليبي؛ إذ لا نشاز أو إخلال بلذّة السماع، وفي هذا برهان على أن المعنى هو الأصل وأن السجع (القرآني) لا يُراد به مطلق التوافق في الحرف، وإنما يُقصد به التلحين والتنغيم، لأن تغيير الحرف مع بقاء الوزن لا يغير من الرثّة الموسيقية،<sup>3</sup> وأما حلية تُقصد ولكنها لا تُلتزم لما في التزامها من قهر المعاني على متابعة الألفاظ.<sup>4</sup>

### ب- الفواصل من زاوية النمط والبناء

بعد تتبع الفاصلة من ناحية الرّوي أو الرّدف وهما الحرفان الأخيران من الكلمة التي تحتم بها الآية لاستكشاف نسبة تواتر التماثل التام أو الناقص الذي تتميز به فواصل القرآن المكّي، يقتضينا البحثُ النظر إلى بنية الفاصلة وأنماطها، وحسبنا هنا التركيز على أنماط الفاصلة كما أسفر عنها تتبعنا لآيات السور المكّيّة وتواترها.

<sup>1</sup> في ظلال القرآن، المجلد6، الجزء الثلاثون، ص3927.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص3928.

<sup>3</sup> زكي مبارك، الشر الفني في القرن الرابع الهجري، بيروت، د.ط، صيدا، منشورات المكتبة العصرية، د.ت. 1/ 80.

<sup>4</sup> نفس المكان.

أ) التوازي: هو أشرف أقسام الفواصل، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع.<sup>1</sup>  
 ونمط التوازي في القرآن الكريم يمثل ظاهرة الاستلزام في لسان علماء البيان ومعناه أن يلتزم في الكلام  
 - نظماً كان أم نثراً - قبل الروي حرفاً مخصوصاً أو حركة مخصوصة من الحركات قبل الروي أيضاً،  
 أي المطابقة وزناً وروياً؛ مما يفرز أثراً صوتياً ونغماً إيقاعياً محبباً. وعمادنا في إظهار جمالية هذه الظاهرة  
 الصوتية استعمال المقاطع أو التشريح المقطعي للآيات، ويجزئ - في بيان ذلك - تشريح بعض  
 الآيات من سور متفرقة عن الكثير من مواضع التوازي في القرآن المكي.

ومن الآيات التي اتفقت فيها الفاصلتان وزناً وروياً قوله عز وجل:

1/ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ، مَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى: 29-31]

2/ ﴿ خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ [الدخان: 47-48]

3/ ﴿ ويل لكل أفاك أثيم، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ [الجاثية: 7-8]

4/ ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان: 17-18]

واستناداً إلى التشريح المقطعي للآيات يتضح جلياً كيف تعادلت القرائن في الوزن والروى:

قدير: (ق - اد - ي / ر -) (مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل).

كثير: (ك - اث - ي / ر -) (مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل).

نصير: (ن - اص - ي / ر -) (مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل).

الجحيم: (ا - ل - ا - ح - ا - ح - ي / م -) (مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع قصير).

الحميم: (ا - ل - ا - ح - ا - م - ي / م -) (مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع قصير).

أثيم: (أ - ا - ث - ي / م -) (مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل).

أليم: (أ - ا - ل - ي / م -) (مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل).

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان 1 / 75.

زنجبيلًا: ( ز - نَ / ج - ا - ب - ي / لا ) - ( مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل )

سلسبيلًا: ( س - لَ / ا - ب - ي / لا ) - ( مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل )

ومن ذلك، يتبين - بجلاء - المطابقة التامة بين الفواصل وزنا ورويًا، لا سيما ما تحقق فيها من الاستلزام، وهو التعادل في حروف ما قبل الروي، أو ما يسمّى بـ "الرّدْف" الذي ساعد على تكثيف الإيقاع المنسجم بين الفواصل، وتوفير النغم الرّخِي المتوقع، إلى جانب تكرار حرف السّروي الذي يودّي إلى إثراء التعبير بهذا الرنين الموسيقي الذي تستجيب له النفس وتميل إليه، علاوة على ما يحمله نظام التوازي من محسّنات داخلية صوتية أخرى تطبع التعبير أساقا صوتيا واضحا؛ يُحدثه في المقام الأول الجناس الصوتي البديع:

- مُسْتَمِر	- مُسْتَقَر .	( النجم: 1-2 )
- مَبَّاب	- مَتَاب .	( الرعد: 28-29 )
- مَيْسُورَا	- مَحْسُورَا	( الإسراء: 28-29 )
- مَحْسُون	- مَمْنُون	( القلم: 2-3 )
- بَشْر	- عَشْر	( المدثر: 29-30 )
- مَقْرَبَة	- مَتْرَبَة	( البلد: 15-16 )
- لَشْهِيد	- لَشْدِيد	( العاديات: 7-8 )

وقد حاولنا رصد هذا النمط من الفواصل في جميع السور المكية لبيان مدى تواتره وشيوعه، واكتفينا - تجنباً للإطالة - إحصاء المواضع في السور المكية مع تحديد أرقام الآيات وعدد التواتر في كلّ سورة منها:

السّورة	عدد التواتر	مواضع ورودها
هود	7	(2, 3, 4) - (57, 58) - (61, 62) - (98, 99) - (103, 104) - (111, 112)
الرعد	2	(12, 13) - (29, 30)
ابراهيم	3	(14, 15, 16) - (28, 29)
الإسراء	14	(8, 9) - (19, 20, 21) - (28, 29) - (30, 31) - (49, 50) - (57, 58) - (72, 73, 74)

(78, 79) - (84, 85, 86) - (87, 88) (99, 100) - (101, 102)		
(3, 4) - (10, 11, 12) - (19, 20) (33, 34) - (62, 63) - (67, 69) - (70, 71) (73, 74, 76) - (80, 81) - (99, 101)	12	الكهف
(3, 4, 5, 6, 7) - (10, 11, 12, 13, 14) (18, 19, 20) - (24, 25) - (27, 28, 29, 31) (46, 47, 48) - (49, 50, 51, 52) (62, 63, 64) - (68, 69, 70) - (78, 79, 80) (84, 85, 86, 87) - (93, 94, 95, 96, 97)	23	مريم
(25, 26) - (28, 29) - (31, 32) - (33, 34) (99, 100)	5	طه
(2, 3) - (70, 71, 72)	3	الحج
(29, 30) - (40, 41) - (78, 79)	3	المؤمنون
(3, 4) - (14, 15) - (19, 20) - (27, 28) (42, 43) - (51, 52) - (54, 55, 56) - (66, 67)	9	الفرقان
(78, 79, 80, 81)	3	الشعراء
(23, 24)	1	القصص
(19, 20)	1	العنكبوت
(28, 29, 30) - (31, 32)	3	لقمان
(6, 7) - (26, 27)	2	سبا
(28, 29, 30) - (31, 32, 33) - (44, 45)	5	فاطر
(67, 68) - (110, 111) - (135, 136)	3	الصفات
(24, 25) - (65, 66)	2	ص
(65, 66)	1	الزمر
(39, 40) - (52, 53)	2	فصلت
(8, 9) - (13, 14) - (29, 30, 31)	4	الشورى

(31, 30)-(24, 23, 22, 21)-(19, 18, 17)	6	ق
(36, 35)-(29, 28)-(4, 3, 2, 1)	5	الذاريات
(10, 9)-(8, 7)-(4, 3, 2)	4	الطور
(2, 1)	1	النجم
(39, 38)-(35, 34)-(20, 19)-(3, 2)	4	القمر
(20, 19)-(4, 3)-(2, 1)	3	الرحمن
(94, 93)-(34, 33)-(29, 28)	3	الواقعة
(21, 20)-(19, 18, 17)-(9, 8)	4	الملك
(49, 48)-(13, 12)-(3, 2)	3	القلم
(20, 19)-(12, 11, 10)-(8, 7, 6) (31, 30)-(26, 25)	7	الحاقة
(18, 17)-(15, 14)-(8, 7)-(4, 3, 2, 1)	6	التغابن
(21, 20, 19)-(2, 1)	3	المعارج
(21, 20, 18, 17)-(10, 9)-(3, 2) (28, 27, 26, 25)-(24, 23)	8	الجن
(13, 12)-(11, 10, 9)-(3, 2)	4	المزمل
(20, 19, 18)-(16, 15)-(10, 9)-(4, 3) (30, 29)-(28, 27, 26)-(25, 22, 21) (36, 35)-(34, 33)	12	المدثر
(18, 17)-(11, 10, 9, 8, 7) (35, 34, 32, 31)-(25, 24, 23, 22)	11	القيامة
(21, 20)-(12, 11)-(10, 9, 8)	4	المرسلات
(33, 32)-(29, 28, 27)-(26, 25) (40, 39, 38)-(37, 36, 35)	8	النبأ
(8, 7, 6)	2	النازعات
(21)-(20, 19)-(16, 15)-(14, 13) (35, 34)-(31, 30)-(28, 27)-(23, 22)	11	عبس

(36)-(40, 41, 42)		
(2, 4)-(6, 7)-(8, 9, 10, 11)-(15, 16)- (20, 21)	7	التكوير
(1, 2)-(3, 4)-(7, 8)-(10, 11)-(13, 14)	5	الانفطار
(2, 3)-(16, 17)	3	الانشقاق
(2, 3)-(6, 7)-(8, 9)	3	البروج
(11, 12)-(13, 14)	2	الطارق
(4, 5)-(10, 11, 12)-(13, 14)-(17, 18)- (19, 20)-(25, 26)	7	الغاشية
(1, 2, 3, 4)-(6, 7, 8)-(19, 20)	6	الفجر
(1, 2, 3, 4, 5) - (8, 9) - (12, 13)- (14, 15, 16)	8	البلد
(1, 2)-(5, 6)-(9, 10)	3	الشمس
(9, 10)	1	الضحى
(7, 8)	1	الشرح
(1, 2)	1	العلق
(1, 2, 3, 4, 5)	4	القدر
(1, 2)-(4, 5)-(7, 8)-(9, 10)	4	العاديات
(9, 10, 11)	9	القارعة
(1, 2)	1	الهمزة
(2, 3, 4)	2	المسد
(1, 2)	1	الفلق

هذا ما دخل تحت الحصر باعتبار الفاصلتين المتواليتين وبينهما تواز، وقد روعي في ذلك التقابل والتوازن من حيث عدد الحركات والسكنات وتوازي المقاطع في بنيتي الفاصلتين، علاوة على التوافق في الحرف الأخير، وغالبا ما يكون ملحقا بتوافق في الردف وهو ما يسهم في انسجام الإيقاع واعتداله أكثر.

وإلى هنا يمكن القول أنّ ظاهرة التوازي في القرآن المكّي تُعدّ سمةً واضحةً؛ وردت بصورة مكثفة إلى حد اعتبارها من أهم الفروق التي تميّز الفواصل المكّية عن نمط الفواصل في القرآن المدني، وهذا الحضور البارز لظاهرة التوازي يخلصنا إلى نتيجتين هامتين:

أولاهما: أنّ نظام التتابع في الآيات المكّية وقصر جملها التي تعتمد غالباً على الجملة البسيطة من حيث البنية أو التركيب اللغوي - لاسيّما في المفصل من القرآن - هو الذي فرض هذا المنحى الأسلوبى القائم على التماثل والتشابه والتساوي والتوازي وهو عامل لا يعدم تأثيره في إنشاء ظاهرة الاعتدال الصوتي بما ينطوي عليه من محسنات داخلية صوتية أخرى ونسق واضح، كالجناس الذي انطوى عليه التوازي في كثير من المواضع، كالذي نجده بين فاصلتي "الكتّس" و "الخنّس"، و بين "عسير" و "يسير"، و بين "مستمر" و "مستقر"، و بين "مجنون" و "ممنون"، و بين "مقربة" و "مترربة"، ومنه كثير قد شمله الإحصاء في الجدول السابق.

ثانيتهما: لا تكاد تجد سورة من السور المكّية نمط فواصلها كلّها قائم على التوازي، بل كان موزعاً توزيعاً محصّله المعنى ومولّده السياق، إذ هو بمقام اللون الواحد من ألوان اللوحة التي تشكّلها البنى اللغوية بأنساق وانسجام مع ألوان بديعة أخرى متلاحمة ومجتمعمة لأداء الدلالة في تميّز وبراعة تعبيرية هي غاية ما يميّز به التعبير اللغوي العربي من حيث الدقة والملاءمة والإيجاز الذي يتسع لأعظم المعاني وأعمق الإيحاءات.

ومنه فلا جرم أنّ موسيقى القرآن الكريم ترتد في بعض منها إلى الأعجاز المتساوية فواصلها، في الوزن والرّويّ، وذلك النسق التام في خواتم الآيات من حيث التقابل في الحركات والسكنات والتماثل في الرّويّ وحتى الرّدف غالباً، وبذلك نلمح توازياً إيقاعياً تاماً في جميع مقاطع الفاصلتين، لاسيّما في المقطع الأخير الموقوف عليه، وهو ما يُظهر الإيقاع ويقوّيه أكثر، وتتجلّى هذه الخاصية بوضوح في الجدول الآتي:

مجال الحركات والسكنات			
مَ	سَ	حُ	رَا
مَ	شَ	كُ	رَا
مَ	حَ	ظُ	رَا
+	+	+	+



هذا الجدول يبيّن لنا الانسجام الكائن بين الفواصل الثلاث المتلاحقة من سورة الإسراء "نموذجاً" وهو ذو جوانب ثلاثة:

- 1- جانب الوزن، أو الصيغة المشتركة المتمثلة في "اسم المفعول".
  - 2- جانب الصائت ( الحركة) وهو الضمة الطويلة.
  - 3- جانب الرّويّ المتمثل في حرف "راء" ذي الصوت الطويل الذي يجليّه بوضوح الوقف في آخره.
- هذه الجوانب الثلاثة مجتمعة هي مظهر الانسجام الإيقاعي بين الفواصل المتوازية القائمة على البنى المتماثلة مورفولوجياً، والمتجانسة صوتياً، والمتقابلة مقطعيًا، ومن ثمة، فلا يعدم أن يكون لهذا التطابق الإيقاعي أثره الجمالي الذي له وزنه واعتباره في مقام التأثير و الإمتاع والإطراب اللغوي.

(2)-التطريف: هو نمط آخر من الفواصل اتسم به الأسلوب المكبي في إيقاعه من حيث تواتره وشيوعه، إذ أنّ المطرف- كما عرفوه- هو ما اتفقت فيه الفاصلتان في حروف السجع لا في الوزن<sup>1</sup>، أي اتفاق القرائن أو تقاربها في الرّوي دون الوزن كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿﴾ [نوح: 13-14].

ومهما يكن فإنّ انعدام التوازن والتقابل أو المماثلة بين الفاصلتين في الحركات والسكنات لا يؤثر في كثير على جمالية الإيقاع، لأنّ نقطة الارتكاز الصوتية في نمط المطرف، هي نهاية الفاصلة الموقوف عليها، ولا سيّما وأنّ هذا "التكرار النمطي قد يأخذ صورة أكثر إيقاعاً عندما يشترط البلاغيون أن تكون فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفاً عليها بالسكون في حال الوقف والدرج، لأنّ الغرض معه هو التناسب بين القرائن أو المزاجية بين النثر وذلك لا يتمّ إلاّ بالوقف والسكون"<sup>2</sup>.

ثمّ إنّ التشابه المقطعي أو التقابل في المقاطع قد يُعدّ- في كثير من المواضع- تعويضاً عن الوزن المفقود بين الفاصلتين، لكن عند القراءة يولّد في نفوسنا إحساساً بوجود نوع من التوازن الإيقاعي، مثل ما نجد في أوائل سورة الذاريات :

وَقِرًّا - (و- ق- رَا)  
يُسْرًا - (يُ- س- رَا)

<sup>1</sup> الرهان 76/1.

<sup>2</sup> محمد عبد المنظف، البلاغة والأسلوبية، د.ط، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص218.

## أَمْرًا - (أ - م - را)

فالملاحظ هنا، هو التطابق التام من حيث المقاطع والتماثل على مستوى حركة الحرف الثاني، لولا ذلك الاختلاف اليسير في حركة الحرف الأول، إلا أن وحدة الرّويّ وتساوي الحركات والسكنات قد غطّيت ذلك على الاختلاف فلا يكاد يبين عند التلاوة.

وقد حضر المطرف من الفواصل في السور المكية بكثافة واضحة بحيث تواتر شيوعه في جميع المكّي من القرآن، إلا أنه يكون بارزا أكثر كلما قصرت قرائن السورة وتقاربت، إذ أنه أشدّ ما يكون موافقة للفواصل ذات القرائن القصيرة، مما يجليّ إيقاعه ويزر أثره ووقعه الصوتي.

فبدءا من سورة الإسراء تبدأ الفواصل المطرفة يتكثف حضورها، ويظهر أثرها في الإيقاع بشكل بارز لاسيما في السور التي تُقارَبها في الطول، كسورة الكهف، ومريم، وطه ثم الفرقان والشعراء، والصفاء و ص، والزمر، والشورى. ومن المفصل نجد سورة ق، والطور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والتغابن والملك والقلم والحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمل والمدثر والقيامة والإنسان والمرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والبروج والطارق والأعلى والغاشية والفجر والبلد والشمس والليل والضحى والشرح والتين والعلق والقدر والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر و العصر والهمزة والفيل وقريش والماعون والكوثر والكافرون والمسد والإخلاص والمعوذتين.

ومن ثمة، فإن خاصية الإيقاع الجمالية في المتطرف تكمن في مراعاته لوحدة الجرس في خواتيم الفقر المتلاحقة، بالإضافة إلى ما يخلقه من اتساق وتوازن إيقاعي بين الآيات، يعضدها القصر الذي يساعد على تذوق الإيقاع والشعور بالرّنة الموسيقية في المقطعين الأخيرين، إذ أن المعول عليه في تحقيق روعة الفواصل هو الوقف، "فكلما كانت الأواخر أكثر إيقاعا كانت النفس أشدّ أثرا، والمعنى أكثر خلودا"<sup>1</sup>. ولذلك أنه لا يظهر لك جمال الفواصل -حال التلاوة- وهي معربة، و"لا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفا عليها؛ لأن الغرض المجانسة بين القرائن والمزاوجة؛ ولا يتم ذلك إلا بالوقف، ولو وصلت لم يكن بدّ من إجراء كلّ القرائن على ما يقتضيه حكم الإعراب فعطلت عمل الساجع وفوت غرضهم"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص30.

<sup>2</sup> الزركشي، البرهان 71/1.

(3) -التوازن: ومن السمات الإيقاعية البارزة في النظم المكي من القرآن، ظاهرة التوازن بين الفواصل التي تتشابه إلى حدّ ما- من حيث التشكيل الصوتي - مع الفواصل المتوازية تشابهاً يكاد يكون كلياً لولا اختلافهما في المقطع الأخير من الفاصلتين، إذ يراعى في التوازن الوزن في مقاطع الكلام<sup>1</sup> دون الاتحاد في أحرف الروي أي تعادل الكلمات من حيث الوزن وليس في خواتيمها وحدة الجرس. فأدنى ما يشترطه التوازن كون الفواصل على وزن واحد والمقصود به "الوزن العروضي" من حيث الحركات والسكنات، والتشريح المقطعي يجلي ذلك التعادل كما في المثال الآتي من أوائل سورة المرسلات:

فالعاصفات تصُفَاً — عَـصْ / فَا  
 والنَّاشِرَاتِ نَشْرَاً — نَـشْ / رَا  
 فالفَارِقَاتِ فَرِقَاً — فَـرْ / قَا

ويتعدّى التعادل - في القرآن المكي - ليشمل القرينتين جميعاً أو في أكثرها، فإذا تقابلت الكلمة مع ما يعادلها وزناً كان أجمل وأوقع في النفس كما في المثال الآتي من سورة الصافات<sup>2</sup>:

( أ )	( م )	( س )
آتيناهما	الكتاب	المستبين
( ب )	( ن )	( ل )
وهديناهما	الصراط	المستقيم

من خلال هاتين الآيتين يلاحظ التوازن التام بين وحدات القرينتين، بحيث أن ( أ ) تعادل ( ب )، و( م ) تعادل ( ن ) و( س ) تعادل ( ل )، إمّا من حيث الوزن العروضي (الحركات والسكنات) وإمّا من حيث الوزن الصرفي. كما أن هذا التوازن البنيوي قد أفرز توازناً دلالياً واضحاً؛ إذ أن الكتاب المستبين يهدي إلى الصراط المستقيم؛ وبنعمة الكتاب الكريم، كانت نعمة الهداية إلى التي هي أقوم. وعليه، فالتوافق الكمي بين القرينتين وما يُعضّده من توافق حرفي وصرفي ومقطعي يلتقي كلّ ذلك على صعيد واحد، لتتضافر على جمال الفواصل، ونلمس ذلك أكثر في أغلب سور المفصل المكية

<sup>1</sup> البرهان 76/1، وانظر: الإيقان 183/2.

<sup>2</sup> الآيات: 117 - 118.

التي تتميز آياتها بالتتابع والتلاحق النغمي، فهي سريعة النبض، قصيرة الموجة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة، ويلحظ فيها التموج والانسياب المتسق مع جَوّ السورة أو الموضوع. ويحضر التوازن ويشيع بنسبة ملحوظة في السور التي تتميز بالطول نسبياً، لكن يغلب على آياتها القصر والإيجاز ونجد ذلك في سور هي: الإسراء، والكهف، وطه، والحج، والفرقان، ولقمان، وسبأ، وفصلت والشورى. والجدول التالي يرصد مواضع التوازن في الفواصل المكية:

مواضع ورودها	عدد التواتر	السورة
(1، 2)-(12، 13)-(29، 30)-(33، 34)	4	الرعد
(2، 3)-(9، 10)-(14، 15)-(16، 17)-(21، 22)- (28، 29)	6	ابراهيم
(8، 9، 10) - (19، 20)-(23، 24)-(30، 31)-(33، 34) (38، 39)-(42، 43)-(48، 49)-(50، 51) (52، 57)-(58، 65)-(66، 68)-(69، 71)-(72، 73) (74، 78)-(79، 84)-(85، 86، 87، 88)-(97، 98)- (99، 100)-(101، 102)-(103، 104، 105)	27	الإسراء
(2، 3، 4)-(6، 7)-(9، 10)-(11، 12)-(33، 34) (35)-(38، 39، 40، 41، 42)-(46، 47)-(58، 59)- (62، 63، 64)-(70، 71)-(77، 78)-(97، 98، 99)	19	الكهف
(3، 4، 5، 6، 7) - (10، 11، 12، 13، 14) - (17، 18، 19، 20)-(24، 25)-(27، 28، 29، 30)- (43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53) (54)-(59، 60)-(62، 63، 64، 65)-(66، 67)-(68، 69، 70، 80، 81، 82)-(83، 84، 85)-(93، 94، 95)- (96، 97)	39	مرم
(44، 45)-(52، 53)-(73، 74)-(99، 100)-(103، 104) (104، 105)-(107، 108)	13	طه

(1, 2, 3)-(5, 6)-(12, 13)-(28, 29)-(44, 45) (62, 63, 64, 65)-(74, 75)	10	الحج
(5, 6, 7)-(14, 15)-(19, 20, 21)-(22, 23) (26, 27, 28)-(37, 38)-(42, 43, 44)-(45, 46) (51, 52)-(54, 55, 56, 57, 58, 59)-(67, 68)	20	الفرقان
(22, 23)-(27, 28, 29, 30)-(31, 32, 33)	6	لقمان
(21, 22)-(26, 27)-(44, 45)-(50, 51, 52, 53)	6	سبأ
(1, 2)-(7, 8, 9, 10, 11)-(22, 23)	6	الصفات
(11, 12, 13)-(22, 23)-(24, 25)-(48, 50)	6	ص
(3, 4, 5)	2	الزمر
(39, 40, 41, 42, 43, 44)-(47, 48)-51 (52, 53)	9	فصلت
(26, 27, 28, 29, 30, 31)-(34, 35)-51	7	الشورى
(2, 3, 4, 5) - (14, 15) - (16, 17, 18, 19, 20) (21, 22, 23, 24) - (26, 27, 28, 29, 30, 31) (32)-(35, 36, 37)-(38, 39, 43, 44, 45)	24	ق
(5, 6)-(28, 29)	2	الذاريات
(2, 3, 4, 5, 6)-(7, 8)-(9, 10)	6	الطور
(1, 2)-(18, 19, 20, 21)-(37, 38)-(43, 44)	9	النجم
(2, 3)-(19, 20)-(23, 24)-(34, 35)-(48, 49)	5	القمر
(19, 20)	1	الرحمن
(2, 3, 4, 5) - (8, 9) - (28, 29, 30, 31, 32, 33) (34)-(36, 37)-(93, 94)-(95, 96)	10	الواقعة
(1, 2, 3)-(5, 6, 7, 8)-(9, 10)-(14, 15)	7	التغابن
(5, 6)-(8, 9)-(18, 19)-(20, 21)	4	الملك

(49, 48)-(14, 13, 12)	3	القلم
-(26, 25)-(20, 19)-(14, 12)-(8, 7, 6)-(5, 4) (46, 45)	7	الحاقة
(27, 26, 25, 24)-(20, 19)-(16, 15)-(10, 9)	6	نوح
(20, 19)-(18, 17)-(12, 11)-(7, 6, 5)-(2, 1) (21)	7	المعارج
(16, 15, 14, 13)-(10, 9)-(7, 6)-(4, 3, 2, 1) (28, 27, 26, 25, 24, 23)-(21, 20)-(18, 17)	16	الجن
(17, 16)-(14, 13, 12, 11, 10, 9)	6	المزمل
(34, 33)-(32, 31)-(21, 20)-(10, 9)-(4, 3, 2)	6	المدثر
(25, 24, 23, 22)-(21, 20)-(10, 9, 8, 7)	7	القيامة
(31, 30, 29)-(27, 26, 25)-(18, 17)	5	الإنسان
(32, 31)-(21, 20)-(12, 11)-(10, 9, 8)-(4, 3, 2)	7	المرسلات
-(33, 32)-(27, 26)-(25, 24)-(19, 18)-(8, 7) (39, 38)	6	النبأ
(13, 12)-(9, 8)-(7, 6)-(5, 4, 3, 2, 1)	7	النازعات
-(26, 25)-(21, 20)-(16, 15)-(14, 13)-(9, 8) (41, 40)-(36, 35, 34)-(31, 30, 29)-(28, 27)	11	عبس
-(16, 15)-(13, 12)-(11, 10, 9, 8)-(7, 6)-(4, 3) (21, 20, 19)	9	التكوير
(14, 13)-(8, 7)-(4, 3)-(2, 1)	4	الانفطار
(11, 10)-(3, 2)	2	الانشقاق
(7, 6)	1	البروج
(14, 13)-(12, 11)-(3, 2, 1)	4	الطارق
(19, 18)-(15, 14)-(7, 6, 5)	4	الأعلى
(15, 14, 13)-(12, 11, 10, 9, 8)-(5, 4, 3, 2, 1) (26, 25)-(22, 21)-(20, 19, 18, 17)-(16)	15	الغاشية

(1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9)-(19, 20, 21, 22)	8	الفجر
(1, 2, 3, 4, 5)-(11, 12, 13)-(14, 15, 16, 17, 18, 19)	10	البلد
(5, 6, 7, 8, 9, 10)-(13, 14, 15)	6	الشمس
(6, 7)-(9, 10)	2	الليل
(2, 3)-(9, 10)	2	الضحى
(7, 8)	1	الشرح
(1, 2)-(9, 10)-(15, 16)	3	العلق
(1, 2, 3, 4, 5)	4	القدر
(4, 5)-(7, 8)	2	الزلزلة
(1, 2, 3, 4, 5, 7, 8)-(9, 10)	6	العاديات
(4, 5)-(9, 10, 11)	3	القارعة
(2, 3)	1	الهمزة
(2, 3, 4)	2	قريش
(2, 3, 4, 5)	3	المسد
(2, 3)	1	الفلق

من خلال هذا الجدول، يتبين لنا أن التوازن يقارب التوازي من حيث كثافة الحضور أو الشبوع في السور المكية، إذ أننا نلمس - بحضورهما - ثراء نغميا عماده التطابق الإيقاعي والتقابل الناقص أو التام في مستوى المقاطع، وكلّ هذا أكسب القرآن المكي قيمة فنية عالية وجعله يسمو إلى عالم الشاعرية من حيث البناء الإيقاعي القائم على توزيع هندسي بديع للألفاظ والبنى اللغوية داخل الرقعة التعبيرية للنص القرآني، غايتها التأثير والإقناع بما أن الميزة الغالبة للتوازن - هنا - أنه يظهر في توافق الفواصل الذي يحصل به هدوء النفس عند التلاوة.

أما التوازن من ناحية البناء فقد أخذ أشكالاً متنوعة، وكلّها حققت توازناً إما داخلياً أو خارجياً. فلفظة "زَنِيم"<sup>1</sup> قد تطابقت وتوازنت مع اللفظة المقابلة لها في الفاصلة الثانية وهي "بَنِين"<sup>2</sup>،

<sup>1</sup> القلم: 13.

<sup>2</sup> القلم: 14.

وهذا التوازن هو توازن داخلي، لأن اللفظين يختلفان صرفياً من حيث الوزن ولكن بينهما توازن وتطابق في الإيقاع الداخلي:

{ زَنِيمٌ — زَ - / ن - يَ / مَ = // 00 (بالوقف).  
 بَنِينٌ — بَ - / ن - يَ / نَ = // 00 (بالوقف).

ومع أن لفظة "زَنِيمٌ" صفة مشبهة وأن لفظة "بَنِينٌ" جمع سلامة لـ "ابن"، إلا أن تقابل الحركات والسكنات هو نوع من أنواع التوازن الإيقاعي.

كما يعتبر التوازن المقطعي توازناً بديعاً من جهته الجمالية، لأنه يُغطّي على الاختلاف الطفيف في إحدى حركات الوحدتين أو الفاصلتين ولا يمثل سلبياً على المستوى الصوتي:

{ مِيقَاتَا — مَ - يَ / قَا / تَا: مقطع طويل + مقطع طويل + مقطع طويل  
 أَفْوَا جَا — أَ - فَ / وَا / جَا: مقطع طويل + مقطع طويل + مقطع طويل

فالملاحظ - هنا - في هاتين الفاصلتين أن الاختلاف بينهما كان من ناحية حركة الحرف الأول في كلٍّ منهما، لكن توازن المقاطع أفرز إيقاعاً متشابهاً قد غطى على كل ذلك الاختلاف الطفيف، ومن هنا تتجلى فعالية التوازن وأثره في الإيقاع القرآني.

والقرآن حين يتخلى عن التزام الرّوي وتمثاله في الفواصل في مواضع منه، ويكون التوازن هو البديل، فلضرورة لازمة لكسر الرتابة وتحقيق التنوع النغمي من جهة، وتيقظ للنفس وتنبيه للذهن من جهة أخرى، فضلاً على أن المعنى أو المسار الدلالي هو المقتضى لتحصيل الفواصل على كونها لبنة ركيعة في البنية الدلالية لا يكتمل المعنى السياقي إلا بها.

فقد بلغ التوازن في القرآن المكي درجة عالية من الجمال والتناسق الهندسي في بنية التعبير. فهو إلى جانب التوازن الصرفي والعروضي، يوجد نوع من أنواع التوازن - وإن كان لا يتصل بالفاصلة - وهو التناظر أي تقابل الأجزاء المتساوية في الحجم والشكل والتشابه في بنية التركيب، وقد أُشير إلى ذلك في غضون هذا الفصل تحت سمة "تكرار القالب الصوتي"، لذلك ودفعاً للإطالة، لم يكن التعرض إلى التوازن - هنا - إلا من ناحية الفاصلة تحديداً، والتركيز على أوسع سماته تواتراً وشيوعاً في القرآن المكي.



إلى هنا، وبعد تتبع مظاهر سمة الفواصل في السور المكية ومحاولة حصر أشكالها النيبوية والإيقاعية، يمكن القول أن الفاصلة في القرآن المكي قد حضرت بجميع أنواعها ووظفت توظيفاً رائعاً وفي أبداع بلاغة، لأنها لم تكن مقحمة ولا متعسفة، بل كانت موافقة ومؤدية للمقاصد الدلالية. وإذا نظرنا إلى الفاصلة - في السور المكية - إما من ناحية الرّويّ وسماته وإما من زاوية أنماط بنائها، من توازٍ وتطريف وتوازن تتجلى لنا الموسيقى اللغوية في أسمى جمالاتها وإبداعها وقد فاقت بذلك موسيقى الشعر التي عمادها الوزن والقافية أساساً، إذ أن نظام الفواصل في السور المكية قد اتسم بمراعاة الانسجام والتوافق في صور شتى، وبأنماط عديدة، غايتها تحقيق الكلام المنسجم المنتظم الأقل عبثاً على الذاكرة السمعية وأيسر في إعادته وترديده<sup>1</sup>؛ بحيث أنه "إذا ترددت في أواخر الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها، وأحسنا بغبطة وسرور حين سماعها، وبعث هذا فينا الرضا والاطمئنان إليها"<sup>2</sup>. وهذا يندرج تحت منطق مراعاة مقتضى حال الدعوة وهي في مرحلتها الأولى وحال المخاطبين الذين كانوا على شيء رفيع من التذوق الشعري ونواحي القول البليغ، لذلك كانت الفواصل تشكل حيناً كبيراً من نظام الإيقاع أو موسيقى القرآن المكي، لأنها تمنح التعبير إيقاعه المعدل الموزون وللجمل نغمها المتسق.

### خامساً - الحروف المقطّعة في فواتح السور وصلتها بالإيقاع

خاض كثير من العلماء والمفسرين في موضوع الحروف المقطّعة في القرآن فاختلّفوا فيها، وأثاروا الجدل حولها، مما أفرز كثيراً من الآراء والتخمينات والتأويلات التي لا حصر لها لبيان المراد منها أو استكناه الدلالات التي تنطوي تحتها. ورغم هذا الكم الهائل من الآراء التي كُتبت في معنى هذه الحروف وتفسيرها، إلا أن هذه الآراء على كثرة اختلافاتها ترجع إلى رأيين اثنين:

**الأول:** أنه لا مجال للعقل في تفسيرها وكشف سرّها، لأن المعنى المقصود غير معلوم للبشر، بل هو من الأسرار التي استأثر الله بعلمها<sup>3</sup>، ولم يُطلع عليها أحداً من خلقه، وذلك لحكمة من حكمه تعالى السامية التي تخفى على العقل البشري، حتى أن من العلماء من أدرج الحروف المقطّعة ضمن المتشابهة في القرآن الكريم.

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1965 م، ص9.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص71.

<sup>3</sup> انظر: الإتيان 11/2، وانظر: الرهان 173/1.

**والثاني:** يمثل اتجاهها آخر يرى من الواجب التكلم فيها وتلمس الفوائد التي تنطوي تحتها، أو المقاصد والمعاني التي ترمي إليها. إلا أن المتأولين اختلفوا في تفسيرها وذهبوا مذاهب متشعبة لا ضرورة هنا لمناقشة كل التأويلات التي تحاول إضفاء دلالة على هذه الحروف والتي أسهب علماء القرآن في تعدادها حتى وصلت إلى ما يزيد عن ثلاثة عشر تأويلاً، وإتاما الذي يُعنى به في هذا المقام هو محاولة إثبات ما لهذه الفواتح المقطعة من صلة بالإيقاع أو الجانب الصوتي من بين تلك التأويلات على كثرتها، وقد تنبّه إلى ذلك أكثر من باحث ودارس باعتبار أنها حروف غير دالة في ذاتها، بل هي جزء من النظام اللغوي، وهذا التأويل اللغوي هو الأقرب إلى طبيعة أسلوب المعجزة القرآنية.

وإذا نظر إلى عدد السور القرآنية التي افتتحت بالحروف المقطعة فهي تسع وعشرون سورة، وكلها مكية إلا اثنتين فهما مدينتان: البقرة وآل عمران. ويوضح ذلك الجدول الآتي على ما هو مشهور في ترتيب التزول<sup>1</sup>:

عدد السور	ترتيب السور	السورة	فواتح السورة بالحروف	عدد الحروف	مكان تزولها
1	2	القلم	ن	1	مكة
2	34	ق	ق	1	مكة
3	38	ص	ص	1	مكة
4	39	الأعراف	المص	4	مكة
5	42	يس	يس	2	مكة
6	44	مریم	كهيعص	5	مكة
7	45	طه	طه	2	مكة
8	47	الشعراء	طسم	3	مكة
9	48	النمل	طس	2	مكة
10	49	القصص	طسم	3	مكة
11	51	يونس	ألر	3	مكة

<sup>1</sup> انظر: الإيقان 14/1، وانظر: البرهان 173/1.

12	52	هود	الر	3	مكة
13	53	يوسف	الر	3	مكة
14	54	الحجر	الر	3	مكة
15	55	لقمان	الم	3	مكة
16	60	غافر	حم	2	مكة
17	61	فصلت	حم	2	مكة
18	62	الشورى	حم، عسق	5	مكة
19	63	الزخرف	حم	2	مكة
20	64	الدخان	حم	2	مكة
21	65	الجاثية	حم	2	مكة
22	66	الأحقاف	حم	2	مكة
23	72	إبراهيم	الر	3	مكة
24	75	السجدة	الم	3	مكة
25	84	الروم	الم	3	مكة
26	85	العنكبوت	الم	3	مكة
27	87	البقرة	الم	3	مدنية
28	89	آل عمران	الم	3	مدنية
29	96	الرعد	المر	4	خلاف <sup>1</sup>

من الملاحظ في الجدول السابق، هو أن الفواتح قد اتخذت صيغاً مختلفة، فمنها البسيط المؤلف من حرف واحد، وذلك في ثلاث سور هي: ص، وق، والقلم، ومن هذه الفواتح عشر مؤلفة من حرفين: سبع منها متماثلة تسمى "الحواميم" لأن أوائلها مفتوحة بـ "حم" إلا سورة "الشورى"، فمضموم إليها "عسق" وتتم العشر سورة "طه" وسورة النمل المفتوحة بـ "طس" وسورة "يس". أما الفواتح المؤلفة من ثلاثة أحرف فهي في ثلاث عشرة سورة، ست منها متماثلة

<sup>1</sup> سورة الرعد - كما جاء في أوّل البحث - هي من بين السور التي رُحجت على أنّها من القرآن المنكي، استناداً إلى الروايات التي وردت في البرهان والإنتقان، وذكر الزركشي سورة الرعد ضمن السور التي تدحل تحت نوع "ما نزل بالمدنية وحكمه مكي" لأنها تحاطب أهل مكة، البرهان، 195/1.

"الم" وهي لقمان، السجدة، الروم، العنكبوت، البقرة، آل عمران. وخمس منها بلفظ "المر" في مستهل كل من سور يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر، واثنان منها تأليفهما متماثل ثلاثي الأحرف وهي "طسم" في مستهل سورتي الشعراء والقصص، وبقي أن ثمة أربع سور مفتحة بأربعة أحرف في صيغتين إحداهما "المص" والأخرى "المر"، وكذلك سورة مريم المفتحة بخمسة حروف مقطعة "كهيعص".

ولكن الذي تجدر الإشارة إليه هنا-هو أن هذه السور كلها مكية إلا الزهراوين، فلأمر ما قلّ افتتاح السور المدنية بحروف الهجاء المقطعة، وكثر شيوعها في السور المكية إلى حد اعتبارها ضابطة من الضوابط المميزة للسور المكية عن السور المدنية<sup>1</sup>، مما يدفع بالباحث إلى محاولة حصر التفكير في دائرة واحدة تنأى به عن كثير من التخرصات والدلالات المتمحّلة التي لا تنتهي ولا تقف عند حدّ معين، ألا وهي البحث عن تعليل وبيان دلالات حضور حروف الهجاء المقطعة في الخطاب المكي من القرآن دون المدني إلا في أقله القليل.

فقد أورد السيوطي في إتقانه - وهو من القدامى - آراء وأقوال المفسرين استأنس بها المحدثون واستحسنوها وتوسعوا فيها، حتى غدت المذهب المفضل والقول المختار عند أغلبهم، إذ أورد رأياً على أنها تنبيهات كما في النداء و"إنما لم يستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كـ"إلا" و"إنما" لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم، والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يُؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تُعهد لتكون أبلغ في قرع سمعه<sup>2</sup>، إلا أن هذا الرأي جعل التنبيه للنبي ﷺ "ليسمع صوت جبريل، فيقبل عليه ويصغي إليه"<sup>3</sup>، أمّا رشيد رضا فيرى أن التنبيه إنما كان أولاً وبالذات للمشركين في مكة ثم لأهل الكتاب في المدينة<sup>4</sup>، وقد أشار الزركشي إلى هذا المعنى بقوله: "أنها كالمهيجة لمن سمعها من الفصحاء، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل، والأخذ في التفاضل وهي بمنزلة زجاجة الرعد قبل الناظر في الأعلام، لتعرف الأرض فضل الغمام، وتحفظ ما أفيض عليها من الأنعام. وما هذا شأنه خليق بالنظر فيه، والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه"<sup>5</sup>. وذكر هذا الطبري في

<sup>1</sup> أن كل سورة "أولها حرف تمجّ سوى الزهراوين و الرعد في وجه"، انظر: الإتقان 23/1، الرهان 189/1، وهذه الميزة الضابطة ذكرتها مراجع

أخرى لا مجال لحصرها هنا.

<sup>2</sup> الإتقان 14/2.

<sup>3</sup> نفس المكان

<sup>4</sup> تفسير المنار 303/8.

<sup>5</sup> الرهان 176/1.

تفسيره<sup>1</sup>. ومن المحدثين الذين رجحوا دلالة التنبيه من وراء الأحرف المقطعة، الزرقاني الذي أوضح التنبيه ومدى تأثيره على المخاطبين بقوله: "ذلك أن قرع السمع في أول الكلام بما يعي النفوس فهمه أو بالأمر الغريب، دافع لها أن تصغي وتتيقظ وتأمل وترداد إقبالا؛ فهي كوسائل التشويق التي تعرض في مقدمة الدرس على منهج التربية الحديثة في التعليم"<sup>2</sup> وأقر هذا كثير من الباحثين أمثال: أحمد عادل كمال<sup>3</sup>، ومحمود سليمان ياقوت<sup>4</sup>، ومحمد الزفزاف<sup>5</sup>، ومحمد عبد الله المهدي البدري<sup>6</sup>، ومحمد صبيح<sup>7</sup>، و رشيد رضا الذي بيّن تمسكه بهذا الرأي في قوله: "وقد جعلت العرب منه هاء التنبيه وأداة الاستفتاح، فأى غرابة في أن يزيد عليها القرآن الذي بلغ حد الإعجاز في البلاغة وحسن البيان"<sup>8</sup>.

أما ما يتعلّق بوجه الدلالة في أن جميع السور المفتحة بالأحرف المقطعة كلّها مكية عدا الزهراوين فهما مدينتان، فلموافقة الحال وما يقتضيه خطاب الدعوة من حكمة التنبيه ولفت الانتباه وتوجيه الإدراك في عقول المشركين من العرب لاحتضان الوحي والإيمان بالنبوة الخاتمة، إذ أن سورتي البقرة وآل عمران من أوائل السور نزولا في المدينة على المشهور<sup>9</sup>. وبترولهما مفتحتين بهذه الحروف المقطعة تمّت الحكمة الإلهية من تنبيه اليهود إلى الدعوة الجديدة وإثارة اهتمامهم بها، فلم يعد في استمرار الافتتاح بتلك الحروف بعد الزهراوين حكمة ظاهرة باهرة؛ ولذلك نزل الوحي بعد هما خاليا من تلك الفواتح<sup>10</sup> ويزيد ذلك توضيحا صبحي الصالح بقوله: "فأما المكية فلدعوة المشركين إلى إثبات النبوة والوحي، وأما الزهراوان المدينتان فلمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن. وكانت تلك الفواتح كفيلة بتنبيه هؤلاء وأولئك إلى ما كان يلقي عليهم حتى لا يفوتهم شيء"<sup>11</sup>.

وهناك ما يؤيد هذا المنحى الدلالي إذا حاولنا العثور على أوجه المناسبة بين السور ذات الفواتح المقطعة فإن ذلك يغنينا عن أيّ شطط أو تعسّف في التأويل، لأن استنطاق النص في حدود

<sup>1</sup> جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر، ط1، بيروت، لبنان، دار الأعلام، 1423هـ/2002م، مج1، الجزء الأول، ص116.

<sup>2</sup> مناهل العرفان 222/1.

<sup>3</sup> علوم القرآن، ط3، بيروت، لبنان، دار الإرشاد، 1388هـ/1968م، ص108.

<sup>4</sup> علم الجمال اللغوي، 55/1.

<sup>5</sup> التعريف بالقرآن واخذيث، ص124.

<sup>6</sup> القرآن تاريخه وعلومه، د.ط، دي، دار القلم، 1984، ص123.

<sup>7</sup> بحث حديد عن القرآن الكريم، ص112.

<sup>8</sup> تفسير المنار، 299/8.

<sup>9</sup> انظر: البرهان 194/1، وانظر: الإتيان 13/1، كما يجب التنويه إلى أن أغلب المفسرين في تفاسيرهم على هذا المذهب.

<sup>10</sup> مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص246.

<sup>11</sup> لراجع نفسه، ص245.

آلياته وضمن سياقاته يمدنا بأبعاد دلالية لا تبعد عن الحقيقة في بعض نواحيها. فإذا تأملنا-مثلا- في نماذج من السور المكية المفتحة بالحروف المقطعة، مثل: سورة ص، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف. فنلاحظ أن فواتح هذه السور الثمان تلتقي حول العناصر التالية:

1- الحروف المقطعة.

2- الحديث عن الكتاب الكريم.

3- الحديث عن التزويل أو الوحي.

4- وحدة المسند إليه في التزويل وهو الله تعالى.

وهذه العناصر تتضافر معا لتحقيق التماسك الشكلي والدلالي بين فواتح هذه السور، ومن ثم بين السور نفسها، وهذه العناصر تمثل المرجعيات التي ترجع إليها هذه الفواتح، ويكاد أن يتحقق هذا الوجه من التماسك الدلالي في السور ذات الفواتح المقطعة كلها مثل الأعراف، ويونس، وهود ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، ولقمان، والسجدة، يس، ق، كلها تبدأ بالحروف المقطعة، ثم الحديث عن الكتاب الكريم؛ القرآن الكريم؛ كالذي نلاحظه في فاتحتي سورتي يونس وهود:

- ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يونس: 1]

- ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]

ثم بيان وظيفة الرسول:

- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: 2]

- ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: 2]

ثم قوله تعالى مبينا لمن يكون المرجع:

- ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 4]

- ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [هود: 4]

وهذا يمثل نظرة كلية إلى مكونات القرآن المكي في ضوء التحليل النصي المعاصر.

وإلى جانب الذين يرون دلالة التنبيه الإيقاعي في حروف الفواتح، ذهب زكي مبارك إلى اعتبار تلك الحروف رموزا صوتية، وليست رمزا كتابيا، ولا يستبعد أن تكون فواتح السور إشارات

صوتية لتوجيه الترتيل<sup>1</sup>، والذي جعله يقف من هذا الرأي بين الشك واليقين، هو أن المفسرين - كما يرى - لم يعطوه عناية كبيرة، وأغفلوه، ولم يكن شائعا في الصدر الأول، إلا أن محمد صبيح قد ذهب إلى تقوية هذا الرأي<sup>2</sup>، ورأى بأنه لم يُهمل من قبل المفسرين والعلماء، كما زعم زكي مبارك، فقد أشار إلى ذلك الزمخشري من أن الفواتح أُريد بها تنبيه الأذهان وقرعها قبل ابتداء قراءة السور<sup>3</sup>. كما يجب التنبيه إلى وجه تفسيري آخر يعزّز ذلك، هو أن مجموع هذه الحروف بغير المكرّر منها أربعة عشر حرفا هي نصف الحروف الهجائية وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون، ومعنى ذلك أن اختيار هذه الحروف لبدء السور بها لم يكن عشوائيا قائما على المصادفة والارتجال، بل هو اختيار له دلالة من حيث أن هذه الحروف تمثل كل الظواهر الصوتية الموجودة في اللغة العربية، كما يرى الزمخشري ويوافقه في ذلك الباقلائي<sup>4</sup> الذي عدّ ذلك وجها من وجوه الإعجاز في القرآن، وبيان ذلك هو أن هذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، فمن المهموسة نصفها: الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف، واللام، والميم، والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء والنون، ومن الشديدة نصفها: الألف، والكاف، والطاء، والقاف، ومن الرخوة نصفها: اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون، ومن المطبقة نصفها: الصاد، والطاء، ومن المنفتحة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون، ومن المستعلية نصفها: القاف، والصاد، والطاء، ومن المنخفضة نصفها: اللام، والألف، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون، ومن حروف القلقله نصفها: القاف، والطاء.

ويعقب الباقلائي بيانه هذا بقوله: "فإن كان أصل اللغة توقيفا فالأمر في ذلك أبين، وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضا: لأنه لا يصحّ أن تجتمع همهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى، وكلّ ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حدّ يتعلّق به الإعجاز من وجه<sup>5</sup>."

<sup>1</sup> زكي مبارك، الشرع في القرن الرابع الهجري، 47/1.

<sup>2</sup> محمد صبيح، بحث جديد عن القرآن الكريم، ص 111-112.

<sup>3</sup> الكشاف 28/1.

<sup>4</sup> إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، د.ط، مصر، دار المعارف، 1963، ص 44.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 45.

وإن كان القصد من هذه الحروف - بحسب هذا الرأي-، هو التنبيه حتى يُقبل السامعون على الكلام المقصود، ويزداد التفاهم، وتجتمع همّتهم، وينشغل بألهم بالقول الحكيم، فهي مثل النداء وحروف الاستفتاح، دلالتها على قصد التنبيه متعيّنة، إذ ليس لها مفهوم فتمخضت للتنبيه- بوصفها أصوات- على غرض مهمّ، ومن أجل هذا "فقد أتبع الله الاستهلال لبعض السور بهذه الأحرف بذكر القرآن الذي هو آية الله الكبرى بين جميع آياته منذ خلق الأرض ومن عليها، وذلك لينبّه السامع المتدبر إلى أن هذا القرآن العظيم، والحكيم، والمنير، هو الصرح الخالد من الآيات المحكمات، المشرقة كلها من ثنايا هذه الحروف الحية المسبّحة كما أوحى بقدراتها وقابليتها في بناء اللغة العربية المبيّنة"<sup>1</sup>. وهو ما تمسّك به واستحسنه الكثير من الباحثين، ومنهم محمد الحسناوي، الذي أبدى تحمّساً وميلاً لهذا الرأي- بعد عرضه ونقده لمختلف الآراء في ذلك- بقوله: "وأنا أميل إلى جملة هذا الرأي لا إلى تفصيلاته، أميل إلى اعتبار دلالة هذه الفواتح ذات إيجاعات واسعة قريبة وبعيدة، غير متعسّفة أو متمحّلة، منها:

(1) التنبيه.

(2) و التمهيد الموسيقي المنسق مع ما بعدها أو قبلها.

(3) والإيجاء الموسيقي الذي يُحسن أكثر مما يُعبر عنه"<sup>2</sup>.

وصفوة القول في هذه المسألة مما تقدّم، أنّ جميع هذه الآراء تجتمع في نقطة مجتمعة، هي أنّها لم تقدم أيّ تفسير لمعنى حروف الفواتح، ولم تقدّم تفسيراً متمحّلاً يتعسّف المعاني ويقسرهما، وإنّما وقفت عند الرأي الذي يتفق وطبيعة المعجزة القرآنية دون شطط أو تأويل يبعد بها عن دائرة أبلغ كلام على وجه الأرض. كما أنّها تنطبق على الواقع النفسي لمن كان الخطاب موجّهاً إليهم حين نزول القرآن.

بيد أنّ مراد الله تعالى من كلامه يظل محل الاجتهاد، وأنّ هذه الفواتح ما تنفكّ من عوامل الاستغراب، "ولا يخلق الاستغراب إلّا الاهتمام ولا يثير الاهتمام إلّا التنبيه، ولن ينبّه الناس ويقرّع أسماعهم صوت أحلى وقعا من هذه الحروف المقطّعة الأزلية التي همستها السماء في أذن الأرض"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد موسى سالم، العقل العربي و منهج التفكير الإسلامي، د.ط، بيروت، دار الجليل، 1980، ص 65.

<sup>2</sup> الفاصلة في القرآن، ص 205.

<sup>3</sup> صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 246.



ومن كل ما سبق نرى بأن المستوى الصوتي في السور المكية هو وليد كل التنظيمات الإيقاعية المحدثّة في النص، بحيث استخدمت السور المكية البعد الصوتي استخداماً متميزاً حقق به النص القرآني تميزه وخالف به من ثم بين ذاته وبين غيره من النصوص، مما يدفعنا إلى القول بأن القرآن المكي تميّز بخصائص إيقاعية تتجاوز المعايير الإيقاعية المعروفة، وذلك باعتبارها نموذجاً متميزاً بخصوصيات صوتية مؤثرة تتجاوب مع الأذن وتحرك أعماق الشعور أو الوجدان الإنساني، إذ أن البعد الصوتي بما يوفّره من جمال موسيقي في اللفظ وفي الآية، يحقق جواً ثرياً بمختلف التشكيلات الإيقاعية، ويعاون على التأثير المعنوي و النفسي المراد. إلا أن الموسيقى القرآنية هي أوسع من أن يحاط بها في دقائق تموجاتها، وأسرار السحر فيها، فتبقى عصية على النفس في إدراك جميع مقوماتها الفنية والدلالية، وما القيمة الجمالية والدلالية للصوت إلا مكوّن من مكوّنات البنية اللغوية للخطاب القرآني في السور المكية، والذي يتحلّى أكثر إذا أسند بالبناء الصرفي، أو الصيغي.



جامعة الأمير

# الفصل الثاني

في المستوى الصّريفي

الإسلامية

موضوع الدرس الصرفي هو الكلمة المفردة من حيث بنيتها ووزنها واشتقاقها وتجردها وزيادتها، وهو " ما يلي الدراسة الصوتية ويترتب عليها طبيعياً".<sup>1</sup>

وإذا كان في اعتبار علماء اللغة، أن كل دراسة لغوية لا بد أن تتجه إلى المعنى، فهو " الهدف المركزي الذي تصوب إليه سهام الدراسة من كل جانب."<sup>2</sup> فإن كل دراسة لغوية لا تعتمد على إدراك الدلالات و الكشف عن وظائف الوحدات اللغوية المشكلة للخطاب الأدبي، تصبح لغوا لا طائل من ورائه.

ومن ثم، فإن أبوابا ومسائل يشملها الدرس الصرفي، قد طُرحت من الدراسة في هذا الفصل، لأنها تعنى بالنظر في الكلمة لذاتها، وما يعترىها من الزيادة والنقص، و إلى أوزانها وأبنيته، وما يطرأ من تغييرات في صور الكلمات، " وهي تغييرات لا تعطي معاني أو قيما صرفية تُخدم الجملة والعبارة."<sup>3</sup>

وإنما تقتصر الدراسة على " دراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنما لغرض معنوي أو للحصول على قيم صرفية تفيد في خدمة الجمل والعبارات. ومن أهم أبواب الصرف هنا: المشتقات، وتقسيم الفعل إلى أزمنة مختلفة، والتعريف والتنكير، والمتعدي واللازم، والمتصرف والجامد... إلخ. فالبحث في هذه المسألة وأمثالها بحث صرفي صميم، إذ يُخدم الجملة ويجعلها ذات معانٍ مختلفة. بحيث لو تغيرت وحداتها تغيرت معانيها."<sup>4</sup>

وهذا ما اعتمده بعض الدارسين المحدثين في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة، ورأوا فيه ما يقابل مفهوم المصطلح الأجنبي "Morphology" أي " مستوى دراسة الصيغ اللغوية وبخاصة تلك التغيرات التي تعترى صيغ الكلمات فتحدث معنى جديداً"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البيوي، ص 71.

<sup>2</sup> تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 116.

<sup>3</sup> كمال بشر، " مفهوم علم الصرف"، مجلة مجمع اللغة العربية ج25، القاهرة، نوفمبر 1969، ص 110 وما بعدها.

<sup>4</sup> نفس المكان.

<sup>5</sup> ماريوباي، أسس علم اللغة، ص 44.

كما يعنى البحث في بنية الكلمة وكيفية صياغتها فيوضح الصيغة والزمن والمعنى الذي تأخذه الكلمة تبعاً لذلك،<sup>1</sup> وهو فرع يمثل مستوى من المستويات اللغوية في دراسة الخطاب من ناحية بنيته الخارجية، لكن من جهة البنى الإفرادية لا التركيبية، إذ هي المكونات الأسلوبية التي تعبر "بمثابة البنيات الأساسية التي بها تبني الجمل، وتنشأ التراكيب".<sup>2</sup>

ولهذا، لما كان الصرف هو دراسة أحوال الكلمة التي تتأهب للدخول في التركيب، فإن الدلالة الصرفية - وهي الدلالة الوظيفية المستمدة عن طريق الصيغ - لا تتكشف ولا يظهر أثرها إلا وهي ضمن نسيج الخطاب أو التركيب اللغوي، إذ أن "المكون الصرفي وقيمه لا تعرف معرفة كاملة بمعزل عن نشاط (التركيب)"<sup>3</sup>، بمعنى أن التشكيل الصرفي يبحث في البنية الإفرادية مع توجه العناية إلى ربط ذلك كله بالدلالة المستمدة من السياق؛ لأن اللفظ وهو جزء من مكونات الخطاب، "لا نريده لذاته، وإنما نريده لغيره الذي هو التركيب، فالعلاقة بين الطرفين (اللفظة - التركيب) علاقة بنائية، تجعلنا نفهم الدور الحقيقي للفظ من جهة، ودور التركيب في توظيفها من جهة أخرى".<sup>4</sup>

فالتركيب والسياق هو الذي يعطي للظاهرة المستخدمة غنى ومادة جديدة، وأن نشاطه اللغوي وتفاعل كلماته هو الذي يخلق المعنى ويبرز قسامته،<sup>5</sup> إذ لا يمكن أن نقدر فاعلية البناء الصرفي أو إدراك جمالياته خارج التركيب.

وبناء عليه، فقد توجهت عناية هذا الفصل إلى التركيز على استكشاف الوحدات الصرفية ذات المترع الدلالي أو البروز الأسلوبي، ووصف السمات الأسلوبية "الصرفية" واستكناه دلالاتها العامة بالقياس إلى السياق العام الذي يعتبر الرابط والموحد لزمam الوقائع اللغوية المتولفة والمتقاربة التي تم جمعها عن طريق الاستقراء لجزئيات الظاهرة في سور القرآن المكي، أو بالنظر إلى نسبتها أو توترها وذلك بإظهار نسب تكرارها باعتبار أن الكم في حد ذاته عاملاً من عوامل البروز والظهور. وتكاثف الظاهرة بشكل غير عادي كفيل بإثارة الانتباه بكميتها نفسها؛ مما يبعث على الحماس لمعرفة أسرارها، ويتأتى ذلك عن طريق حصرها وتصنيفها، بغية تمكين دراسة الظواهر اللغوية دراسة موضوعية، وهذا المنهج يتفق ومقاصد القرآن الكريم، وفهم مفرداته وأساليبه، ومن شأنه -أيضاً-

<sup>1</sup> أحمد درويش، الأسلوب بين التراث والمعاصرة، د.ط، القاهرة، دار غريب للطباعة والتوزيع، د.ت، ص 87.

<sup>2</sup> عبد الحميد بوزونية، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، د.ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص 33.

<sup>3</sup> تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص 103.

<sup>4</sup> عبد الحميد بوزونية، المرجع السابق، ص 34-33.

<sup>5</sup> تامر سلوم، المرجع السابق، ص 9.

اقتناص كلّ الدلالات العامة، والاهتداء إلى سمات أسلوبية محددة قائمة على المنهج الاستقرائي، والاحتكام إلى السياق العام في مكّي القرآن دون مدنيّه.

وهو منهج " يختلف تماما عن الطريقة المعروفة، في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه، مقتطعا من سياقه العام في القرآن كلّ، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"<sup>1</sup> وهذا ما يمزق الدلالة، ويجزئ النظرية الشاملة للنص القرآني، ويفكك أجزاء الظاهرة دون محاولة لحصرها في إطار متكامل.

فالدراصة الموضوعية للقرآن الكريم في جانبها اللغوي بحاجة إلى إدراك لفاعلية البناء الصرفي وفهم جمالياته في القرآن عامة، وإن كان من المفسرين أو بعض من لهم اتصال بالدراسات القرآنية، قد أدركوا فاعلية النظام الصرفي، لكن بصورة جزئية مفككة، " ولم يتعمقوا الإحساس ببلاغة العنصر الصرفي، ولم يستطيعوا أن يوفروا له الموقف الحي المتفاعل الذي لا يكتفي بذاته ولا ينمو بمعزل عما حوله، ولم يقدّروا الحاجة إلى التركيب (أو السياق) الذي يعوض وحدة الجهة التي تؤدي المعنى الأدنى كما يعوّض عن تمزق الدلالات ويعتمد التعاطف على تقاربها وتبادلها في بعض عناصرها المكوّنة لها، ويراها تنمو وتتجه بالمعنى اتجاها واحداً"<sup>2</sup>.

ويمكن القول بوجه عام أن البناء الصرفي لن يكون فعّالا ما لم يكن مرتكزا على نشاط التركيب أو فاعلية السياق، وهو بذلك يسهم في توضيح المعنى بل يتعدى إلى كونه عنصراً فعّالا في خلق المعنى، وتوليد الدلالات، فتمّ جمال للكلمة لا يعلن عن نفسه إلاّ والكلمة في إطار متناسق، وهذا ما عناه عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم، وذلك حين " ينطلق في دراسة النصّ ووحداته الجُمليّة من نظرة كليّة، لأنّ الوحدات والكلمات المفردة، التي لا يراها وجدت إلاّ من أجل استخدامها في جمل وفق نظام نصوص متعارف على أدائه بين الناطقين باللغة تركيبيا وصرفيا وصوتيا"<sup>3</sup>.

وقد أشار بوضوح صاحب تفسير المنار إلى استحسانه للمنهج الاستقصائي أو الدراصة الموضوعية لوحدات النصّ القرآني، كي لا يغيب عن الدارس شيء من دلالات القرآن الكريم، أو الخلط بينها، وذلك بقوله: "و الأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرّر في مواضع

<sup>1</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البيان للقرآن الكريم، 7/1.

<sup>2</sup> تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص98.

<sup>3</sup> علي أبو زقية، " تقدم " كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة، 1991، ص07.

منه وينظر فيه.. وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى واتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملة<sup>1</sup>.

ومن هذا المنطلق، يصبح في إمكاننا أن نتذوق ما في البناء الصرفي من إمكانات كامنة وأن نتجنّب الخلط بين دلالاته المباشرة وغير المباشرة، وأن نحاول فهم فاعلية النظام الصرفي، والاهتداء إلى السمات التي تولّف المجال الجمالي والبنائي لهذا النظام في القرآن المكّي، إذ أن القصد من هذه الدراسة، ليس تتبع الأبعاد اللغوية الصرفية لكل المكونات الصرفية في السور المكّيّة، بقدر ما هو محاولة اكتشاف الظواهر اللغوية - في جانبها الصرفي - ذات البروز الأسلوبي القائم على نسب التكرار والتواتر والشيوع لبني إفراديّة معينة، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن المكّي كلّه لربطها بزمام موحد هو الضابط لسماقتها أو خصائصها الأسلوبية.

وقد شملت هذه الدّراسة الصّيغ الصرفيّة المكوّنة للقرآن المكّي والتي تتمثل في وحدات صرفية تظهر في شكل صيغ ومشتقات ذات أثر أسلوبي لبيان الوظيفة الجمالية و الفعالية التركيبية للصيغة ودور تشكيلاتها وتشكيلات العناصر الأخرى من النظام الصرفي في التركيب، واتباع ذلك كلّه، بمحاولة استكناه المقاصد الدلالية لهذه الصيغ أو المكونات اللغوية في التشكيل الصرفي بحسب مساقاتها التعبيرية؛ إذ أن السياق وهو وسيلة نحوية غير صرفية يدخل في تحديد المعنى الصرفي المراد عند الحاجة<sup>2</sup>.

وبذلك يكون التركيز في التحليل الآتي على دراسة البنى الطاغية في نصّ القرآن المكّي دون غيرها من البنى التي لا يمكن عدّها أو اعتبارها خاصة أو سمة أسلوبية، مع التركيز على محاولة توضيح الجدّة الدلالية التي ولّدها الاستخدام القرآني للغة استخداما يجمع بين القيمة الجمالية والفعالية الوظيفية في سياق التركيب الواحد.

## أولاً - بنية الأفعال (خصائص الزمن الأسلوبي)

إن دراسة الزمن في أسلوب ما، ضرورة تحتمها اللغة ذاتها، فمن الزمن يستمد الأسلوب حيويته وتشكّله، ومنه تتبلور خصائصه القائمة على كيفية توزيع الزمن بأبعاده الثلاثة، وعلى مدى تحديده أو التداخل الزمني بين أبعاده، إذ أن الفعل لا يحتفظ بدلالته الزمنية في كل الأنواع أو

<sup>1</sup> تفسير المنار: 22/1.

<sup>2</sup> ممام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، ص 180.

الأساليب الأدبية، ومن ثم يمكن القول بأن التفاوت الأسلوبي يتوضح من خلال طريقة الاستخدام للأفعال من ناحية الدلالة الزمنية ضمن سياقها اللغوي، لذا كان الاهتمام في هذه الدراسة هو التركيز على دراسة بنية الأفعال من حيث الزمن والصيغة البسيطة منها والمركبة مع استخلاص دلالاتها.

### 1- البناء للمجهول (المغايرة في الصيغ)

ظاهرة البناء للمجهول من أكثر الأبنية الصرفية بروزا في القرآن المكي، وتعد من صميم البحوث الصرفية، إذ أنها تتناول دراسة المغايرة في الصيغ بين المبني للمجهول والمبني للمعلوم. وقد استثمر القرآن الكريم هذه المغايرة لموجب دلالي أو سياقي يؤكد هذا الإختيار من بين أنواع الوحدات وأشكال الصيغ، و"المطابقة بين الأحكام والمعاني سر من دقائق أسرار النحو والصرف العربيين يخفي على المتعجلين الذين يحسبون اختلاف الأحكام جزافاً"<sup>1</sup>. والبناء للمجهول لا يقتصر في اللغة العربية على تفسير شكل التركيب أو إنقاص عدد وحداته اللغوية فحسب، ولكن ينتقل التأثير إلى الفعل نفسه بصيغة خاصة في أوزان الفعل بأنواعه، ويصاحب ذلك تغيير في القصد والغرض من وراء المعنى في التركيب.

وَمَا يَجْدُرُ التَّنْبِيهُ إِلَيْهِ - هُنَا - هُوَ أَنَّ الاسْتِقْصَاءَ لَمْ يُحْصَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَبْنِيَةِ لِلْمَجْهُولِ إِلَّا تِلْكَ الَّتِي تَتَّصِلُ بِالْغَيْبِ الْإِلَهِيِّ كَالْتَدْبِيرِ الرَّبَّانِيِّ فِي الْأَمْرِ وَالْخَلْقِ، وَعَمَلِ الْمَلَائِكَةِ وَإِحْجَاءِ الشَّيَاطِينِ، وَمَا يَجْدُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. أَمَا الَّتِي لَمْ تَرُدْ فِي هَذِهِ السِّيَاقَاتِ، فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَلَا تَشْمَلُهَا الدِّرَاسَةُ، إِذْ أَمَّا لَا تَشَكُّلَ سِمَةِ أُسْلُوبِيَّةٍ أَوْلَهَا مَا يَقَابِلُهَا فِي النَّصِّ الْمَدِينِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وإن القرآن المكي وقد عمد إلى حذف الفاعل في سياقات محددة ومتباينة فلأغراض أسلوبية مقصودة، ومقاصد متعددة بحسب ما يستدعيه كلّ مقام من الآية أو السورة، ويمكن حصرها في الأغراض الآتية:

### أ- تعلق الغرض بغير الفاعل

الناظر في القرآن الكريم من حيث بناء الفعل للمجهول يدرك أن هذا الإختيار الأسلوبي لمقاصد دلالية واضحة يبرزها السياق، ومن بين هذه الإختيارات الأسلوبية التي اقتضاها المقام وبُني الفعل فيها للمجهول، ما كان القصد منه توجيه الذهن إلى تركيز الانتباه وشحذ التفكير في تدبّر

<sup>1</sup> عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ط3، مصر، دار المعارف، دت، ص66.

الحدث نفسه بصرف النظر عن محدثه. و" قد شُغل أكثر المفسرين والبلاغيين بتأويل الفاعل عن الالتفات إلى اطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في أحداث القيامة"<sup>1</sup>، وهذه حقيقة يلتبسها كل من تصفح أغلب التفاسير، إذ كان دأهم الوقوف على الناحية الإعرابية في الآية أو الكلمة، وصرف الاهتمام إلى التقدير أو التأويل للمحذوف، وبذلك يضيع المعنى المراد، وتفوت الدلالة المتوخاة من وراء أسلوب بعينه، وينتج هذا عن النظرة التجزئية للنظم القرآني، فمن المفسرين من " تغلبت عليه نزعة المفسر، الذي يجبس نفسه في إطار الكلمة أو الآية أو الآيتين، يوضح المعنى، ثم يُحلل أسرار الجمال وروعة الأداء، ولم يتكلف أن يعدو النظرة الجزئية إلى أرجاء النظرة الشاملة"<sup>2</sup>.

ويلحق بالفعل المبني للمجهول، ماهو مسند إلى غير فاعله على وجه المطاوعة أو المجاز. فصيغة "فعل" وصيغة "انفعل" سواء في إسناد الحدث إلى غير فاعله، وإنما الفارق يظهر في الدلالة والمعنى المقصود من السياق في كل، فإذا " قلنا "فتح الباب" فقد يكون الخير موجهاً إلى سامع يهمله أن يعلم شيئاً عن الفاعل، ولكن المتكلم يخبره بأنه لا يعرفه أو يخبره بأنه لا يريد أن يذكره."<sup>3</sup> ولكن هناك حالة غير هذه وتلك، و"هي حالة إنسان ينتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذي فتحه كما لا يعنيه أن يقول له المتكلم إنه يجهمله أو يسكت عنه"<sup>4</sup>، ويقصد هنا صيغة الفعل المطاوع، فإذا قيل: "انفتح الباب"، فإنه "يؤدّي المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التي ينتظر السامعون خيراً عن فاعل الفتح، معلوماً كان أو مجهولاً أو مسكوتاً عنه مع علم السامع به تعمدًا لإخفائه أو لإهماله"<sup>5</sup>.

والعقاد بهذا يريد أن يبرز دقة اللغة العربية باستيفائها وجوه الدلالة ومراعاتها مقتضى الحال في كل عبارة، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضوعين ملتبسين، بل تستخدم كل عبارة لموضوعها الذي لا لبس فيه، وإذا صدق هذا على نظم ما، فإنه يصدق تمام الصدق على النظم القرآني بلا منازع. وقبل استيفاء دلالات هذا الاختيار الأسلوبي لا تُدحه من رصد جميع المواضع التي ورد فيها الفعل مسنداً إلى غير فاعله أو مبنياً للمجهول، بغية إظهار مدى شيوع الظاهرة ونسبة تكرارها الكمي في بنية النص الشكلية، ثم تحليل دلالاتها الأسلوبية مع ربطها بسياقاتها:

<sup>1</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البيان للقرآن الكريم 1/ 81.

<sup>2</sup> منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ط3، مصر، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1996، ص39.

<sup>3</sup> العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص63.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص64.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص64.



مسلسل	مواضع وُرُود الفعل المسند إلى غير فاعله (المطاوع) والمبني للمجهول	رقم الآية	السورة
1	وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقَضِيَ الْأَمْرُ لَكُمْ لَا يُنظَرُونَ	8	الأنعام
2	قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ	14	//
3	قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	14	//
4	مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ	16	//
5	وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	27	//
6	وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ	28	//
7	وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ	30	//
8	وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا	34	//
9	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ	37	//
10	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ	38	//
11	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ	44	//
12	حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً فإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ	44	//
13	فَقَطَّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	45	//
14	قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	56	//
15	وَذَكَرَ بِهِ أَنْ يُنْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا	70	//
16	أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ	70	//
17	وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	71	//
18	يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ	73	//

19	وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ	91	//
20	اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	106	الأنعام
21	الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ غَيْرَ الْحَقِّ	93	//
22	إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ	120	//
23	أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ	157	//
24	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا	160	//
	مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ		
25	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ	40	الأعراف
26	وَيُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رُثِمُوا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	43	//
27	وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ	47	//
28	إِنِ اتَّبِعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ	15	يونس
	عَظِيمٌ		
29	فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ	32	//
30	وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ	37	//
31	فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	47	//
32	ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ	52	//
33	هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ	52	//
34	وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	54	//
35	هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	56	//
36	فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْنَاكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ	72	//
	أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ		
37	وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ	109	//
38	كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ	1	هود

//	12	فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَانِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ	39
//	14	فَالِمَ يَسْتَحْيِبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ	40
هود	15	تُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ	41
//	18	أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ	42
//	20	يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُنْصَرُونَ	43
//	105	يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ	44
//	113	وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ	45
//	123	وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ	46
يوسف	109	حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا	47
//	110	وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ	48
//	111	مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ	49
الرعد	1	تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ	50
//	7	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ	51
//	19	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ	52
//	27	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ	53
//	31	وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِّ لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا	54
//	32	وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ	55
//	33	بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ	56
//	35	مِثْلُ الْحِجَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَحْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	57
//	36	وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ	58

ابراهيم	16	مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ	59
ابراهيم	23	وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	60
//	48	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ	61
الحجر	6	وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ	62
//	15	لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ	63
//	94	فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	64
النحل	27	قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمِ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ	65
//	30	وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا	66
//	50	يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	67
//	56	تَاللَّهِ لِنَسَأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ	68
//	84	وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا	69
//	85	وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ	70
//	93	وَلِنَسَأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	71
//	110	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَلُوا	72
//	111	وَتَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	73
الكهف	27	وَإِثْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ	74
//	36	وَلَكِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا	75
//	48	وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ	76
//	49	وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ	77
//	110	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ	78
مريم	39	وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	79
//	40	إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ	80
//	66	وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا	81

//	75	حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ	82
طه	11	فَلَمَّا أَنهَاهُنَّ يُودِي يَا مُوسَىٰ	83
//	13	وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ	84
//	48	إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ	85
//	126	كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ	86
الأنبياء	41	وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	87
الحج	19	فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ	88
//	19	يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ	89
//	20	يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ	90
//	22	كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا	91
//	23	يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا	92
//	24	وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ	93
الحج	39	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصَرُّهِمْ لَقَدِيرٌ	94
//	54	وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ	95
المؤمنون	16	ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ	96
//	79	وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ	97
//	101	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ	98
//	115	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	99
الفرقان	13	وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا	100
//	15	قُلْ أَذَلِكُمْ خَيْرٌ أَمْ حِجَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا	101
//	25	وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُنزَلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا	102
//	32	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً	103

الفرقان	40	104	وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مِنْ السَّمَاءِ عَلَيْهَا مَطَرًا سَوِيًّا فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ وَلَا يَسْتَنْبِهُونَ
//	76	105	أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا
النمل	17	106	وَخَشِرَ سَلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ
//	87	107	وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
//	90	108	هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
//	91	109	إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
القصص	54	110	أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا
//	60	111	وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
//	64	112	وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ
//	78	113	وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ
//	86	114	وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
//	88	115	كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
العنكبوت	45	116	إِثْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
//	57	117	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ
الروم	57	118	فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
السجدة	11	119	قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ
//	17	120	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
//	20	121	وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ
سبا	7	122	إِذَا مَرَّكُمْ كُلٌّ مِمَّزَقَ إِلَيْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ
//	23	123	وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

//	33	هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	124
سبأ	51	وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ	125
//	54	وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ	126
فاطر	8	أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا	127
//	11	وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ	128
يس	6	لَتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْذَرْنَا أَمَا بَأْسُهُمْ فَبُهِمَ غَافِلُونَ	129
//	51	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ	130
//	54	فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	131
//	63	هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ	132
الصفات	8	لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	133
//	39	وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	134
//	45	يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ	135
ص	53	هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ	136
الزمر	6	لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ	137
//	65	وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ	138
//	68	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ	139
//	69	وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	140
//	70	وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ	141
//	71	وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا	142
//	73	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْحَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا	143
//	75	وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	144



غافر	10	145	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ
//	17	146	الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ
//	37	147	وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
//	40	148	وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ
//	46	149	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا
//	66	150	قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
//	71	151	إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ
//	72	152	فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ
//	73	153	ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ
//	77	154	فَإِمَّا تَرَيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعَنَّكَ فَاَلَيْسَ يَرْجِعُونَ
//	78	155	فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَخُصِيَ بِالْحَقِّ
فصلت	16	156	وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ
//	19	157	وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ
//	21	158	وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
//	30	159	وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
//	44	160	أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
الشورى	15	161	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
//	15	162	وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ
//	36	163	فَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
//	45	164	وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ
الزحرف	19	165	سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ
//	44	166	وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ



//	31	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ	167
//	43	فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	168
الزحرف	71	يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ	169
//	83	فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ	170
الدخان	41	يَوْمَ لَا يُعْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ	171
الجنات	28	وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تُجزون ما كنتم تعملون	172
//	34	وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم	173
//	35	فاليوم لا يُخرجون منها ولا هم يُستعقبون	174
الأحقاف	3	والذين كفروا عما أُنذروا مُعرضون	175
//	6	وإذا حُشر الناسُ كانوا لهم أعداءً	176
//	9	قل ما كنتُ بدعاً من الرُّسلِ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذيرٌ مبينٌ	177
//	16	أولئك الذين نتقبلُ عنهم أحسنَ ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصِّدقِ الذي كانوا يُوعدون	178
//	19	وليوفيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون	179
//	20	ويومَ يُعرضُ الذين كفروا على النَّارِ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تُجزون عذاب الهون	180
//	35	كأنهم يوم يرون ما يُوعدون لم يلبثوا إلا ساعةً من نهار	181
ق	20	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ	182
//	29	مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ	183
//	31	وَأُزْلِفَتُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ	184
//	32	هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ	185
الذاريات	5	إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ	186

//	13	يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ	187
//	60	فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ	188
الطور	13	يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً	189
//	16	إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	190
//	35	أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ	191
النجم	4	إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى	192
القمر	1	اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَالشَّقَّ الْقَمَرُ	193
//	48	يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ	194
الرحمان	35	يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ	195
//	37	فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ	196
//	39	فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ	197
//	41	يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ	198
الواقعة	4	إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا	199
//	5	وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا	200
التغابن	7	قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ	201
الملك	7	إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ	202
//	8	كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ	203
//	27	فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ	204
القلم	15	إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	205
//	42	يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ	206
//	43	خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالمُونَ	207
الحاقة	5	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ	208

//	6	وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ	209
//	13	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ	210
//	14	وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً	211
الحاقة	16	وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ	212
الحاقة	19	فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرءوا كِتَابِيَةَ	213
//	25	وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ	214
للعارج	19	إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا	215
//	42	فَذَرَهُمْ يَخْوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ	216
//	44	ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ	217
الجن	10	وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا	218
//	24	حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا	218
القيامة	9	وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ	219
//	13	يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ	220
//	25	تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ	221
//	36	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى	222
//	37	أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى	223
المدثر	52	بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً	224
الإنسان	14	وَدَلَّلْتَ فُطُوفَهَا تَذَلِيلًا	225
//	15	وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا	226
//	17	وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا	227
//	21	وَحَلَلُوا آسَاورَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا	228
المرسلات	7	إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ	229
//	8	فَإِذَا التُّحُومُ طُمِسَتْ	230
//	9	وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ	231

//	10	وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ	232
//	11	وَإِذَا الرُّسُلُ أُلْقَتْ	233
//	12	لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ	234
النبأ	18	يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا	235
//	19	وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا	236
//	20	وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا	237
النازعات	6	يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ	238
//	36	وَيَبْرُزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى	239
التكوير	1	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ	240
//	2	وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ	241
//	3	إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ	242
//	4	وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ	243
//	5	وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ	244
//	6	وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ	245
//	7	وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ	246
//	8	وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ	247
//	10	وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ	248
//	11	وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ	249
//	12	وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ	250
//	13	وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ	251
الانفطار	1	إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ	252
//	2	وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ	253
//	3	وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ	254
//	4	وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ	255

المطففين	25	يُسْتَقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ	256
//	33	وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ	257
//	36	هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ	258
الانشقاق	1	إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ	259
//	2	وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	260
//	3	وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ	261
//	7	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	262
//	8	فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	263
//	10	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	264
//	18	وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ	265
الطارق	6	خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ	266
//	9	يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ	267
الغاشية	5	تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ	268
الفجر	21	كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا	269
//	23	وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى	270
الليل	17	وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى	271
//	19	وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى	272
الزلزلة	1	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	273
//	6	لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ	274
العاديات	9	أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ	275
//	10	وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ	276
التكاثر	8	نُمَّ لِنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ	277

هذا ما أمكن حصره من خلال خمس وستين سورة مكية، لرصد الأفعال المبنية للمجهول وأفعال المطاوعة أو التي كان الغرض منها متعلقاً بغير فاعلها، لأنّ فاعلها معلوم ولا حاجة لتلزم أو تدعو إلى إظهاره، وبذلك ينصرف الذهن - بهذا العدول الأسلوبي - إلى الانشغال بالحدث في ذاته، إذ أنّ بناء الفعل للمجهول إشباع الإهام في الموقف مما يزيد الهول ويضاعف الكرب<sup>1</sup>، ولا سيّما إذا تعلق الأمر بأحداث القيامة ويوم البعث والنشور. وقد انتبه لهذه الظاهرة بعضُ المفسرين قدامى ومحدثون، غير أن الظاهرة لم تحظ بالدراسة الرأسية المركزة، ولم تكن على هدى التفسير الموضوعي السذي يستقصي مواضع الظاهرة واطرادها في سور القرآن للوقوف على أسرارها الأسلوبية باستثناء القليل من الباحثين المحدثين، وعلى رأسهم، عائشة عبد الرحمن، في دراستها البيانية لبعض سور القرآن الكريم، فقد اهتدت إلى القول بعد تدبرها لهذه الظاهرة الأسلوبية: "أنّ البناء للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن الحدث، وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة تقرير لوقوع الأحداث في طواعية تلقائية، إذ الكون كلّ مهياً للقيامة على وجه التسخير والأحداث تقع تلقائياً لا تحتاج إلى أمر أو فاعل"<sup>2</sup>، ويتجلى ذلك في سورة "الزلزلة"، "فمع بناء "زُلزِلَتِ الْأَرْضُ" للمجهول، ومع قوّة الفاعلية المستفادة صراحة من إسناد الإخراج والتحدث والزلزلة إلى الأرض، لا وجه لتقدير وساطة الملائكة، لإيصال الإيحاء إلى الأرض التي زلزلت زلزالها، وأخرجت أبقاها وتحدث أخبارها، فالبيان يقوم على قوّة هذه الفاعلية في تصوير هول الموقف الذي يُدهش له الإنسان فيقول في عجب وقلق: ما لها؟ فاقضى أن يأتي الجواب ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ وتحدث به الأرض نفسها تلقائياً؛ فالإيحاء هنا مباشرة يلائم إسناد التحدث إلى الأرض، وسرُّ قوّة، في هذه التلقائية المباشرة على وجه التسخير"<sup>3</sup>.

وبذلك ردّت قول بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى أن الفاعل يحذف للعلم به، غير ملتفتين إلى أنّها ظاهرة أسلوبية مطّردة في أحداث اليوم الآخر<sup>4</sup>، وتُرجع علّة عدم انتباههم لهذه الظاهرة إلى انشغالهم بالصنعة الإعرابية والبلاغية، ولو التفتوا إلى ما في القرآن من أفعال لا تحصى بُنيت للمعلوم مسندة إلى الله تعالى، مع العلم بالفاعل يقيناً، لتبينوا أن "مما يونس إلى أن العلم بالفاعل ليس هو السر البياني في بناء "زلزلت" للمجهول، وإنما هي ظاهرة أسلوبية تطّرد في مثل هذا الموقف، تركيزاً للاهتمام في

<sup>1</sup> فتحى أحمد عامر، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ دراسة تاريخية فنية مقارنة، دط، الأسكندرية، منشأة المعارف، دت، ص62.

<sup>2</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، 81/1.

<sup>3</sup> عائشة عبد الرحمن، المرجع نفسه 92/1.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، 82/1.

الحدث ذاته، وإيجاء بأن الأرض تزلزل عن طواعية، واستجابة لتسخير تلقائي<sup>1</sup>. وكان من بين تلك المواضع القرآنية التي اختلف فيها المفسرون في تأويل الفعل المبني للمجهول، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِنُسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]، فتقول بنت الشاطيء في تفسير هذه الآية: "اختلف المفسرون في هذا السؤال عن التعميم: ممن يكون؟ ولمن يكون؟ وأين يكون؟.. والقرآن سكت عن ذكر السائل، تركيزاً للاهتمام في السؤال نفسه ففيم هذا الاختلاف فيمن يكون السائل، مع أن صنيع القرآن صريح في الصرف عنه عمداً؟.. وآية التكاثر فيما نرى تحدد وقت السؤال بيومئذ، أي يوم ترونها عين اليقين، وهذا التحديد الصريح يعطينا من الوقوف عندما اختلفوا فيه<sup>2</sup>. وبذلك يكون الإنذار بهذا السؤال عن النعيم، متسقا على أكمل وجه، مع الوعيد المسيطر على السورة كلها، وبه تتلاءم آياتها وتترابط في نسق معجز.

ومن ثم فإن عزل النص أو الآية عن جوها العام وتناولها مقتطعة من السياق في صريح دلالة، هو ما جعل بعض المفسرين ينحرفون بالنص القرآني عن وجهته وتحميل ألفاظه وعباراته ما يآباه القرآن نفسه حين الاحتكام إليه، وبالتالي لم يهتدوا إلى دلالاته، أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية.

وهذا التفسير أو التعليل للظاهرة المطردة في أحداث البعث والقيامة، لا يكاد يُخطئه مفسر أو باحث تعرض لهذه المسألة اللغوية، فالزمنخشي في كشافه يرى أن القرآن لما يعمد في آياته إلى صيغة الفعل المبني للمجهول في مقام أحداث يوم القيامة أو ما سيحدث لأهل النار وحال أهل الجنة، فلأن الفاعل معلوم والأمر لله من قبلُ ومن بعد، ويتجلى ذلك -مثلاً- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْكَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الإنشاق: 1-2] "أها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع والذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع، كقوله (أتينا طائعين)، و(حُقَّتْ) من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، يعني: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع"<sup>3</sup>. وعلى غرار هذا، فسّر قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78] "لما ذكر قارون من أهلك من قبله، من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد

<sup>1</sup> المرجع السابق، 82/1.

<sup>2</sup> المرجع السابق، 210/1، 211.

<sup>3</sup> الكشاف 725/4.

له: والله مطلع على ذنوب المجرمين، لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها، كقوله تعالى (والله خبير بما تعملون)، (والله بما تعملون عليم) وما أشبه ذلك<sup>1</sup>.

وفي مثل هذا المقام الذي يكون الغرض فيه إبراز عظمة وهول حصول الحدث وليس المحدث، يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير في إحدى وقفاته على هذه الظاهرة في كثير من المواضع: كما في قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ﴾ [النازعات:36] "وبني فعل "برزت" للمجهول لعدم الغرض ببيان مبرزها إذ الموعظة في الإعلام بوقوع إبرازها يومئذ<sup>2</sup> وكذا في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:6] يقول: "وأشير إلى أن وقوعه في هذه الحالة ناشئ من تزيين الشيطان له سوء عمله فالمزين للأعمال السيئة هو الشيطان، قال تعالى: (زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) فرأوا أعمالهم السيئة حسنة فعكفوا عليها ولم يقبلوا فيها نصيحة ناصح، ورسالة مرسل<sup>3</sup>، وهو فعل معلوم من الشيطان وقوعه بالطبيعة، وشيبه بهذا، ما جاء في سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتِ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان:40] ولأن السياق يتضمن سوق خير قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرّس وما بينهما من القرون مقصودا لاعتبار قریش بمصائرهم "نقل نظم الكلام هنا إلى إضاعتهم الاعتبار بذلك وبما هو أظهر منه لأنظارهم، وهو أثر العذاب الذي نزل بقرية قوم لوط<sup>4</sup> والمطر بالعذاب النازل من السماء معلوم وغني عن كل إظهار.

وقد يعمد القرآن إلى بناء الفعل للمجهول قصد تزييه الله تعالى عما لا يليق أن ينسب إليه، كما في قوله تعالى من سورة الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:10]، حيث بُني الفعل للمعلوم حينما ذكر الرشد، وبني للمجهول حينما ذكر الشر ولم يقل سبحانه: "أشراً أراد الله بمن في الأرض" لأن الله عز وجل لا يريد الشر لعباده ولا يرضى لهم الكفر<sup>5</sup>، وجرياً على واجب الأدب مع الله تعالى في تحاشي إسناد الشر إليه<sup>6</sup>، وهذا مما يعبر عن دقة القرآن الكريم في اختياره الأسلوب بين المبني للمجهول والمبني للمعلوم في التعبير عن مختلف الأحداث.

<sup>1</sup> الكشاف 431/3.

<sup>2</sup> ابن عاشور، الجزء الثلاثون، ص30.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الجزء الثاني والعشرون، ص263-264.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الجزء التاسع عشر، ص29.

<sup>5</sup> مصطفى الحيا، "خصائص جمالية في الأسلوب القرآني"، مجلة المشكاة، السنة الخامسة، ع20، وحدة، المغرب، 1415 هـ / 1995 م، ص13.

<sup>6</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء التاسع والعشرون، ص231.



ومن الأفعال التي تكرر حضورها في القرآن المكّي وأطرد ورودها مبنية للمجهول: فعل "تتلى" الذي غالباً ما يأتي بعد الظرف "إذا" الذي يدل على تكرار الفعل، فقد ذكر في السور المكيّة بما يقرب من أربع عشرة مرة متفرقة على مختلف السور، وإنّ الذي يتلو على المشركين الآيات من القرآن هو رسول الله حامل الرسالة والمبلغ عنه؛ ولذا، فهو معلوم ولا يتعلق الغرض به، لأن الغرض هو التركيز على الآيات في هذا المقام، سواء تلاها الرسول عليهم، أو تلاها أحد الصحابة رضوان الله عليهم<sup>1</sup>، فالأولى و"الأجدر أن يقال: "إذا تتلى عليهم آياتنا" وهي أفضل من قولنا "إذا تتلو عليهم آياتنا" للإبقاء على صفة كرامة الرسول مع أن الذي يتلو الآيات في البناء للفاعل أو في البناء للمفعول هو محمد نفسه<sup>2</sup>. وأمّا إضمار الفاعل وبناء الفعل للمفعول في كل مرة، فللفت الانتباه لغلو المشركين في عنادهم واستكبارهم وتعاميمهم عن الحق الساطع، "جهداً لنبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتكديبا بكلمات الله، وإمعانا في البغي والتجبر والضلال"<sup>3</sup>.

أما عن الأفعال الأخرى التي جاء ذكرها في صيغة المبني للمجهول، فمنها ما لم يأت ذكره إلا في السور المكيّة حصراً، ومنها ما جاء ذكره في السور المكيّة وفي السور المدنيّة، لكن لم يُذكر في هذه الأخيرة إلا قليلاً، وبيان ذلك في الجدول الآتي:

الفعل المبني للمجهول	العدد الإجمالي	عدده في السور المكيّة	عدده في السور المدنيّة
يُنْفِخُ + يُنْفِخُ (في الصُورِ)	11	11	0
أُبْعَثُ + يُبْعَثُ + يُبْعَثُونَ + يُبْعَثُونَ + يُبْعَثُونَ + يُبْعَثُونَ	13	13	0
أَوْحِيَ + يُوحَى	26	25	1
تُوَعِّدُونَ + يُوعِّدُونَ تُرْجَعُونَ + يُرْجَعُونَ	22	22	0
تُرْجَعُونَ + يُرْجَعُونَ	25	20	5
تُخْشِرُونَ + يُخْشِرُونَ + يُخْشِرُونَ خُشِرَ + يُخْشِرُ + خُشِرَت	17	11	6

<sup>1</sup> عبد القادر حسين، التفسير البلاغي الميسر. الجزء الخامس والعشرون من القرآن الكريم، د.ط، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص 118.

<sup>2</sup> بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص 271.

<sup>3</sup> عائشة عبدالرحمن، التفسير البيان للقرآن لكريم، 61/2.

ومما تُجدرُ الإشارةُ إليه في هذا المقام، أن تواتر هذه الأفعال في السور المكيّة بنسبة تفوق عدد تواترها في السور المدنية ما يبرز بوضوح، أن النفخ في الصور، والبعث والوحي والوعيد والحشر والرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة، هي من أمور الغيب أو هي أساسيات العقيدة الإسلامية التي تصدى لتقريرها القرآن المكي في القلوب والعقول خلال العهد المكي من الدعوة الإسلامية - كما جاء في مدخل هذا البحث- وبهذا يمكن القول، أن البناء للمجهول- في القرآن المكي- تطرّد به الظاهرة الأسلوبية في صرف النظر عمداً عن الفاعل لأحداث يوم القيامة، تقريراً لفاعليتها التلقائية وتركيزاً للانتباه أو الاهتمام في الحدث ذاته، ولا سيّما ما جاء مسنداً إلى غير فاعله على المطاوعة أو المجاز، فإن ذلك يزيد التصوير تمهولاً وترويعاً، وكأنّ تلك الأشياء- التي تحدث- ليست في حاجة إلى إسناد، ومن ثمّ " لا يغيب عنا ما لهذا الصنيع البياني من قوة وإيجاء، فنحن نشهد صورة فنية معبرة، فنقول في إعجاب:إنها تكاد تنطق ! والبيان القرآني المعجز لا يُنطق الجماد الأصمّ فحسب، بل يجرد منه كذلك كل شخصية حية، فاعلة ناطقة، مريدة مدركة." <sup>1</sup> وأما تلك الأفعال المبنية للمجهول والتي لم ترد ضمن سياق أحداث يوم الساعة، فلأن الفاعل فيها معلوم ولا حاجة لإظهاره أو الإفصاح عنه، وذلك بحسب السياق الذي يكتنفها، كما سبق بيانه.

### ب- تعلق الغرض بالفاعل المحذوف:

من بدائع القرآن التي لا يمكن إغفالها في أسلوب استخدامه لصيغة الفعل المبني للمجهول، توليده لأغراض ودلالات سياقية تتعلق بالفاعل المحذوف، وملاءمة هذه الأغراض لصيغة المبني للمجهول، وقد أكدها القرآن الكريم في مواضع كثيرة من السور المكيّة كان حذف الفاعل فيها أبلغ من ذكره، وإنما تنوعت دلالاتها وأغراضها تبعاً لاختلاف السياقات المصاحبة لأسلوب المغايرة في الصيغ كما يتوضح من خلال مواضعها ضمن سياقها في الجدول الآتي:

مواضع المبني للمجهول من القرآن المكي		
السورة	رقم الآية	
	37	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ
أ	20	وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ
هود	12	وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ
الرعد	7	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

<sup>1</sup> المدجج السابق، 88/1.

	27	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ	
الفرقان	7	لَوْلَا نُزِّلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا	
//	8	أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا	
//	8	أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا	
أ	الفرقان	21	وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا
//	32	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً	
العنكبوت	50	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ	
ص	8	أَمْ نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي	
الحجر	6	وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ	
الفرقان	8	أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا	
الزخرف	53	فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ	
القمر	25	أَوْ لُقِيَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ	
ب	الغاشية	17	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
//	18	وَأِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ	
//	19	وَأِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ	
//	20	وَأِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ	
الطور	35	أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ	
الطارق	05	فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ	
القيامة	37	أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى	
ج	المطففين	25	يُسْتَقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتومٍ
الإنسان	15	وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ	
//	17	وَيُسْتَقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا	
الزخرف	71	يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ	
الصفافات	45	يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ	

	الغاشية	5	تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ
د	الذاريات	11,10	قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ
	المدثر	19، 18	إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ
	//	20	ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ
	//	20	ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ
	عبس	17	قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ
	البروج	04	قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ

إن هذه الآيات كلها تجتمع في أسلوب واحد هو إسناد الفعل للمجهول وأن القصد متعلق به، غير أنها تفتقر في الدلالة، لذا كان تقسيمها إلى مجموعات حتى يتسنى إظهار التمايز الدلالي في كل ويكون تفسير هذه الآيات منطلقاً من هذا الأساس مراعيًا تفهيم دلالة كل أسلوب على حدة.

فمجموعة "أ" الجامع بينها أنها تعتمد على الفعل ذاته، والعدول الصرفي أو المغايرة بين الصيغ الصرفية للفعل كان لغرض دلالي قوامه الجحود المستقطب لمعنى إنكار وجود الله تعالى كما في قوله تعالى من سورة القمر ﴿أَوَلَقِيَ الذُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر:25]، فالمشركون قد أنكروا أن نزل عليه شيء من الذكر الموحى به من بينهم مدعين أن فيهم "من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة، حملة بطره وشطارته وطلبه التعظيم علينا على ادعاء ذلك،" <sup>1</sup> فمقام التزويل يستدعي، بل يستوجب ذكر المتزل وهو معلوم من السياق والغرض متعلق به، ولكن يضم على سبيل التجاهل والعناد.

وتجد قبيح إنكارهم يتجلى في كل آية تستهل بحرف التخصيص "لولا" وهو حرف مستعمل في التعجيز والاستحالة، ومعظم آيات المجموعة "أ" قد تضمنت هذا الحرف، ليظهر المشركون مدى حرصهم ورغبتهم في الإيمان، وإنما هم يستفزون بتكذيبهم للنبي، ليجارهم في عنادهم، وإن لم يفعل فقد أفضحهم وأعجزوه وتوهوا أن مدعي الرسالة عن الله غير صادق في دعواه؛ كما جاء على لسانهم في سورة الرعد - وقد جاء مكرراً في كم من موضع من القرآن المكي - ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد:07] فهم بهذا الإقتراح، "بمهورن بالتخصيص أنهم حريصون

<sup>1</sup> الكشاف 437/4.

وراعبون في نزول آية غير القرآن ليؤمنوا. وهم كاذبون في ذلك إذ لو أوتوا آية كما يقترحون لكفروا بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:59] <sup>1</sup>. وكل مقالات تكذيبهم للرسول - عليه الصلاة والسلام - تصبّ في مقصد واحد هو إبراز تجاهل المشركين لمصدر الترتيل وهو الله تعالى، وما تكرر حرف التحضيص على لسانهم إلا دلالة على مبالغتهم في التعنت والإنكار والإعراض مهما جاءهم بآية إلا طلبوا غيرها ولا يزالون معرضين.

أما آيات المجموعة "ب" فالجامع بينها أنها دعوة للتفكير والتدبر في خلق الله تعالى، وحثهم على النظر، "نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور وليرجعوا عمّا هم عليه من الإنكار والنفور وسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدّوا للقائه بالإيمان والطاعة" <sup>2</sup>.

فلو أن التعبير القرآني صرّح بالفاعل في هذه الآيات، لفات الغرض الذي يرمي إليه القرآن بذكر دلائل خلق الله وقدرته، والغرض هو أن يتوصّلوا بالتفكير في هذه الدلائل البارزة في الكون كلّ إلى معرفة الخالق القادر، وبمجرد النظر الواعي والتأمل الصاحي، يكفي لاستحاشة الوجدان استحياء القلب، وتحرك الرّوح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق <sup>3</sup>. فحذف الفاعل -هنا- مقصود، و" ذكره في هذا المقام كأنه مصادرة على المطلوب" <sup>4</sup>.

والجامع بين آيات المجموعة "ج" أن حذف الفاعل فيها كان ضرورياً لبيان أثر النعيم الذي يعيشه أهل الجنّة، حيث لا يمسه فيها تعب ولا نصب، إذ أنهم لا يكلفون عناء السقيا، فهم يُسَقَوْنَ ولا يَسْتَقُونَ، وتلك الأكواب على قدر ربّهم لا تريد عنه ولا تنقص، بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ربيّ صاحبها وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة <sup>5</sup> وليس وراء ذلك توفيراً أفضل لأسباب الراحة والمتعة والنعيم، وما يؤكد ذلك ويوضح بأبلغ بيان قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:48].

<sup>1</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتوير، الجزء الثالث عشر، ص95.

<sup>2</sup> الأرسني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، طبعة منقحة ومصححة حديثة، بيروت، دار الفكر، 1402هـ/1983م، الجزء الثالث والعشرون، ص141.

<sup>3</sup> في ظلال القرآن، المجلد السادس، الجزء الثلاثون، ص3899.

<sup>4</sup> محمد أحمد نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء عم، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص392.

<sup>5</sup> تفسير ابن كثير، 1976/4.

على أن فعل السقيا الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴾ مناقض تماما لدلالته في المواضع السابقة، إذ أن فعل السقيا هنا في موضع العذاب، وقد كان قبل في موضع النعيم، لأن الجزاء يختلف باختلاف العمل، والسقيا - هنا- من ماء شديد الحرارة، لا يقدم عليه المذنبون بأنفسهم، بل يتجرعونه مرغمين، ولا يكون ذلك إلا بفعل فاعل حذفه أبلغ من ذكره ليترك لهم تخيل هولاء الجبابرة العتاة الذين يرغمون العاصين على تجرّع هذا النوع من العذاب الأليم، وهذا الإرغام فيه من السذل والمهانة ما يليق بعمل المجرمين المستكبرين في الدنيا.

أما الغرض في المجموعة "د" من مجيء الفعل "قَتَلَ" مبنيًا للمجهول هو إظهار السخط والذم، والقرآن في ذلك على سنن العرب في التعجب والإنكار وأصل "قَتَلَ" الدعاء بالقتل والهلاك، ثم جرى مجرى لَعْنٍ و قُبْحٍ، وهو مع اختصاره يدل على سخط عظيم، وذم بليغ<sup>1</sup>. كما أن العرب يستعملونه في معنى التعجب من أمر منكر، وفي معنى إظهار الغضب كما يستعملون "وَيْلَهُ" و"تَرَبَّتْ يَمِينُهُ" و"نكلته أمه"<sup>2</sup>.

وصار في عرف لسان العرب أن الفعل "قَتَلَ" إذا ورد بهذا البناء في أساليبهم، إنما ليؤدي دلالة ليست من اشتقاق اللفظ ذاته، ولا معنى من معانيه، إذ أن الغرض أو الدلالة من وراء هذا اللفظ منوطة ببنائه للمجهول في السور المكية، إلا أن التصريح بالفاعل مع الإبقاء على نفس الدلالة أو الغرض وهو التعجب وإظهار السخط والإنكار قد ورد في السور المدنية دون مكّيها؛ إحداهما في سورة التوبة: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنسَى يُؤْفَكُونَ ﴾ [30] والأخرى في سورة "المنافقون": ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنسَى يُؤْفَكُونَ ﴾ [04] والدعاء بالقتل هي من أشنع دعواتهم، لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها<sup>3</sup>، وهو كناية عن قبح حال الإنسان المدعو عليه وأنه قد بلغ منه مبلغا لا يستحق معه أن يبقى حياً ومنشأ الشناعة ومناطقها نسيانه لما يتقلب فيه من النعيم وذهوله عن مسديها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد علي طه الذرة، تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، ط1، دمشق، دارالحكمة، 1412هـ/1991م، 78/16.

<sup>2</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء الثامن والعشرون، ص242.

<sup>3</sup> انكشاف، 702/4-703.

<sup>4</sup> محمد عبده، تفسير القرآن الكريم جزء عم، د.ط، دار الكعب، الجزائر، د.ت، ص21-22.

ويقول صاحب الكشاف ناعتنا هذا الأسلوب في التعجيب والإنكار غاية التقييح واللّعن، "ولا ترى أسلوباً أغلظ منه، ولا أحشن مستاً، ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطاً في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمل للأئمة على قصر متنه"<sup>1</sup>.

## 2- التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل

إنّ استخدام القرآن المكي لصيغة الفعل الماضي للدلالة على ما سيحدث في المستقبل، هو اختيار أسلوبى اعتمده التعبير القرآنى بدقة وفي المقام المناسب لذلك الحدث.

وإنّ نقلَ صيغة الماضي من مجالها الزمني إلى مجال زمني آخر هو المستقبل من حيث المعنى، يرجع إلى أن الفعل الماضي في إطار هذا الاستخدام يضيف إلى الحدث صفتي التأكد والتحقيق<sup>2</sup>، فكأن الحدث المستقبلي بسبب يقيننا به، قد وقع فعلاً، ولا سيّما في نص القرآن المكي الذي كثيراً ما يتضمن حقائق من صميم العقيدة يجب تأكيدها وتقريرها في العقول و القلوب.

والقرآن في ذلك، على سنن العرب، أن يأتوا بالفعل بلفظ الماضي وهو حاضر أو مستقبلي<sup>3</sup>. والجدول التالي يوضح تواتر الفعل الماضي الدال على المستقبل في السور المكية ضمن آياتها لاعتبار السياق وهو القرينة المصاحبة لنقل الفعل من زمنه المحدد.

مسلسل	الفعل الماضي الدال على المستقبل	رقم الآية	السورة
1	وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ	27	الأنعام
2	وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ	30	//
3	وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ	94	//
4	وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ	44	الأعراف
5	أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا	44	//
6	فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا	44	//
7	قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ	44	//

<sup>1</sup> الكشاف، 703/4.

<sup>2</sup> التحرير والتوير، الجزء العاشر، ص151، وانظر: تفسير المنار، 351/7.

<sup>3</sup> انظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 335/1، وابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له: مصطفى الشومري، د.ط، بيروت، لبنان، مؤسسة أ-بدران للطباعة والنشر، 1383هـ/1964م، ص219. وينظر: ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، حققه وضبطه: جماعة من العلماء، ط 2، بيروت، لبنان، دارالكتب العلمية، 1408 هـ/1988م، ص54.



//	47	وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ	8
//	47	قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	9
//	48	وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا	10
//	50	وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ	11
//	50	قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ	12
يونس	28	فَرِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ	13
//	30	وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ	14
//	30	وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ	15
//	54	وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوِ الْعَذَابَ	16
إبراهيم	21	وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا	17
//	21	فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا	18
//	22	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ	19
//	23	وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	20
//	48	وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	21
الحجر	47	وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ	22
النحل	1	أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ	23
الكهف	99	وَتَفِيخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا	24
//	100	وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا	25
طه	108	وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا	26
//	111	وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ	27
//	111	وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا	28
الأنبياء	97	وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا	29
الحج	19	فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ	30
الشعراء	90	وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ	31



//	91	وَكُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْعَاوِينَ	32
//	92	وَلَيْلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ	33
//	94	فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ	34
النمل	87	وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	35
//	90	وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ	36
سبأ	51	وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ	37
//	54	وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ	38
الزمر	68	كُنْفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	39
//	68	ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ	40
//	69	وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ	41
//	69	وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	42
//	70	وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ	43
//	71	وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا	44
//	71	قَالُوا يَا بَلِيَّ وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ	45
//	73	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا	46
//	74	وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ	47
//	74	وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ	48
//	75	وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ	49
//	75	وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	50
غافر	11	قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا	51
الزخرف	77	وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ	52
//	77	قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكْفِرُونَ	53
الجاثية	33	وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا	54

//	33	وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ	55
ق	19	وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ	56
//	20	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ	57
//	21	وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ	58
//	22	فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ	59
الطور	20	وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ	60
//	22	وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ	61
الطور	25	وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ	62
//	27	فَمَنْ لِلَّهِ عَلَيْنَا وَإِنَّا غَدَابُ السُّمُومِ	63
النجم	57	أَزْفَتِ الْأَرْفَةَ	64
القمر	1	اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ	65
القيامة	27	وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ	66
//	28	وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ	67
//	29	وَأَنفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ	68
الحاقة	14	وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً	69
//	15	فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ	70
//	16	وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ	71
//	19	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرَعُوا كِتَابِيَةَ	72
//	25	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ	73
الإنسان	11	فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ	74
//	11	وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا	75
//	12	وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا	76
//	21	وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا	77
الإنشقاق	7	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	78

78	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بَيِّنَاتٍ	7	الإنشقاق
79	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	10	//
80	أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرَ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ	2-1	التكاثر
81	إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفَةَ	1	الكوثر

يبين لنا الجدول السابق، أن كثيرا من الأحداث التي ستقع يوم القيامة قد عبّر عنها القرآن الكريم بالفعل الماضي الدال على المستقبل، ولم يعبر عنها بصيغة الفعل المحدد لها صرفيا، وهو الفعل المضارع، إذ أن الأسلوب أو التركيب هو الذي يبرز التحوّل الجوهرى للدلالات الزمنية لغايات يحددها السياق، أو بمعنى آخر أن "زمن الأفعال يأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أو هو وظيفة الصيغة المفردة خارج السياق. أمّا على المستوى النحوي فإنّ الزمن يُفهم معها من علاقات السياق وقرائنه لا من شكل الصيغة المفردة"<sup>1</sup>. فالفعل على صيغة "فَعَلَ" قد يدلّ في السياق على المستقبل<sup>2</sup>.

وقد اتفق نحاة البصرة والكوفة على قيام الماضي مقام المستقبل في بعض التراكيب اللغوية على خلاف الأصل بدليل يدلّ عليه<sup>3</sup>. وهذا يُعدّ من جماليات الفعل في النص القرآني، بكونه قادرا على الإضافة الدلالية والفنية في آن واحد، إذ أن دلالة الفعل على الزمن وتحديدته تتوقف على موقعه وقرينته في السياق<sup>4</sup>.

فالإخبار عن المستقبل بالماضي في التركيب اللغوي يؤدّي إلى تحقيق حالين:

- توضيح الحال.

- استحضار الصورة.

<sup>1</sup> تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص77، وانظر: ممام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص104.

<sup>2</sup> ممام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص104.

<sup>3</sup> الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، د.ط، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، 1408هـ/1987م، 257/1، وانظر: حامد عبد القادر "معاني الماضي و المضارع في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية ج10، القاهرة، 1958، ص71، وانظر: ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط7، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1994، ص156.

<sup>4</sup> ممام حسان، المرجع السابق، ص105.

بمعنى أن الماضي يحيل الحدث أكثر واقعية ويعطيه صفة ما حدث ولو في الحسّ ويلقى قدرا من الإقناع الوجداني بوقوع الحالة المصورة بالقياس إلى الحالة التي يُعبّر فيها بصيغة المضارع أو الاسم أو الصفة.<sup>1</sup> والقرآن الكريم حين يعتمد إلى التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل فلغرض يتوخى من السياق، هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد بعد، وهذا أقرب إلى توكيد الحدث وإزالة أيّ شبهة في حدوثها. وكأنّ ما سيحدث قد حدث واستقر. والتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي يفيد المبالغة من هذا الاعتبار.<sup>2</sup> كما أنّه أوكّد في تحقيق الفعل وإيجاده وتبيين هيئته واستحضار صورته.

وقد أشار إلى هذه الظاهرة بعض المفسرين، ومنهم "الزمخشري" في كثير من المواضع من كشافه، مثل قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: 87] "فإن قلت: لم قيل (فنزح) دون فينزع؟ قلت: لنكتة وهي الإشعار بتحقيق النزح وثبوته وأنه كائن لا محالة، واقع على أهل السماوات والأرض؛ لأنّ الفعل الماضي يدلّ على وجود الفعل وكونه مقطوعا به. والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون"<sup>3</sup>. ويعلّق ابن عاشور على قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1] أن السورة صُدّرت "بالوعيد المصوغ في صورة الخبر بأن قد حلّ ذلك المتوعد به. فجاء بالماضي المراد به المستقبل المحقق الوقوع بقرينة تفرّيع "فلا تستعجلون"، لأنّ النهي عن استعجال حلول ذلك اليوم يقتضي أنّه لما يحلّ بعد"<sup>4</sup>.

ومن البلاغيين، يرى صاحب الإيضاح أنّ هذا النقل أو التحوّل بين الأفعال في الزمن يؤدّي فائدة أسلوبية تؤثر في المعنى، إذ أنّه في التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبها على تحقق وقوعه، وأنّ ما هو للوقوع كالواقع. ولما كان خبر الله صدقا جاز قطعاً أن يعبّر بالماضي عن المستقبل<sup>5</sup>. ولعلماء البلاغة اجتهادات طريفة في هذا التنقل بين الصيغ الزمنية للأفعال التي يسمونها الالتفات، ومعظمهم يعلل سبب ورود الفعل الماضي الذي لم يأت بعد" بأنه من الوضوح والجلاء واليقين إلى درجة أن السامع يستطيع أن يتصور الصورة الغريبة في خياله كأنها واقعة ملموسة.<sup>6</sup> أما الزركشي فإنه يرى

<sup>1</sup> تامل سلوم، المرجع السابق، ص 77.

<sup>2</sup> رشيد رضا، تفسير المنار، 351/7.

<sup>3</sup> الكشاف، 386/3.

<sup>4</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثالث عشر، ص 96، وانظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه و نشره السيد أحمد صقر، د.ط، مصر، المكتبة العلمية، د.ت، ص 295.

<sup>5</sup> الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط 4، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1395هـ/1975م، ص 164.

<sup>6</sup> بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص 257.

مثل هذا العدول الصيغي، يأتي غالبا " فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهذدة المتوعد بها، فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريرا وتحقيقا لوقوعه"<sup>1</sup>، كما يعتبره ضمن المجاز اللفظي، ويوضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل:87] " فإنه لا يمكن أن يراد به الماضي، لمنافاة "يُنْفَخُ" الذي هو مستقبل في الواقع. وفائدة التعبير عنه بالماضي الإشارة إلى استحضر التحقق، وإنه من شأنه لتحقيقه أن يعبر عنه بالماضي وإن لم يرد معناه. والفرق بينهما أن الأول مجاز، والثاني لا مجاز فيه. "<sup>2</sup> وأن الإخبار بالفعل الماضي "فَزَعُ" للإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السماوات والأرض<sup>3</sup>، أي أن جعل المستقبل ماضيا بلفظ الماضي مبالغة<sup>4</sup> في تحقق وقوع الفعل، وهي دلالة لا تخفى من خلال السياق وحوى الكلام. ويؤكد ذلك ابن القيم الجوزية بقوله: " التجوز بالماضي عن المستقبل تشبيها له في التحقيق، والعرب تفعل ذلك لفائدة وهو أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأكد وأعظم موقعا وأفخم بيانا، لأن الفعل الماضي يعطي عن المعنى أنه قد وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدثها"<sup>5</sup>، كما أن التجوز في الأفعال ينطوي على دلالات أخرى نابعة من سياق الكلام، كالدلالة على الحالة النفسية للقاتل في موقف معين، وإنك تلمس ذلك في مواقف اليوم الآخر كالذي تجده في موقف الممارين في البعث لما يعاينوا القين بخسراهم وهلاكهم يوم القيامة وقد كانوا يستهزؤون من قبل: ﴿يَقُولُونَ أَهْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (10) **أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً** (11) **قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ** (12) ﴿[النازعات] " فهم في أخذة الرجعة يقولون أننا لمردودون في الحافرة؟ والمضارعة هنا هي التي تلائم حيرة المأخوذ وعجب المستغرب. كما أن الماضي في "قَالُوا" بعد أن أتاهم اليقين، هو الملائم لحالة اليأس من استرجاعهم ما فات أو استدراك ما مضى، والتيقن من الخسران المحقق والمصير المحتوم.. فلا سبيل إلى استرجاع ما فات"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> البرهان 372/3. وانظر: ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص54.

<sup>2</sup> البرهان 373/3.

<sup>3</sup> ابن القيم الجوزية، المرجع السابق، ص52.

<sup>4</sup> الزر كشي، المرجع السابق، 372/3.

<sup>5</sup> ابن القيم الجوزية، المرجع السابق، ص52.

<sup>6</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، 139/1.

كما ينصرف زمن الفعل الماضي إلى الاستقبال إذا دلّ السياق و المقام على الوعد، وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ [الكوثر:1] "فالإعطاء سيكون في المستقبل، لأن الكوثر في الجنة، ولم يجيء وقت دخولها."<sup>1</sup>

وبما أن الخطاب القرآني ولا سيما المكّي منه، ما فتىء ينذر المكذّبين بالبعث ويوم القيامة وما يحدث فيه، وذلك يعدّ من دعائم الإيمان ولوازم العقيدة، فإن شرف المعنى يقتضي -إذا- استخدام تلك المعاني الغيبية ويجعلها حقائق مستقرة، حاضرة الصورة، وكأنّ السامع يشاهدها، وجعل المتوقّع الذي لا بدّ من وقوعه بمنزلة الواقع.<sup>2</sup> لأنّ المستقبل بالنسبة إلى الله تعالى شيء منته في علمه المدوّن في أم الكتاب، وكأنّه حدث فعلا. "ولهذا يكفي أن نقول إنّه في أسلوب التوكيد يحسن أن نستعمل تلك الصيغة المسماة بالماضي في كلّ الأحداث المستقبلية."<sup>3</sup>

ومنه يتبيّن جلياً، أنّ الناظر إلى الصيغة والزمن المحدد لها صرفياً كما قرّر نحاة العرب الذين اختصوا كل صيغة من صيغ الفعل بزمن في تلك الأزمنة الثلاثة، يدرك ذلك التباين الواضح بين ما جاء في النصوص الصحيحة التي لا تحتاج إلى تأويل أو تحريج، وما قرره قدماء النحاة في شأن التقسيم الزمني للأفعال.

وبناء عليه، يمكن القول أنّ لكل فعل ظروفه في الاستعمال اللغوي، وهذا ما توكّده النصوص العربية، ومنها في المقام الأول القرآن الكريم، وتؤيّد أساليب اللغة. وقد لاقى ذلك اهتماماً بالغاً لدى بعض أعضاء مجمع اللغوي الحديث، مثل إبراهيم أنيس الذي توصل إلى خلاصة مفادها أنّه "لاشك أنّ ربط الصيغة بزمن معيّن يحملنا في اللغة العربية على كثير من التكلّف والتعسّف في فهم أساليبها، ومن الواجب أن نفصل بينهما وأن ندرس أساليب الصيغ مستقلة عن الزمن، دراسة لغوية لا منطقية، لنذكر مافيها من جمال وحسن."<sup>4</sup>

وأكد هذا -أيضاً- حامد عبد القادر، بأنّ تداخل الصيغ الفعلية في الزمن، يكون لأغراض بلاغية، إذا دلّ السياق على ذلك، كاستعمال "الماضي بدلا من المضارع إنّما يكون- كما يقول علماء البلاغة- لنكته بلاغية هي تزييل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أنّ

<sup>1</sup> عباس حسن، النحو الوافي، ط5، مصر، دار المعارف، دت، 1/ 54.

<sup>2</sup> الخطيب القزويني، المرجع السابق، ص164.

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص158.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص157.

حدوثها واقع لا محالة، مثلها في تحقق وقوعها في المستقبل مثل حوادث الماضي التي وقعت و أصبحت حقائق واقعية"<sup>1</sup>.

والجدير بالإشارة إليه هو أن ما شمله الاستقراء- في الجدول السابق- من الأفعال الماضية هي الأفعال المجردة التي تفهم دلالتها الزمنية من السياق اللغوي وقرائنه، وليس التي وردت متضامة مع الظرف "إذا" الذي يفيد القطع بوقوع الشرط في المستقبل، لأن العناية-هنا-متجهة إلى دراسة دلالة الصيغة الإفرادية المجردة.

### (3) - الماضي المستعمل للتعظيم (المجرد عن الزمان)

من الحالات التي يستعمل فيها الماضي مجرداً عن الزمان فلا يتضمّن أي تحديد زمني، حالة التعظيم<sup>2</sup> والتقدّيس. وليس في القرآن الكريم من الأفعال الماضية التي دلّت على التزييه والتعظيم والمجردة عن الزمان، سوى فعلين هما: "تعالى" و"تبارك"، وكلاهما إنشاء تزييه<sup>3</sup>. وكلاهما فعل جامد لا يتصرف؛ لا يأتي منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل<sup>4</sup>، ولا يسندان إلاّ لمسند واحد هو الله وحده<sup>5</sup> لا شريك له في قداسته وعلوّ شأنه. ومعنى "تعالى": ارتفع وتعظم وتقدّس وسما بذاته وصفاته وأفعاله<sup>6</sup>. ومعنى "تبارك": تقدّس، وتعالى قدره وشأنه وتزايد تزييه عن كلّ نقص، وازدادت بركاته ونعمه<sup>7</sup>، فلفظ "تبارك" إذاً، من مادة البركة وهي الخير الكثير الثابت<sup>8</sup>.

وتجدر الإشارة- في هذا السياق- إلى أن الفعلين "تبارك" و"تعالى" بصيغتهما هذه، لم يردا في القرآن إلاّ في السور المكية، وذلك لدلالة لا تخفى على دارس القرآن من الوجهة الموضوعية، من أن القضية الأساسية التي ما فتئ القرآن المكّي يعالجها ويصححها ويطهرها من شوائب الجاهلية، هي العقيدة؛ الألوهية، الربوبية والعبودية، "فنسبة الشريك لله تعالى والصاحبة والولد بلغت في قوة الظهور إلى حيث لا تحتاج إلى زيادة، لأنّ وجوب الوجود والبقاء ينافي آثار الاحتياج والعجز"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> "معان الماضي والمضارع في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية، ج10، ص71.

<sup>2</sup> نفس المكان.

<sup>3</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الحادي عشر، ص126.

<sup>4</sup> محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط2، بيروت، مؤسسة الإيمان، 1983، 3/367.

<sup>5</sup> محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ط2 منقحة ومزودة، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص96.

<sup>6</sup> نفس المكان.

<sup>7</sup> نفس المكان.

<sup>8</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الخامس عشر، ص113.

<sup>9</sup> نفس المكان.



فلا حرم - إذن - أن يكون الاعتناء بإثبات الوجدانية وابطال الشرك وتزبيته الذات الإلهية عن كل ما لا يليق بجلاله، هي من أولويات القضايا التي تصدى لها القرآن المكي في المقام الأول. ويمكن حصر أو إحصاء عدد مرّات تواتر الفعلين الماضيين "تعالى" و "تبارك" في السور المكية في الجدول الآتي:

العدد تواتره	السورة	رقمها	الآية	الفعل
9	الأعراف	54	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	تبارك
	المؤمنون	14	ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.	
	الفرقان	1	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.	
	الفرقان	10	تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ	
	الفرقان	61	تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا	
	غافر	64	ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	
	الزخرف	85	وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا	
	الرحمن	78	تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْحَلَالِ وَالْإِكْرَامِ	
	الملك	1	تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	
	الأنعام	100	وَحَرَّفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ	تعالى



14	الأعراف	190	جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ	تعالى
	يونس	18	قُلْ أَتُنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	النحل	1	أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	النحل	3	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	الإسراء	43	سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا	
	طه	114	فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ	
	المؤمنون	92	عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	المؤمنون	116	فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ	
	النمل	63	أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	القصص	68	مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	الروم	40	سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	الزمر	67	وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	
	الجن	3	وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا	

يُلاحظ من خلال هذا الجدول أن الفعلين "تبارك" و "تعالى" وإن كانت صيغتهما الصرفية تدل على الزمن الماضي، إلا أن إسناد كلا الفعلين إلى الله - عز وجل -، وتعلقهما بصفات الله الأزلية

التي لا تقبل التقسيم الزمني المحدود، جعل دلالة الفعلين تنصرف إلى الدلالة على الأزلية أو التجرد عن الزمن، وسياق الآيات يبرز لنا أن الجامع بينهما هو التمجيد والثناء العظيم والترية المطلق لله تعالى، وأن الفعلين الماضيين في الآيات السالفة ماضيّ اللفظ دون المعنى، ويمكن اختصار سياقات أو متعلقات الفعلين - كما أبرزها الجدول السابق - في الشكل الآتي:



فمن خلال الشكل السابق تتوضّح لنا جليا عظمة الله - عزّ وجلّ - في تفرّده ووحدانيتيه في الخلق والأمر، ليتبيّن للمشركين أن الله هو مدبّر أمورهم، وهو الحقيق وحده بعبادتهم<sup>1</sup> وليس لشركائهم من الخلق والأمر من شيء؛ فسبحانه أن يكون لهم تصرف في خلقه أو تأثير في صفاته وأفعاله.<sup>2</sup>

وبهذا، ومن خلال الاقتراب من دلالة صيغة "فعل" الزمنية في السياقات القرآنية، تبين أن صيغة "فعل" بميئتها المجردة قد عبّرت عن دلالات خارجة عن الزمن النحوي، وعن قيودها الصرفية، وأن

<sup>1</sup> تفسير المنار، 455/8.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 520/9.

القرآن الكريم لا يتقيد بالزمن النحوي؛ فقد كان للسياق أو القرائن المعنوية الدور الكبير في توجيهه وتحويل زمن الصيغة الماضية للزمن المستقبل البعيد أو إلى الدلالة المجردة عن الزمان.

#### 4- دلالات الفعل المضارع في السور المكية

الشائع بين الدارسين لقواعد اللغة العربية أن علماء النحو يقررون أن الفعل المضارع صالح لأن يُراد به حصول الحدث في الحال والاستقبال إذا لم توجد قرينة تقيد به بأحدهما، وتقصره عليه<sup>1</sup> أو تقلبه إلى الزمن الماضي. هذه هي خلاصة ما قاله النحاة في الزمن الذي يدلّ عليه المضارع، أو أن هذا ما في المجال الصرفي أو النحوي الذي يحصر الإطار الزمني للأفعال تبعاً لصيغتها أو باقترانها بقرائن لفظية بحيث لا تخرج دلالتها عن دلالة وظيفية صرفية مطردة<sup>2</sup> أحصاها النحاة سلفاً.

أما الدارس لاستعمالات هذا الفعل في اللغات الحديثة، ومنها اللغة العربية، فيجد "أن سياق الكلام أو القرائن اللفظية أو المعنوية، ترشدنا إلى أن المضارع يدلّ على أزمنة أكثر من الحال والاستقبال"<sup>3</sup>.

والقرآن الكريم قد استخدم الفعل المضارع ضمن سياقات أفرزت دلالات زمنية تكاد تكون قاصرة عليه وخصيصة أسلوبية من حيث التعبير الزمني الذي تميّز به القرآن الكريم، إذ أن المعنى الزمني للفعل - في القرآن - مرهون بوظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل<sup>4</sup>؛ لأنّ السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ما يعين على فهم الزمن في مجال أوسع من مجرد المجال الصرفي المحدود. وبعد مسح عام للأفعال المضارعة بصيغتها البسيطة والمركبة في السور المكية، يتبين أنّ هناك خصائص في استخدام صيغة "يفعل" المضارعة بالنظر إلى استعمالها في المدني من القرآن الكريم. وتلك الخصائص لا تخرج عن دالتين اثنتين هما:

- دلالة "يفعل" على زمن غير محدد (صلاحيتها لكل زمان).

- دلالة "يفعل" على المستقبل البعيد (أسلوب يوم).

<sup>1</sup> عباس حسن، النحو الواقي، 57/1.

<sup>2</sup> نمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص107.

<sup>3</sup> حامد عبد القادر، "معاني المضارع في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية، ج13، القاهرة، 1961، ص150.

<sup>4</sup> نمام حسان، المرجع السابق، ص104.

## أ- الدلالة على الزمن العام

المضارع الذي على وزن "يفعل" يدلّ على أزمنة أكثر من الحال والاستقبال، إذا ورد في سياق يدلّ على ذلك، أو أسند إلى مسند لا يليق بمقامه إلا أن يشمل المضارع جميع الأزمنة، كأن يتعلّق الأمر بالله - سبحانه وتعالى-، ففعله وتدبيره وعلمه وكلّ ما يقدره ويقضيه، أزي لا يدلّ على زمن معيّن كما في قوله تعالى:

- ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [ابراهيم: 27]

- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45]

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [لقمان: 29]

فالمضارع في هذه الآيات لا يدلّ على زمن معيّن، وإنما هو يسع جميع الأزمنة، إذ أنّ قدرة الله تعالى تتأتّى في كلّ زمن، وهي صفة من صفاته سبحانه وتعالى؛ بآته القادر على "تغيير أحوال ما هو أعظم حالا من الإنسان، وذلك بتغيير أحوال الأرض وأفقها بين ليل ونهار في كل يوم وليلة تغييرا يشبه طرؤ الموت على الحياة في دخول الليل في النهار، وطرؤ الحياة على الموت في دخول النهار على الليل" <sup>1</sup>.

وكذلك- أيضا- إذا أسند المضارع إلى الظواهر الطبيعية التي لا تتخلّف، فإنّه لا يدلّ على زمن معيّن، إذ جعل الله - سبحانه وتعالى- كلّ ظاهرة طبيعية أو كونية أمرا عاديا يتكرر حيننا بعد آخر. <sup>2</sup>

وتكون دلالة المضارع على الزمن العام إذا دلّ المضارع على خلق أو صفة ثابتة أو راسخة لا تنفك عن موصوفها <sup>3</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 09]. في هذه الآية إخبار للمسلمين "بأنّ في القرآن ما يعصمهم عن الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل إذ هو يهدي للطريق التي هي أقوم ممّا سلكه بنو إسرائيل، ولذلك ذكر مع الهداية بشارة المؤمنين الذين يعملون الصالحات" <sup>4</sup>. فالهداية صفة ثابتة بالقرآن الكريم، ولم تُحدّد بزمن خاص، إذ هي الحكمة المنوطة به منذ إنزاله.

<sup>1</sup> تفسير التحرير والتوير، الجزء الواحد والعشرون، ص40.

<sup>2</sup> حامد عبد القادر، "معاني المضارع في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية، ص 157.

<sup>3</sup> نفس المكان.

<sup>4</sup> تفسير التحرير والتوير، الجزء الخامس عشر، ص40.

تلك هي دلالات ثلاث لصيغة "يفعل" تختص بها السور المكية في الغالب الأعم. ويمكن الوقوف على كيفية توزيع هذه الدلالات ورصد مواضعها في سور القرآن المكية وإحصائها، وذلك من خلال الجدول التالي:

مستلسل	مواضع الفعل المضارع	رقمها	السورة	الدلالة الزمنية
1	-يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ	3	الأنعام	الزمن العام
2	-قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	63	الأنعام	
3	-لَا تُذْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذْرِكُ الْأَبْصَارَ	103	الأنعام	
4	-وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ	57	الأعراف	
5	-إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا	201	الأعراف	
6	-إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ	206	الأعراف	
7	-وَيَسْبِخُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ	206	الأعراف	
8	-وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ	58	الأعراف	
9	-يُحْيِي وَيُمِيتُ	158	الأعراف	
10	-وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ	60	الأنعام	
11	-وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ	60	الأنعام	
12	-ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ	60	الأنعام	
13	-وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً	61	الأنعام	
14	-يُدَبِّرُ الْأَمْرَ	3	يونس	
15	-هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	22	يونس	
16	-وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ	61	يونس	
17	-يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ	5	هود	
18	-يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا	6	هود	
19	-اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ	8	الرعد	

الزمن العام

		وَمَا تَزِدَادُ	
الرعد	12	-هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ	20
الرعد	13	-وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ	21
الرعد	15	-وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	23
الرعد	42	-يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ	24
ابراهيم	38	-وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ	25
النحل	23	-لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ	26
النحل	49	-وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	27
الحجر	23	-وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ	28
طه	7	-فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى	29
طه	110	-وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا	30
الأنبياء	4	-قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ	31
الحج	38	-إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا	32
الحج	61	-ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ	33
المؤمنون	80	-وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ	34
النمل	63	-أَمْنٌ يَهْدِيكُمُ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	35
النمل	63	-وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ	35
القصص	68	-وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ	36
القصص	70	-وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ	36
العنكبوت	45	-نِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ	37
العنكبوت	45	-وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ	38
العنكبوت	62	-اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ	39

الزمن العام

الروم	05	-بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ	40
الروم	19	-يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ	41
الروم	19	-وَيُخِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا	42
الروم	24	-وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا	43
الروم	24	-وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	44
الروم	24	-فَيُخِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا	45
الروم	48	-اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ	46
الروم	48	-وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ حَلَالِهِ	47
لقمان	29	-أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ	48
لقمان	34	-يُنزِلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ	49
//	34	-وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا	50
//	34	- وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	51
السجدة	5	-يُدبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ	52
السجدة	5	-ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ	53
السجدة	27	-أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الحُرُرِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ	54
سبأ	2	-يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرِجُ فِيهَا	55
سبأ	24	-قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	56
سبأ	36	-قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ	57

الزمن العام

سبأ	39	58	-قُلْ إِنْ رَبِّي يَسُدُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
فاطر	3	58	-هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
فاطر	10	59	-إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
فاطر	10	60	-وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ
فاطر	13	61	-يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
فاطر	13	62	-كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى
فاطر	19	63	-وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
فاطر	22	64	-وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
فاطر	28	65	-كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
فاطر	41	66	-إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا
يس	37	67	-وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
يس	38	68	-وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ
الزمر	5	69	-يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ
غافر	58	70	-وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
غافر	61	71	-اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ
غافر	61	72	-وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
الشورى	5	73	-وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
الشورى	5	74	-وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ
الشورى	25	75	-وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
الدخان	8	76	-لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
ق	16	77	-وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَعَلَّمْنا مَآ تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ
الذاريات	55	78	-وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ



الزمن العام	الأعلى	7	-إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى	79
	الإخلاص	3	-لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ	80
	الإخلاص	4	-وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ	81
	الناس	5	-الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ	82

كل الأفعال المذكورة في الجدول السابق، لا تخرج عن دائرة الدلالات الثلاث المبيّنة سلفاً لصيغة المضارع، لأنّ زمنها يتوقف -أولاً وأخيراً- على السياق الذي ترد فيه وإن كانت مجردة من الأدوات، فإنها تبقى خاضعة للمعنى الذي تقع فيه، أو ما قد توحي به، مثل الدلالة على الزمن العام في مواقف معينة - كما بيّن نماذجها بوضوح الجدول السابق -و الذي يمكن نعته بأسلوب الزمن المطلق.

أمّا عن تواتر تلك الدلالات في القرآن المكي بكثافة واضحة، فلأن سياقاتها تخاطب العقيدة الإنسانية من حيث إسناد التدبير الكوني الأزلي إلى الله رب العالمين. وكذا إثباتها لمواصفات المؤمن كما أراد له الله أن يكون، لذا تعددت خصال المؤمنين أو عباد الرحمن في كثير من السور المكية، وذلك لحرص القرآن الكريم على بلورة النموذج الإنساني الذي يحظى برضوان الله أو الفوز العظيم.

#### ب- الدلالة على المستقبل البعيد (أسلوب يوم)

من أساليب القرآن الكريم التي يدل فيها المضارع على المستقبل ما قد يصحّ أن يسمّى بـ(أسلوب يوم)<sup>1</sup>، إذ أنّ الصيغة هيئتها الإفرادية لا فضل لها في تحديد الزمن، وإتّما يوكل الأمر في هذا التحديد الزمني إلى القرينة اللفظية وهي "يوم"، التي أسلمت الفعل للدلالة على المستقبل البعيد بهذا التركيب:

[يوم + صيغة الفعل المضارع "يفعل"]

ولفظة "يوم" التي تسبق الفعل وردت في كل السياقات منكرة لتؤدي الدلالة الزمنية بدقة واضحة. وقد تواتر هذا النسق في السور المكية بصورة شكّلت ظاهرة أسلوبية فريدة لا تفوت ملاحظتها على القارئ العادي للقرآن الكريم.

ودلالة "اليوم" في العقيدة الإسلامية لا تخفى. فاليوم الآخر أحد أركان الإيمان، وهو من الغيبات التي لا يكتمل الإيمان إلّا بها. و"هدف ما نزل في العهد المكي من الآيات والسور توطيد

<sup>1</sup> انظر: حامد عبد القادر، "معاني المضارع في القرآن الكريم"، مجلة مجمع اللغة العربية، ص 155.

أسس العقيدة الجديدة و إحلها محل العقيدة الوثنية، وإثارة العربي الذي كان لا يبالي كثيرا بأمر العقيدة ولا يفكر بما وراء هذه الحياة<sup>1</sup>.

والجدول الآتي يبين كمية التواتر لصيغة المضارع المقرون بلفظ "يوم":

القرينة اللفظية	مواضع الفعل المضارع	رقم الآية	السورة	الدلالة الزمنية
يوم	- يُنْفَخُ فِي الصُّورِ	73	الأنعام	المستقبل البعيد (يوم القيامة)
	- يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا	128	الأنعام	
	- يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا - إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ	158	الأنعام	
	- يُبْعَثُونَ	14	الأعراف	
	- يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ	53	الأعراف	
	- يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ	28	يونس	
	- يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ	45	يونس	
	- يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ	8	هود	
	- يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ	105	هود	
	- يَقُومُ الْحِسَابُ	41	ابراهيم	
	- يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ	44	ابراهيم	
	- نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ	71	الإسراء	
	- نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً	47	الكهف	
	- يَقُولُ تَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ	52	الكهف	
	- يَبْعَثُ حَيًّا	15	مريم	

<sup>1</sup> محمد المبارك، دراسة أدبية لنصوص من القرآن، ط4، دمشق، دار الفكر، 1392هـ/1973م، ص33.

	مرم	33	- أَنْبَتْ حَيًّا	
	مرم	38	- يَا لَوْلَانَا	
	مرم	85	- نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا	
	طه	102	- يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ	
	الأنبياء	104	- نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكَتُبِ	
	المؤمنون	100	- يُبْعَثُونَ	
	الفرقان	17	- يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	
	الفرقان	22	- يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ	
المستقبل البعيد (يوم القيامة)	الفرقان	25	- تَشْفِقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ تَرِيلاً	يوم
	الفرقان	27	- يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ	
	الشعراء	87	- يُبْعَثُونَ	
	الشعراء	88	- لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ	
	النمل	83	- نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنَا	
	النمل	87	- يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	
	القصص	62	- يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ	
	القصص	65	- يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ	
	القصص	74	- يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ	
	العنكبوت	55	- يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ	
	الروم	12	- تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ	

المستقبل البعيد (يوم القيامة)	السروم	14	-تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ	يوم
	السروم	55	-تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُحْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ	
	الصفات	144	-يُبْعَثُونَ	
	ص	79	-يُبْعَثُونَ	
	غافر	33	-تُولُونَ مُدَبِّرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ	
	غافر	46	-تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ	
	غافر	51	-يَقُومُ الأَشْهَادُ	
	غافر	52	- لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتُهُمْ	
	فصلت	19	- يُخْشِرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَيَّ النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ	
	فصلت	47	-يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ	
	الدخان	16	-نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ	
	الدخان	41	- لا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلا هُمْ يُنصرون	
	الجاثية	27	- تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون	
	الأحقاف	20	-يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أذْهِبْهُمْ طيباتكم	
	الأحقاف	34	-يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أليس هذا بالحق	
	الأحقاف	35	-يروون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار	

	ق	30	-نُقُولُ لِحِجَّتِهِمْ هَلْ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ	
	//	41	-يُنَادِ الْمُتَّادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ	
	//	42	-يَسْمَعُونَ الصَّبِيحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ	
	//	44	-تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ سِرَاعًا	
	الطور	9	-تَمُورُ السَّمَاءِ مَوْرًا	
	الطور	13	-يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً	
	الطور	46	-لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا	
	القمر	6	-يَذْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ تُكْرَهُ	
	القمر	48	-يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ	
	التغابن	9	-يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ	
المستقبل البعيد (يوم القيامة)	القلم	42	-يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ	يوم
	المعارج	8	-تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ	
	المعارج	43	-يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا	
	المزمل	14	-تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا	
	المرسلات	35	-لَا يَنْطِقُونَ	
	النبأ	18	-يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا	
	النبأ	38	-يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا	
	النبأ	40	-يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ	
	النازعات	6	-تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ، تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ	
	النازعات	35	-يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى	

المستقبل البعيد (يوم القيامة)	النازعات	46	-يَوْمَئِذٍ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا
	عبس	34	-يَغْرِ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ
	الإنفطار	19	-لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
	المطففين	6	-يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
	الطارق	9	-تُبْلَى السَّرَائِرُ
	القارعة	4	-يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ
	//	5	-وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ

فالمضارع في كل هذه الآيات- المذكورة في الجدول السابق- يدل على المستقبل البعيد، لا بذاته، ولكن باقتران كلمة "يوم" به، وهذه قرينة لفظية حددت زمن الصيغة تحديدا لا يشوبه لبس. ويمكن بذلك القول بأن اقتران كلمة "يوم" بالفعل المضارع، أسلوب أختص به القرآن الكريم، وما ذلك الشيعوع الذي حظي به هذا الأسلوب في السور المكية إلا دلالة واضحة على تفرّد القرآن العظيم في أساليبه، ومنها هذا الأسلوب من حيث التعبير الزمني.

وبعد دراسة هذه الصيغة -"يفعل"- في القرآن المكي من حيث السمات والخصائص، نجد أنّ زمنها يتوقف أولا وأخيرا على السياق الذي ترد فيه، أو القرائن اللفظية والمعنوية التي تصرف التعبير الزمني للصيغة عن وظيفتها الصرفية المطردة إلى مجال أوسع من الدلالات الزمنية من خلال علاقات السياق ومختلف القرائن.

ومن ذلك يسوغ لنا القول أنّ دراسة الزمن في القرآن هو عالم بدون حدود، وأفق بدون نهاية، مما يتيح للدارس اللغوي أن يتوغّل في أعماق النص القرآني من رؤية زمنية قائمة على مراعاة السياق اللغوي للنص المتمثل في البنية اللغوية للوحدات التي يتموضع فيها التعبير الزمني. بمختلف أدواته؛ ولا ينظر إلى الفعل بمعزل عن التركيب -كما ذهب النحويون القدامى- الذين لم يدركوا أنّ الزمن الكوني شيء والزمن النحوي شيء آخر<sup>1</sup>، إذ أنّ دور الفعل ليس محصورا فقط في التعبير عن وقوع حدث مرتبط بزمن، وإنما يتجاوزه إلى آفاق واسعة من الزمن الكوني.

<sup>1</sup> مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ط2، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي، 1406هـ/1986م، ص152.

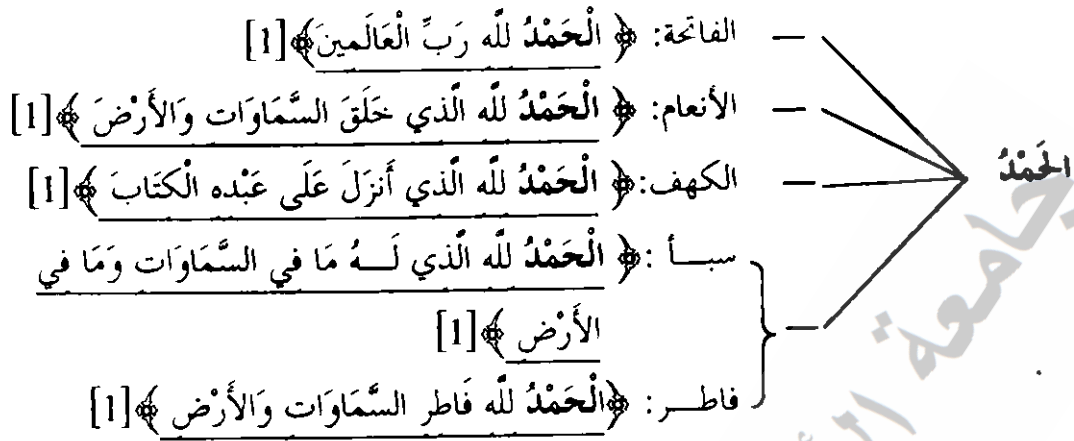
## ثانياً- فواتح السور المكية ودلالاتها الصرفية

فواتح سور القرآن الكريم ليست نوعاً واحداً، بل لها أنواع كثيرة، وقد سبق القول عن نوع واحد منها، والذي يتمثل في السور المفتوحة بأحرف التهجي. وفواتح السور من الأهمية الدلالية ما يحمل الباحث على الوقوف للتأمل عندها. فقد تُمثّل فاتحة السورة أحياناً سمة من سماتها، وأحياناً تمثل مفتاحاً للسورة وأحياناً تمثل عنواناً آخر لها. أما صلة هذه الفواتح بالصيغ الصرفية فهي صلة واضحة وتأخذ مساحة غير قليلة من جملة السور المكية، فقد جمعت بين المصدر والفعل الماضي بدلالاته المتعددة، والمضارع، والأمر، ويمكن بيان هذه الأنواع في الجدول الآتي:

م	النوع	عدد السور	أسماء هذه السور
1	الثناء على الله بـ "المصدر"	4	الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر [الحمد]
	المصدر المضاف إلى كتاب الله	1	الزمر [تزييل الكتاب]
2	الفعل الماضي	10	النحل، الأنبياء، المؤمنون، القمر، الفرقان، الملك، المعارج، عبس، التكاثر، المسد.
3	الفعل المضارع	3	التغابن، القيامة، البلد.
4	فعل الأمر	7	الجن، العلق، الأعلى، الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس.

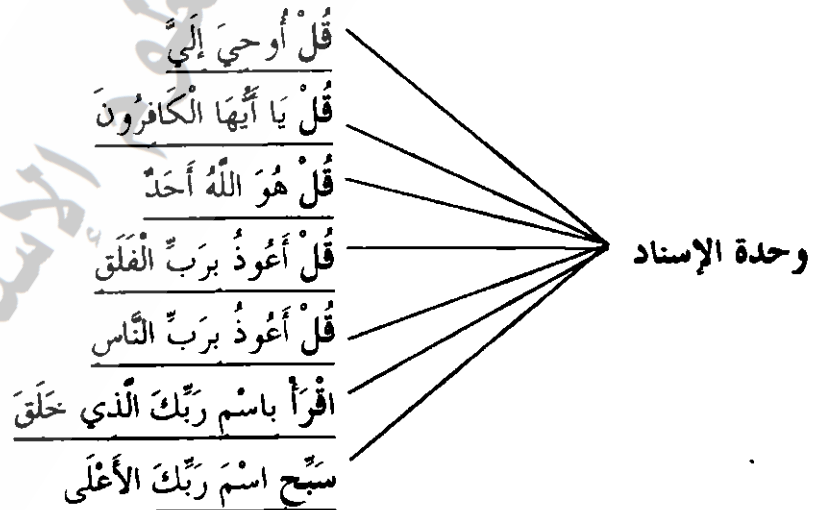
لاشك أنّ هذه المناسبات بين فواتح السور قائمة على الاعتبار الدلالي في كثير منها، وعلى الشكل في بعض منها، وهذا التشابه يندرج تحت نمط المرجعية بالتكرار في اللفظ والمعنى، وبالمعنى دون اللفظ، ومن ثم يبرز وجه التماسك واضحاً بين هذه السور.

وكنموذج لذلك؛ فالسور الخمس الأولى التي تبدأ بالحمد تجمع بين فواتحها وحدة دلالية تتمثل في المصدر لفعل "حَمِدَ" وهو "الحمد"، ومن ثمّ فالتماسك بينها دلالي، بمعنى أنّ كلّ ربع من القرآن الكريم افتتح بسورة أولها الحمد؛ إذ أنّ سورة "الفاتحة" تُمثّل فاتحة الربع الأول، و"الأنعام" فاتحة الربع الثاني، و"الكهف" فاتحة الربع الثالث، و"سبأ وفاطر" فاتحة الربع الرابع.



وهذا يوحي بأن التماسك قائم بين هذه الأقسام الأربعة التي تمثل القرآن كله، إذ أن هذه الفواتح تشير إلى أن هناك علاقة بينها، ومن ثم فهناك تماسك نصي بين هذه الأقسام، وهذا التماسك دلالي وشكلي.

أما الوحدة الرابعة في الجدول السابق، فيلاحظ وحدة السور التي تبدأ بالأمر، أي أنها كلها تشتمل على فعل الأمر "قُلْ" في فواتحها، باستثناء سورتي "اقرأ" و "الأعلى" فالأولى فاتحتها "اقرأ" والثانية "سبح"، لكن يجمعها كلها أن الأمر هو الله تعالى، والذي يصدر إليه الأمر أو "المأمور" هو رسول الله ﷺ إذن هناك وحدة في المرجعية حيث وحدة الإسناد؛ المسند والمسند إليه كما يبين ذلك الشكل الآتي:





وهذا يتحقق التكامل النصي-أيضا- بين الوحدة الأولى والوحدة الرابعة، ويوضح ذلك السيوطي بقوله: "نَبّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة... وكذلك أول سورة "اقرأ" فإنها على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال كونها أول ما أنزل، فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله"<sup>1</sup>.

أمّا وجه التماسك بين الفواتح بالمعنى دون اللفظ، فقد تجلّى بين الوحدات الأربع؛ الأولى والثانية والثالثة والرابعة، إذ أنّ "الحمد" و "تبارك" و "يسبح" و "سبح" هي فواتح سور تجمع بينها وحدة دلالية تتمثل في "الثناء على الله" بكلّ أقسامه الصرفية؛ فثناء على الله بالمصدر، وثناء بالفعل بأقسامه الثلاثة: الماضي والمضارع والأمر، وهذا ما يوحي بالتماسك النصي بين الفواتح من جهات متعددة.

### ثالثا- المبالغة بالصيغ

هناك نوع من الدلالات تُستمد عن طريق الصيغ وبنيتها داخل التركيب القرآني الذي يعمد إلى انتقاء صيغة دون أخرى، لغرض دلالي يلائم السياق ويخدم المعنى. "تفاعل الدلالات أو التكيف المتبادل بين البناء الصرفي ومطالب التركيب والسياق تؤدي بنا إلى الاعتراف بحتمية المعنى المتعدد أو دخول المدلول الصرفي الموجّه"<sup>2</sup> كعنصر في بنية النظم القرآني.

وإذا كانت صيغتنا الفعل الماضي و المضارع- كما سبق البيان- قد عبّرتا عن الدلالة الزمنية من الزمن الصرفي، فإنّ هناك صيغا تعبّر عن الهيئة وبيان درجة صفة صاحب الفعل. وصفة المبالغة "تدلّ على وصف الفاعل بالحدث على طريق المبالغة"<sup>3</sup>، أي أنّ بناءها الوظيفي في التركيب، يهتم ببيان درجة المعنى قوّة وكثرة أو درجة الدلالة في معنى الفعل.

وقد عرفها السيوطي بقوله: "أن يذكر المتكلم وصفا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده"<sup>4</sup>. ويوضحها أكثر الزركشي فيقول: "هي أن يكون للشيء صفة ثابتة؛ فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه؛ فيدعي له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع؛ أو يحيل عقله ثبوته"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الإيقان 136/2.

<sup>2</sup> تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص100.

<sup>3</sup> تمام حسان، المرجع السابق، ص99.

<sup>4</sup> الإيقان 121/2.

<sup>5</sup> البرهان 51/3.

أما المبالغة عند ابن جني، " فهي زيادة في المعنى تقتضي زيادة في بناء اللفظ، فإذا أرادوا المبالغة في جمال ووضاء رجل، قالوا: وُضَاءٌ، وَجُمَالٌ، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه "1. وهي عند الزمخشري "بلوغ الغاية في المعنى" ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (21) ﴾ [الفرقان]، يقول: "وَعَتَوْا: وتجاوزوا الحد في الظلم...، وقد وصف العتو بالكبير، فبالغ في إفراطه، يعني أنهم لم يجسروا على القول العظيم، إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار، وأقصى العتو... "2.

ومما يلاحظ أيضا من- خلال الجدول السابق- أن صيغ المبالغة كادت تتواتر في جميع السور المكية متخللة بذلك التعبير القرآني في دقة بيانية واضحة الدلالة، من حيث موافقتها ومناسبتها للسياق الذي وردت فيه، ومما أن صيغ المبالغة هي زيادة وصف في الموصوف من غير تقييد بزمان، فإن أشهر أوزانها خمسة قياسية هي: فَعَالٌ، مِفْعَالٌ، فَعُولٌ، فَعِيلٌ، فَعِلٌ. والبعض الآخر هي صيغ قليلة مقصورة على السماع عند أكثر القدماء؛ أشهرها من الفعل الماضي الثلاثي<sup>3</sup>: "فَعِيلٌ" و"مِفْعِيلٌ" و"فُعَلَةٌ" و"فَاعُولٌ" و"فُعالٌ". وإن الذي يجمع بين الزمان والهيئة هو الاشتقاق، أي أن الزيادة التي تلحق الفعل أو الأبنية الصرفية القريبة منها تحقق- في الأعم الأغلب- غرضا معنويا، ومنه معاني التكثير والمبالغة التي تختص بالتعبير عن الهيئة، وبهذا يمكن تلخيص القول في وظيفة هذه الصيغ وأبنيتها الصرفية وذلك في النقاط الآتية:

1- أن الهيئة هي غير الزمن.

2- تتحقق الهيئة بزيادات معروفة تحوّر شكل الفعل والمفردات القريبة منه.

3- تظهر الهيئة في المفردات بواسطة زيادات بنيانية لتؤدي الدلالة المتوخاة،

كالتكثير والمبالغة.

وقد عمد القرآن الكريم إلى صيغ بديعة تعبّر عن دقة الاستخدام القرآني القائم على الاختيار الموفق بين الصيغ الممكنة، كما أوضح ذلك الزمخشري من خلال تفسيره البلاغي، إذ علّق على قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

<sup>1</sup> الخصائص، 266/3.

<sup>2</sup> الكشف، 273/3.

<sup>3</sup> انظر: عباس حسن، النحو الوافي، 259/3-260، وانظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ط6، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1384هـ/1965م، ص75.

يَعْلَمُونَ ﴿العنكبوت:64﴾ بقوله: "والحيوان مصدر حي، وقياسه حيان، فقلبت الياء الثانية واوًا، كما قالوا: حيوة، في اسم رجل، وبه سُمي ما فيه حياة: حيوانا، قالوا: اشتر من الموتان، ولا تشتري من الحيوان. وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب، كالتروان، والنغصان واللهبان، وما أشبه ذلك. والحياة: حركة، كما أن الموت سكون، فمحيته على بناء دالّ على معنى الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة"<sup>1</sup>.

ومن ثم يرى الزمخشري أن في بناء كلمة "حيوان" جمالا معنويا ونفسيا في سياقها من الآية الكريمة، فكأن الزيادة في عدد حروف الكلمة أو في نغمتها الموسيقية يؤدي حتما إلى الزيادة معناها وهذا في الحقيقة ما يقرره ابن الأثير بوضوح لا مزيد عليه حينما يقول: "إنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل إلى وزن أكثر منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأنّ الألفاظ أدلة المعاني وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة في المعاني وهذا لا نزاع فيه لبيانه"<sup>2</sup>.

والجدول الآتي يوضح تواتر صيغ صرفية للأفعال والأسماء تفيد في بيان درجة الدلالة على المعنى من حيث مقدار قلته وكثرته أو ضعفه وقوته:

عدد تواترها	مواضعها من السور المكية	الكلمة	الصيغة
1	هود: 75	أَوَاه	فَعَال
1	الإسراء: 25	أَوَابِين	
5	ص: 19، 17، 30، 44، ق: 32	أَوَاب	
1	القلم: 10	حَلَّاف	
1	القلم: 11	هَمَّاز	
1	القلم: 11	مَشَاء	
2	القلم: 12، ق: 25	مَنَاع	

<sup>1</sup> الكشاف 463/3.

<sup>2</sup> المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 279/2.

1	القلم:16	نزاعة
2	الشعراء:222، الجاثية:7	آفاك
4	ابراهيم:5، لقمان:31، سبأ:19، الشورى:33	صبار
2	هود:107، البروج:16	فقال
6	يوسف:39، الرعد:16، ابراهيم:48، ص:65، الزمر:4، غافر:16	القهار
1	سبأ:26	الفتاح
2	الحجر:86، يس:81	الخلّاق
6	غافر:24، ص:4، غافر:28، القمر:25، 26، النبأ:28	كذاب
3	الحج:10، ق:29، فصلت:46	ظلام (مسبوقة بنفي)
5	طه:82، ص:66، الزمر:5، غافر:42، نوح:10	غفار
1	الفرقان:4	نقّات
1	المدثر:29	لواحة
1	المسد:4	حمالة
1	لقمان:32	مختار
4	ابراهيم:34، الزمر:3، ق:24، نوح:27	كفار
1	سبأ:48	علام
1	النبأ:14	تجّاجا

فقال

35	الأنعام:54، 145، 165، الأعراف:153، 167، يونس:107، هود:41، يوسف:53 98، ابراهيم:36، الحجر:39، النحل:18 110، 115، 119، الكهف:58، الحج:60، النمل:11، القصص:16، سبأ:15، 20، فاطر:28، 30، 34، 41، الزمر:53، الشورى:5، 23، الأحقاف:8، التغابن:14، الملوك:2، البروج:14، الإسراء:25، 44، الفرقان:6، 70	غفور	فَعُول
13	الفرقان:62، الإنسان:9، الإسراء:33، ابراهيم:5، لقمان:31، سبأ:13، 19، فاطر:30، 34، الشورى:23، 33، التغابن:17، الإسراء:3	شكور	
1	ابراهيم:34	ظلموم	
1	المعارج:19	هلوع	
1	المعارج:20	جزوع	
1	فصلت:49	قنوط	
1	المعارج:21	منوع	
15	الإسراء:89، 99، الفرقان:50، هود:9، الحج:38، 66، لقمان:32، سبأ:17، فاطر:36، الشورى:48، الزخرف:15، الإسراء:27، 67، الإنسان:3، 24	كفور	
2	هود:90، البروج:14	ودود	
1	العاديات:6	كنود	
3	هود:9، الإسراء:83، فصلت:49	يؤوس	

1	الهمزة:1	همزة	فَعَلَة
1	الهمزة:1	لمزة	
2	القمر: 25، 26	أشر	فَعِل
1	نوح:22	كَبَّار	فُعَال
1	ص:5	عجاب	فُعَال
4	-القمر:42، 55، الكهف:45 -الزخرف:42	-مقتدر -مقتدرون	فُعْتَل
35	القصص:39، ص:74، 75، المدثر:23، الزمر: 59، الجاثية:31، الأحقاف:10، الأعراف:36، 40، 75، 76، 88، 133، يونس:75، ابراهيم:21، المؤمنون:46، الفرقان:21، العنكبوت:39، سبأ:31، 32، 33، نوح:7، غافر:47، 48، فصلت:15، 38، الأنعام:93، الأعراف:48، الأحقاف:20، الأعراف:206، النحل:49، الأنبياء:19، السجدة:15، الصافات:35، غافر:60	استكبر (مع جميع الضمائر والأزمنة)	استفعل
2	فاطر:43، نوح:7	استكبار	استفعل
4	عبس:42	كفرة	فَعَلَة
	عبس:42	فجرة	
	عبس:16	بردة	
	عبس:15	سفرة	
4	الأنعام:6، هود:52، نوح:11	منزّارا	مَفْعَال
	النبأ:21	مرصادا	
1	الفرقان:5	اكتب	اَفْعَل

الناظر في هذا الجدول يلاحظ أنّ كلّ الصيغ التي استخدمها النظم القرآني، لها ما يشاركها في التعبير عن المعنى من الصيغ الصرفية المحتملة، وإنّما عمد القرآن الكريم لانتقاء أبلغها وأكثرها انسجاماً مع المعنى المقصود، فلفظ "تكبير" هو نفس معنى "استكبر" من الناحية الاشتقاقية، إلا أنّ التعبير بالصيغة الأخيرة لما فيها من معاني القوة في المعنى<sup>1</sup>، كانت متمكنة في مكافئها في مقام التعبير عن الطغيان والكبرياء والعناد لذلك آثر القرآن الكريم هذه الصيغة، ولم يعبر عن المعنى بالصيغة الأولى "نفعل = تكبير" إلا في موضعين من القرآن جميعه مكّيه ومدنيّه، وهما في سورة واحدة هي الأعراف: [13، 146]، وكل ذلك يُعزى إلى مراعاة المقام وما ينسجم مع المعنى المراد، وفي ذلك يقول محمد الطاهر بن عاشور: "والاستكبار مبالغة في التكبير، فالسين والتاء للمبالغة... إذ من المعلوم أنّ الاستكبار لا يكون إلا في النفس لأنه من الأفعال النفسية"<sup>2</sup>.

لذلك كانت أغلب الصفات والأفعال التي وردت على جهة المبالغة في السور المكّية تدل على قوة وقوع الحدث وموافقة للمعنى المراد، ويتأتّى ذلك عن طريق الزيادة في الأبنية أو العدول عن الصفة الجارية إلى صفة أقوى من حيث المعنى، والعرب تزيد في حروف الفعل مبالغة: حلا الشيء، فإذا انتهى قالوا: احلولى<sup>3</sup>، وفي هذا يقول ابن جنّي: "هذا فصل في العربية حسنٌ منه قولهم: حَشُنَ واحشوشن. فمعنى حَشُنَ دون معنى احشوشن، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو... ومثله باب فعل وافتعل؛ نحو قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر"<sup>4</sup>. ويستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (42)﴾ فيقول: فمقتدر هنا أوفق من قادر؛ من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ<sup>5</sup>، لأن في لفظ "مقتدر" معنى أبلغ من "قادر"؛ وأن المقام يستدعي الصيغة التي تبين قدرة إله لا يعجزه شيء<sup>6</sup>، والميمنة لنوع الأخذ بأفضع ما هو معروف للمخاطبين من أخذ الملوك والجبابرة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أحمد الحملاوي، المرجع السابق، ص 47.

<sup>2</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء التاسع عشر، ص 6.

<sup>3</sup> ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها، ص 263.

<sup>4</sup> الخصائص، 265/3.

<sup>5</sup> نفس المكان.

<sup>6</sup> الكشاف 439/4.

<sup>7</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء السابع والعشرون، ص 209.

وإذا كانت صيغ المبالغة كلها تتفق في الدلالة على كبر المعنى، إلا أنها تختلف وتتفاضل فيما بينها من حيث درجة وقوة المعنى، يقول الزركشي: "واعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه؛ فلا بدّ أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني؛ فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة<sup>1</sup> . كالذي نجده بين "الرحمن" و"الرحيم"، فالأكثر- كما يرى السيوطي<sup>2</sup> - أن "فعلان" أبلغ من "فعليل"، ومن ثم قيل "الرحمن" أبلغ من "الرحيم"، ويرى الرماني أن رحمن عدل عن راحم للمبالغة، ولا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل لأنه يسدل على معنى لا يكون إلا له، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء<sup>3</sup>، ويقول الزخشي: "وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم، ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى... وهو من الصفات الغالبة لم يستعمل في غير الله عز وجل"<sup>4</sup>. ومن ذلك صيغة "فعلال" المعدولة عن "فاعل" للمبالغة، وقد تمثل هذا العدول الصيغي أحسن تمثيل في القرآن الكريم، موافقا للسياق أتم الموافقة وفي أبدع صورة، وقد كشف لنا الزخشي عن بعض صورته، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَا أَيُّكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٌ (37)﴾ [الشعراء]، يقول: عارضوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾. بقولهم (بِكُلِّ سِحَارٍ) فجاؤا بكلمة الإحاطة، وصفة المبالغة، ليظامنوا من نفس فرعون، ويسكنوا بعض قلقه<sup>5</sup>. وهي لفظة بيانية طريفة تنبئ عن الإدراك العميق لدور السياق ومدى أهميته في فهم أبعاد النص القرآني واستكناه أسرار إعجازه.

إلا أن هناك من يرى أن متواتر في القرآن الكريم من صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة، "كلها مجاز، لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها، لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها، وأيضا فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان،

<sup>1</sup> البرهان 34/3.

<sup>2</sup> الإيقان 121/2. وينظر: الزركشي. البرهان 502/2.

<sup>3</sup> النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلّق عليها محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، ط4، مصر، دار المعارف، د.ت، ص104.

<sup>4</sup> الكشف 6/1.

<sup>5</sup> الكشف 311/3.



وصفات الله مترهة عن ذلك"<sup>1</sup>. وهذا فهم خارج عن حدود النص القرآني ولم يراع سياقاته التي تشدنا إلى تدبره من الداخل ومحاولة إدراك خصائصه الأسلوبية والبيانية؛ غير أن الزركشي لا يرى بأساً في حصول المبالغة في صفات الله تعالى، بل يجب - على قوله - تنزيل جميع أسماء الله تعالى التي وردت على صيغة المبالغة كالرحمن و الغفور و التواب ونحوها، ولا يبقى إشكال حينئذ، لهذا قال بعض المفسرين في حكم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع<sup>2</sup>. وبالتالي فإن توافر صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة فلمقاصد ودلالات يقتضيها السياق، وإلا فما مقتضى العدول إلى صيغ المبالغة في مواضع كثيرة من القرآن، لو لم يكن ذلك لدلالات وفوائد ولطائف وإشارات لا تُبلغ بغير ذلك؟ حتى اعتبروا بعض صيغ المبالغة الواردة في القرآن من "المشكل" الذي يحتمل أوجه عديدة؛ وقد بلغت أحد عشر وجهاً، كالذي نجده في قوله تعالى: ﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق:29]. فهذه الآية حكاية كلام يصدر يومئذ من جانب الله تعالى يتضمن نفي الظلم عنه سبحانه، أما لزوم صيغة المبالغة في هذا السياق، فذلك ما تناوله المفسرون قصد الكشف عما وراءه من معان وأسرار بيانية، وتقريره أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم، والواقع نفيه<sup>3</sup>، يقول الزمخشري: "فإن قلت: كيف قال (بظلام) على لفظ المبالغة؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون من قولك: هو ظالم لعبده، وظلامٌ لعبده. والثاني: أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنك ظلاماً مفرط الظلم، فنفي ذلك"<sup>4</sup>. ويفهم من كلام الزمخشري - بغض النظر عن مذهبه في الاعتزال - أن إثار صفة (ظلام) جاءت موافقة لجمع التكسير (عبيد)، كما يفهم منه - أيضاً - نفي الظلم عن الله تعالى. ويرى الطاهر بن عاشور أن المبالغة التي في وصف "ظلام" راجعة إلى تأكيد النفي والمراد: لا أظلم شيئاً من الظلم، وأن الأكثر في نفي أمثلة المبالغة أن يقصد بالمبالغة مبالغة النفي<sup>5</sup>، ويعلق على هذا الأسلوب القرآني البديع بقوله: "وهذا استعمال دقيق في الكلام البليغ في نفي المصوغ بصيغة المبالغة من تمام عدل الله أن جعل كل درجات الظلم في رتبة الظلم الشديد"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي، المرجع السابق، 121/2.

<sup>2</sup> البرهان 507/2.

<sup>3</sup> نفسه 511/2.

<sup>4</sup> الكشاف 388/4.

<sup>5</sup> تفسير التحرير و التنوير، الجزء السادس والعشرون، ص 316. وينظر: عبد القادر حسين، التفسير البلاغي الميسر، الجزء الخامس والعشرون من القرآن الكريم، ص 165.

<sup>6</sup> نفسه، الجزء الرابع والعشرون، ص 319.

وكذا يمكن القول في جميع الصيغ التي قصدتها المبالغة أو الزيادة في درجة المعنى، فإن لها ما يقابلها من حيث الدلالة؛ من العظم والشدة والقدرة والكثرة في الفعل، وذلك بحسب ما يقتضيه السياق ويخدم القيم التعبيرية في النص القرآني، وقد أدرك هذا صاحب الخصائص من قديم بقوله: "إذا كانت الألفاظ أسئلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به. وكذلك إذا انحرف به عن سمته كان ذلك دليلاً على حدث متجدد له. وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائداً فيه، لا منتقاصاً منه"<sup>1</sup>.

#### رابعاً- التضعيف

وكما سبق الحديث في باب المبالغة بأن عمادها هو العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى أقوى في الدلالة، وأن إثارة في التعبير لا يحصل إلا لدلالة معينة تتضمنها الصيغة المعدول إليها، و يقرب من المبالغة بالصيغة التضعيف - ويقال التكثير - وهو أن يؤتى بالصيغة دالة على وقوع الفعل مرة بعد مرة<sup>2</sup>. ويُعدّ وسيلة لغوية في إيصال المعنى؛ إذ يمدّ السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن الخطاب استعمل صيغة غير مضعفة.

ويراد بالتضعيف عند علماء النحو والصرف، تضعيف عين الفعل بشرط ألا تكون همزة في أول الفعل<sup>3</sup>، أي بتشديد العين في الفعل اللازم والمتعدي.

ويجيء التضعيف لمعان منها:

1- تعديّة اللازم، أو ذي الواحد، أي المتعدي لمفعول واحد.

2- التكثير في الفعل، أو في الفاعل، أو في المفعول<sup>4</sup>

ويفيد أحياناً "التكرار و التمهّل"<sup>5</sup>.

وقد جاء صاحب كتاب "النحو الوافي" بما يؤكد الدلالة الأسلوبية التي يؤديها التضعيف، مستنداً إلى قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بقوله: "جعل مجمع اللغة العربية بالقاهرة تعديّة الفعل

<sup>1</sup> الخصائص 268/3.

<sup>2</sup> الزركشي، البرهان 35/3.

<sup>3</sup> عباس حسن، المرجع السابق، 169/2.

<sup>4</sup> نفس المكان.

<sup>5</sup> نفس المكان.

الثلاثي اللازم قياسية بالتضعيف لإفادة التكرير والمبالغة، مصرّحا بهذا في مواضع مختلفة من بحوثه اللغوية<sup>1</sup>.

ولا شكّ أنّ هذه الإفادة لها سند يعضدها من تراثنا اللغوي القديم. فقد كاد علماء اللغة الذين تناولوا ظاهرة التضعيف في اللغة العربية أن يجمعوا على أنّ التضعيف يعبر عن القوة وشدة الحدث وتكريره، يقول ابن جنّي: "جعلوا تكرير العين في المثال (يعني البناء) دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر وقطّع وفتح وعلّق، وذلك أنّهم لما جعلوا الألفاظ دليلا المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل"<sup>2</sup>.

وفي نفس المقام من مناسبة الألفاظ لمعانيها، ذهب ابن جنّي إلى بيان سرّ القوة في الصيغة المضعفة، وذلك بتكرير العين نحو فرّح وبشّر؛ فجعلوا قوّة اللفظ لقوّة المعنى، وخصّوا بذلك العين؛ لأنّها "أقوى من الفاء واللام؛ إذ هي واسطة لهما ومكتوفة بهما؛ فصارا كأنهما سياج لها، ومبدولان للعوارض دونها؛ ولذلك تجدد الإعلال بالحذف فيهما دونها"<sup>3</sup>. وهم بذلك أرادوا - على قوله - تحصين الدال على قوة الفعل<sup>4</sup>.

كما يرى العقاد، أنّ التضعيف إحدى الوسائل اللغوية التي تؤدي معنى كيفية حدوث الفعل ودرجات وقوعه، بصفة احتزالية تستغني عن اللجوء إلى أيّ إضافة ليست من ذات الصيغة، فيقول: "أنّ التضعيف والزيادة عندنا يؤديان معنى الفعل على درجات وأشكال يستغني بها المتكلم عن الظروف، فعندنا - مثلا - فتح وفتح بتشديد التاء... تغني المتكلم العربي عن أداء درجات الفعل وأشكاله بإضافة علامات الظرف إلى الصفات أو إلى الأسماء"<sup>5</sup>.

ولذلك يمكن أن يُلحق التضعيف بصيغ المبالغة، بل هو فرع منها، باعتبار بعض الصيغ المزيّدة لمعنى، مثل: "فعل" التي تضمّنت معنى أو قيمة تعبيرية تتمثل في التكرير والمبالغة<sup>6</sup>، كما جاء في "أدب الكاتب" لابن قتيبة في فصل عنوانه بـ: "باب فعّلتُ ومواضعها" يقول: "وتدخل فعّلتُ على

<sup>1</sup> عباس حسن، ج2، هامش ص165.

<sup>2</sup> الحصانصر، 155/2.

<sup>3</sup> نفس المكان. وينظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 49/1، 50.

<sup>4</sup> الحصانصر 155/2.

<sup>5</sup> أشنات مجتمعات في اللغة والأدب، ص93.

<sup>6</sup> انظر: أحمد الخملاني، شذا العرف في فن الصرف، ص43، و ينظر: رمون طحان، الألسنية العربية، 151/1.

أفعلتُ- إذا أردت تكثير العمل والمبالغة- يقول أحدثُ وجودتُ... وتدخل فعَلتُ على فعلتُ-إذا أردت كثرة العمل، فتقول: قطعته باثنين، وقطعته أرابا<sup>1</sup>.

وقد حفلت السور المكية بصيغ فعلية مضعفة لغرض دلالي وفني يستجيب لمقتضى السياق، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ [عبس:33]، فحرف الخاء المضعف أوضح في السمع والحس من الهاء، وهذا قصد فني رفيع إلى تعظيم القيامة في النفس والحس عن طريق الصدمة القوية والمفاجأة المتعمدة<sup>2</sup>.

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿فَزَيْلَانَا يَتَّخِذُونَ﴾ [يونس:28] يقول محمد الطاهر بن عاشور: " زَيْلَانَا: مضاعف زال المتعدي، يقال: زال عن موضعه يزيله بمعنى أزاله، فجعلوه يائي العين للترفة بينه وبين زال القاصر الذي هو واوي العين، فزَيْلٌ فَعْلٌ للمبالغة في الزَيْل مثل فَرَّقٌ للمبالغة، والمعنى وقع بينهم تفريق قوي بحيث انقطعت جميع الوصل التي كانت بينهم والتريل هنا مجازي فيشمل اختلاف القول<sup>3</sup>.

من هنا يمكن القول، بأن إيثار المضعف على غير المضعف، لم يكن اعتباطيا، عديم القيمة أو الغاية، وإنما هو مفاضلة تقوم على انتقاء الأبلغ والأنسب للمعنى المراد، كتعدية الفعل اللازم بتضعيف عينه، وإيثار ذلك في سياق معين عن تعديته بالهمزة في أوله، وهذا ما أكده القرآن الكريم في مواضع كثيرة من السور المكيّة، مما يشجع الباحث في القرآن، على التدقيق والمساءلة الواعية، ليدرس الدلالات الممكنة وراء كلّ تضعيف عمد إليه النظم القرآني، وإحصاء مواضع التضعيف التي وردت في السور المكيّة من خلال الجدول التالي:

رقم الآية	السورة	الكلمة	مسلسل	رقم الآية	السورة	الكلمة	مسلسل
94	الأنعام	تَقَطَّعَ	13	91	الشعراء	بُرُزَّتْ	1
				36	النازعات		
93	الأنبياء	تَقَطَّعُوا	14	4	القصص	يَذْبَحُ	2
53	المؤمنون			6	إبراهيم		

<sup>1</sup> أدب الكاتب، حقه وعلق حواشيه ووضع فهرسه محمد الدالي، ط3، سوريا، مؤسسة الرسالة، 1406هـ/1986م، ص460.

<sup>2</sup> محمد الحساوي، الفاصلة في القرآن، ص211.

<sup>3</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الخادي عشر، ص151

3	فَزَع	سبأ	23	15	سَعَرَت	التكوير	12
4	زَيْلَانًا	يونس	28	16	نَزَلَ	الإسراء	82
5	فَتَحَّتْ	الزمر الزمر النبأ	71 73 19	17	وَدَّع	الضحى	3
6	تُفْتَح	الأعراف	40	18	تَخَلَّتْ	الإنشقاق	4
7	مُفْتَحَةٌ	ص	50	19	يَتَخَطَّفُهُ	الحج	31
8	غَلَّقَتْ	يوسف	23	20	فَهَمَّنَاهَا	الأنبياء	79
9	قَطَّعْنَ	يوسف //	31 50	21	حَرَّقُوهُ	الأنبياء	68
10	قَطَّعْنَاهُمْ	الأعراف //	160 168	22	لُحِرَّقَتْهُ	طه	97
11	لَأَقْطَعَنَّ	الأعراف طه	124 71	23	أَقْطَعَنَّ	طه	71
12	قَطَّعَتْ	الرعد الحج	31 19	24	أَصْلَبْنَكُمْ	طه	71

إن الجدول السابق قد اقتصر في إحصاء المضعف من الصيغ الصرفية المعدول إليها، لما تضمنته من زيادة في المعنى، بخلاف تلك التي تخلو من التضعيف، فهي باقية على معناها الجرد المطلق، ولا تخدم -هيئتها تلك - المعنى المقصود، ولا تؤدي الدلالة المرجوة ضمن السياق الذي يستدعي زيادة في درجة المعنى، كإظهار الشدة أو المبالغة أو التكرير في سياقاتها المناسبة. كالذي نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]، فإن الفعل "فَزَع" قد اكتسب دلالة أخرى بالتضعيف؛ لأنه "مضاعف فزع. و التضعيف فيه للإزالة مثل: قشّر العود، ومرّض المريض إذا باشر علاجه" <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثامن والعشرون، ص 189.

ومن ثمة، فلاشك أن التضعيف أداة لغوية ذات وظيفة دلالية، وذو فاعلية تركيبية، بحيث يسهم في توليد القيم المعنوية المرهونة بسياقاتها داخل النشاط التركيبي. وقد كان استثمار النظم القرآني لهذه الوسيلة الأسلوبية في السور المكية، دقيقاً وموفقاً، إلى الحد الذي أظهر أو بالأحرى أكد قيمة التضعيف اللغوية وأبرز أثره الهام في تمايز القيم التعبيرية وتكثيف العناصر الأسلوبية.

### خامساً- إحلال صيغ محل أخرى

إن إقامة صيغة صرفية مقام أخرى من أهم الفروق الأسلوبية بين القرآن المكي والقرآن المدني، وهي من السمات البارزة في الأسلوب المكي، وتعد ظاهر صرفية قد اهتم بها القدماء وقدموا الكثير من التطبيقات عليها من كلام العرب، باعتبار تلك الظاهرة من سنن العرب في مخاطبتهم<sup>1</sup>، ويعني بها العدول إلى استخدام صيغة صرفية بدلا من الأخرى، وأثر هذا العدول في المعنى.

وبما أن القرآن الكريم متره عن الاعتيادية في نظمه وأسلوبه، فلا يوجد في أسلوبه عنصر من عناصره التعبيرية، أو اختيار لصيغة دون أخرى، أو عدول عن صيغة إلى صيغة أخرى بدلا منها، إلا كان لمعنى يقتضي ذلك، أي مراعاة الجانب الدلالي، وكذا مراعاة جانب السياق الذي يؤدي دوراً بارزاً في تفسير جوانب النص، باعتماد الإحالة والمرجعية الداخلية والمناسبة والتلاؤم بين اللغة والمعنى في جوانب السور المكية والقرآن عامة.

وإنما الذي تتعلق العناية به في هذا المقام- بعد رصد مواضع هذه الظاهرة في السور المكية- هو إبراز أثر هذا العدول الصيغي في المعنى، وبيان قيمته الوظيفية والتعبيرية في النص القرآني.

فقد تعددت الآراء في تأويل ظاهرة إحلال صيغة محل أخرى في سور القرآن المكي، فمن اللغويين من ذهب إلى أن ذلك من سنن العرب ومن خصائص التعبير في أساليبهم قبل الإسلام، كما ذكر السيوطي في كتابه "المزهر": " وأن يأتي بالمفعول بلفظ الفاعل؛ نحو سرّ كاتم؛ أي مكتوم. ومساء دافق، أي مدفوق، وعيشة راضية، أي مرضي بها. وحرما آمناء، أي مأمونافية، وبالفاعل بلفظ المفعول؛ نحو عيش مغبون، أي غابن؛ ذكره ابن السكيت..<sup>2</sup> وقريب من هذا يرى أبو زكريا الفراء " أن أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت كقول العرب: هذا سر

<sup>1</sup> انظر: ابن فارس، الصحاح، ص 221، وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 216.

<sup>2</sup> السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 335/1، وانظر: ابن فارس، المرجع نفسه، ص 221، وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 296، والزرکشي، البرهان في علوم القرآن، 285/2.

كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية، وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هي معهن " 1 .

أمّا المفسرون، فقد نظروا إلى الظاهرة من نواح متعددة، ولم يكادوا يجمعوا على تأويل واحد لهذا العدول الصيغي، فصاحب الكشف أوّل الظاهرة بتأويلين ولم يرجح أحدهما أو يختاره، كما في قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿خَلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق:6]، "والدفق: صب فيه دفع. ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق، كاللّابن والثّامر أو الإسناد المجازي" 2 . فالزّمخشري بذلك، يرى أن تعليل هذا العدول في كلّ موضع من القرآن الكريم لا يخلو من أحد اثنين: "نسبة بالصيغة، أو جعل الفعل لها [أي الصيغة] مجازاً وهو لصاحبها" 3 ، وقريب من هذا المعنى، يعلّق القاسمي على قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 21]: "عيشة راضية أي عيشة قد رضيها في الجنّة، (راضية) بمعنى مرضية، على التجوز في الكلمة نفسها أو في إسنادها أو استعارة مكنية وتخييلية" 4 . ولكن صاحب تفسير التحرير والتنوير، فيذهب إلى ترجيح الإسناد المجازي في الكلمة ذاتها، أو أن المعنى يؤدّى بالصيغة نفسها، ولا يؤول بالعدول عن صيغة أخرى لاستقامة المعنى، ويتمثل هذا في قوله: "ووصف الحياة بـ"راضية" مجاز عقلي لأن الراضي صاحبها راض بها فوصفت به العيشة لأنها سبب الرضى أو زمان الرضى" 5 ، كما يعبر بصراحة عن ترجيحه بقوله: "والأحسن أن يكون اسم فاعل ويكون دفق مطاوع دفته" 6 .

أمّا الذي يميل إليه دارسو القرآن 7 وبعض المفسرين، وتويده اللغة في كتب اللغويين 8 ، هو أن الصيغة قد يعدل بها عن صيغة أخرى وجعلها في خدمة التعبير القرآني ببراعة معجزة، وفي ذلك فسحة للتعبير اللغوي لا يخفى جماله لمن يتدبر الأسلوب العربي في أسمى إبداعه، ولا سيما أسلوب القرآن الكريم الذي تعانق فيه اللغة الدلالة وتسايرها بتناسب وتلاؤم دقيق لا يمكن التغاضي عنه وقد روعي

1 معان القرآن 255/3.

2 الكشف 735/4.

3 الكشف 603/4.

4 محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ط2 بيروت، دار الفكر، 1398هـ-1978م، 240/10.

5 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 514.

6 تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 262.

7 انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 50/2، والزرکشي، البرهان في علوم القرآن، 285/2، وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص 296.

8 ابن فارس، الصحاح، ص 221، السيوطي، المزهرة، 335/1.

فيه الجانب الفني، كمرعاة الجانب الصوتي والموسيقي في أجزاء تراكيبه، علاوة على مراعاته للجانب الدلالي الذي يتطلبه السياق، وذلك بعض من أسرار بدائعه و عجائبه التي لا تنفذ.

وعليه، فإن لغة القرآن تبقى فوق كل تأويل أو محاولة استكناه لحقيقة كل اختيار أو عدول في أسلوبه، ويمكن حصر مواضع هذا العدول الصيغي أو المغايرة بين الصيغ في القرآن المكّي مع محاولة ضبط نوع كل منها، وذلك من خلال الجدول التالي:

نوع العدول	رقم الآية	السورة	الكلمة المعدول عنها	الكلمة المعدول إليها
فعليل مقام مفعول	101	الأنعام	مبدع	بديع
المفعول بلفظ الفاعل	43	هود	معصوم	عاصم
المفعول بلفظ الفاعل	6	الطارق	مدفوق	دافق
المفعول بلفظ الفاعل	21	الحاقة	مرضيّ بها	راضية
المفعول بلفظ الفاعل	7	القارعة		
المفعول بلفظ الفاعل...	67	العتكبوت	مأموناً فيه	آمنة
المفعول بلفظ فعليل	25	التكوير	مرجوم	رجيم
مفعول أو مفاعل بلفظ فعليل	55	الفرقان	مظهور أو مظاهر	ظهر
المفعول مقام الفاعل	45	الإسراء	ساترا	مستوراً
المفعول مقام الفاعل	61	مريم	آتياً	مأتياً
إقامة الفاعل مقام المصدر	2	الواقعة	تكذيب	كاذبة
فعليل مقام مفعول	73	الأعراف	مؤلم [ذكرت 52 مرة]	أليم
المفعول مقام المصدر	6	القلم	الفتنة	المفتون
المصدر على "فعلول"	62	الفرقان	شكراً	شكوراً
	9	الإنسان		
المصدر مقام المفعول	32	الجاثية	موعود	وعد
وصف بالمصدر مقام الصفة	26	النبأ	موافقا	وفاقا
فعلال مقام	35، 28	النبأ	تكذيباً	كذّاباً



تفعيل (مصدر: فَعَلَ)				
المصدر مقام اسم المفعول	34	النبأ	مدهقة	دهاقا
وصف باسم المصدر مقام اسم المفعول	36	النبأ	محسوبا	حسابا
المصدر مقام اسم المفعول	13	الطارق	فاصل	فصل

فالجدير بالإشارة إليه - من خلال الجدول السابق - هو أن هذه الصيغ المعدول بها عن صيغ أخرى، كان قوامها الاختيار للأنسب والأبلغ دلالة على المراد في سياقها القرآنية المختلفة؛ ومن ذلك - على سبيل التمثيل - مجيء المصدر على "فعل"، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9]، يقول الزركشي في كتابه البرهان: "فإنه ليس المراد - هنا - الجمع، بل المراد: لا تريد منكم شكرا أصلا، وهذا أبلغ في قصد الإخلاص في نفي الأنواع، وزعم السهيلي أنه جمع "شكر"، وليس كذلك لفوات هذا المعنى"<sup>1</sup> ومثل هذا، قوله في صيغة "أليم" المعدول بها عن "مؤلم": "و"أليم" أبلغ، لأنه يدل على الملازمة،... ولهذا منع التحويين إلا سبويه أن يعدّي "فعليل" "<sup>2</sup>.

وقد تنوّعت دلالات هذا العدول الصيغي في السور المكية - كما هو مبين في الجدول - مما أكسب الأسلوب القرآني خصوبة وثراء بتعدد الاحتمالات التي تردّ على الذهن لتفسير المقصود، كالذي تجده من دلالة المبالغة في كثير من المواضع التي كان فيها إثارة صيغة صرفية بدلا من صيغة أخرى، كما في قوله تعالى في سورة النبأ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (36)، "فالوصف باسم المصدر (حسابا) للمبالغة وهو بمعنى المفعول، أي محسوبا مقدرا بحسب أعمالهم، وهذا مقابل ما وقع في جزاء الطاغين من قوله: ﴿جَزَاءً وَفِاقًا﴾ (26)"<sup>3</sup>. و(الوفاق) مصدر وافق وصف به الجزاء مبالغة<sup>4</sup>.

علاوة على ذلك، يمكن القول - اعتمادا على استقراء مواضع العدول الصيغي - إن الجانب الصوتي يُعدّ إحدى مسوغات هذا العدول، وتقرير ذلك؛ هو أن أغلب هذه الصيغ المعدول بها واقعة في فواصل الآيات التي يناسبها أكثر المدد الصوتي في آخرها بإحدى حروف المدّ الثلاثة وهي الألف والواو والياء، أي لتحقيق النسق الموسيقي المؤلف المتناغم بين الآيات، والحفاظ على وتيرة

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 286/2-287.

<sup>2</sup> نفسه، 286/2.

<sup>3</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص43.

<sup>4</sup> محمد عبده، تفسير جزء عم، ص9.

التجانس المطرد بين الفواصل المنسجمة في السورة. مثلما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ [النبأ:28]، يقول محمد الطاهر بن عاشور ملاحظًا ذلك النسق المطرد بين فواصل السورة من أولها إلى آخرها: " وأوثر هذا المصدر (كذابًا) هنا دون التكذيب لمراعاة التماثل في فواصل هذه السورة، فإنها على نحو ألف التأسيس في القوافي، والفواصل كالأسجاع ويحسن في الأسجاع ما يحسن في القوافي " <sup>1</sup>.

إلى هنا، وتعقيبًا على ماتقدم، يمكن القول أن النظام الصرفي في السور المكية، نظام حركي متنوع الأنظمة الصرفية، مميّز الكلمة أو البنية الصرفية بالشراء والتنوع و بالتالي المساهمة في إثراء القيم المعنوية والدلالية للنص القرآني. وكما تجدر الإشارة إلى أن هذا الفصل لم يستوعب كل ما يتعلق بخصائص البنية الإفرادية وعلاقتها بالدلالة في السور المكية، بقدر ما كان التركيز على الأهم البارز أو المتواتر فيها، من زاوية أنه يمثل سمة أسلوبية واضحة المعالم، غير أن الكلمة تبقى قاصرة عن تأدية حركتها أو وظيفتها الكاملة ما لم تدرج ضمن بناء أوسع هو الجملة.



<sup>1</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 40.

جامعة الأمير

# الفصل الثالث

في المستوى التركيبي

الإسلامية

التركيب اللغوي أوسع أبواب الاختيار الأسلوبية في إطار الخطاب الأدبي وهذا النوع من الاختيار يتجاوز الكلمة المفردة إلى التركيب، باعتبار أنّ الكلام الأدبي مجموعة من الجمل لها وحدتها المميزة، ولها قواعدها ونحوها ودلالاتها.

والخطاب الأدبي- في المحصلة- هو تركيب جمالي للوحدات اللغوية تركيباً يتوخى في سياقه الأسلوبية معاني النحو، الذي يعود في الأساس إلى القدرة على الاختيار للوحدات اللغوية المشكّلة للخطاب، وحسن تنسيقها في مواقعها، وتوخى معاني النحو فيما بينها من علاقات، وما يستتبع ذلك من مطابقة مقتضى الحال ومجريات السياق داخل النظم الواحد.

وعماد هذه الدراسة- إذا- هو دراسة تنظيم العبارة البسيطة والمركبة، أي التركيز على الجملة وتركيبها أو على وصف نظام الجملة واكتناه أسرار العبارة القرآنية قصد إيجاد الخصائص النوعية لبنية الأسلوب القرآني. وكذا فإنّ هدف الدراسة هو وصف الهياكل اللغوية للجمل قصد إدراك المعاني النحوية للسور المكينة وإدراك كيفية استغلال هذه المعاني في بناء العبارة أو في نسجها وصياغتها.

كما يجب التنويه إلى أنّ هذه الدراسة تتجه رأساً إلى التركيز على بعض الجمل التي شكّلت بروزاً أسلوبياً أو التي تأخذ ظاهرة أسلوبية في بعض ألوان الأداء، مما يُكسب المضمون حيوية تؤثر في الشكل اللغوي، كالجمل الموصولة والشرطية والجمل الاستفهامية وجمل القسم.. مع الجمع بين الدراسة الوصفية والدلالية قصد استنباط دلالات التراكيب أو الجمل وذلك بإدماج علم المعاني في الدراسة النحوية وهي من الأدوات الناجعة في الوصف والتحليل.

وأيضاً مما يُعدّ من الدراسة التركيبية، هو الوقوف على مميزات النص الأدبي من خلال محاولة رصد حجم الجملة طولاً وقصراً مع مراعاة خصائصها وهي في نسج متكامل وبنیان قائم، لاستنباط الدلالة من خلال التركيب في السورة القرآنية، ولاسيّما وأنّ هذه الدراسة تحاول تحليل نص قرآني قد بلغ من جمال البنية ودقة المراعاة فيما بين أجزائها والملائمة بين عناصرها؛ عدداً وإيقاعاً، ومثالاً، مما يدل على أنه أسلوب معجز في بنائه اللغوي تتساوى عنده الأقدام في العجز.

إلى جانب ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الظواهر اللغوية الكبرى التي طبعت القرآن المكّي في بنيته التركيبية، كظاهرة التكرار والإيجاز والاستفهام والقسم وذلك من خلال وصفها واستكناه مقاصدها الدلالية القائمة في الأساس على منظور بلاغي معروف في تراثنا. وسيلنا في تناول

هذه القضايا التركيبية برمتها هي القياس الكمي والتحليل الإحصائي للظاهرة التي تميزت بالتواتر أو كثرة الدوران في السور المكية والتي طبعتها بخصائص ميزته عن طبيعة السور المدنية من الناحية التركيبية التي تنظر إلى النظم في نسج متكامل، وبيان قائم، وليس في صورته التحليلية التي طغت على دراسات القدامى من الباحثين في تحليل الأساليب، الذين - غالباً - ما كانوا يغفلون مطالب التركيب وما يفرضه من عناصر جديدة تعتبر حلولاً لما قد يكون بين النظام ومطالب السياق من تعارض<sup>1</sup>. ولقد كانت مبادرة عبد القاهر الجرجاني بدراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق<sup>2</sup> من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب<sup>3</sup>. فكل تحليل لنص ما، ينبغي أن يتجه - أخيراً - إلى وصف الأساليب التي تكون منها، أو التي يقوم عليها التركيب النحوي الذي قوامه المعنى، "فالنحاة القدامى - كما تعلم - لم يكن لديهم أية فكرة عن أسلوب الاستفهام مثلاً، ولم يفرّدوا له باباً على حدة ولكنهم بحثوا في الاستفهام بحثاً عابراً مفرقاً لا يمكن أن يصل إلى معرفة الاستفهام بوصفه أسلوباً لغوياً<sup>3</sup>."

وكذلك أسلوب التوكيد، و النفي، والقسم، وأسلوب الشرط، وغيرها من الأساليب التي ما تزال محل نظر ودراسة من الناحية اللغوية المحضة، بعيداً عن النظر الفلسفي أو العقلي المحصور في حدود الجملة وتقسيماتها. فقد استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يدرك أنّ علم النحو لا يكفي فيه أن يكون علماً تُعرف به أحوال أو آخر الكلمات إعراباً وبناءً، وإنما هو علم نظم الكلم وما يتصل به - في ضوء المعنى - من نظام ترتيب الكلمات في جمل، ومن تقدم وتأخير، وفصل ووصل، وقصر، ونفي واستفهام وتأکید، وذكر وحذف، وفروق في التعبير بين الخبر الاسمي والخبر الفعلي إلى غير ذلك مما عرض له عبد القاهر، وسار على نهجه أصحاب "علم المعاني" وإن شغلوا بالتقنين والتبويب، وهي كلها أمور داخلية في دراسة النحو بمعناه العلمي الصحيح.

فالذين انصرفوا إلى "المعنى" في التركيب الجملي، هم البلاغيون الذين حصرُوا اهتمامهم في البنية الشكلية ودراسة ما يجري فيها، حتى أنهم أطلقوا على قسم من أقسام علمهم اسم "علم المعاني" الذي غايته الاهتمام بقواعد وقوانين استنباط المعنى من التراكيب الجمالية<sup>4</sup>. فاللغة ليست مجرد

<sup>1</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 17.

<sup>2</sup> نفسه، ص 18.

<sup>3</sup> مهدي المخرومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 34.

<sup>4</sup> خليل أحمد عامية، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، ط 1، جدة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 1404هـ/1984م، ص 75.

كلمات مرصوفة لا يجمع بينها نظام وإنما هي مجموعة من العلاقات محكومة بقواعد خاصة، يقول عبد القاهر الجرجاني: "الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد"<sup>1</sup>.

والنحو- وهو دراسة للعلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة وبيان وظائفها- هو لبّ الدراسات اللغوية على اعتبار أنه قلب الأنظمة اللغوية جميعها فهو الذي يصل بين الأصوات والمعاني، وهو الذي يمدّ الجملة بمعناها الأساسي ويحدد لها عناصر هذا المعنى.<sup>2</sup>

وليس لهذه الدراسة أن تستوفي كل أنواع الجملة في هذا الفصل وإنما تختار منها ما يندرج في إطار الأسلوب الخبري والإنشائي معتمدين في ذلك على الوصف والإحصاء وهما أقرب شيئين إلى المنهج اللغوي المستقيم، ولاسيما إذا تعلّق الأمر بعبارات القرآن الكريم التي تجسّد في محتواها قمة النظم والصياغة وقد سبكتها القدرة الإلهية في أسلوب عربي متين، فهي بذلك تتمتع بخصائص جمالية وفنية، تدع القارئ ينصهر في جوّها كلّما أمعن وتدبّر في أسلوب عرض أفكارها، وفي روحها وتصويرها، وظلال صورها وإيجاءاتها، لأنها محكمة البناء والتركيب من ناحية، وتحكّم المعنى الدلالي المنطوي تحتها من ناحية أخرى، فلكل تركيب في الجملة القرآنية -مكيّة كانت أو مدنية- له مسوغ أسلوبى لا يقوم مقامه ولا يؤدي الدلالة الدقيقة المتوخاة أي مسوغ تركيبى آخر؛ فالقرآن الكريم حين يخبر عن المبتدأ بالجملة الفعلية -مثلا- في موضع، ويخبر عنه بالاسم أو الجملة الاسمية في موضع آخر، فلأن كل موضع منها قد راعى مقتضى الحال وأدى الدلالة على أحسن بيان وأدق صورة.

### أولاً- خصائص تركيب الآيات والجمل في السور المكيّة

إذا كانت الجملة هي الوحدة الأساسية للكلام عند النحاة، فإن الآية هي الوحدة التي يتألف منها النظم القرآني ولذلك فهي شيء آخر مختلف عن الجملة لأنها ليست وحدة معنوية أو نحوية وإنما هي الوحدة الفنية أو اللبنة التي يتألف من أمثالها صرح هذه المعجزة البيانية الإلهية التي هي القرآن.<sup>3</sup>

بناء على هذا فقد تكون الآية جملة تامّة وقد تكون جزءا من جملة أي أنّ الجملة تتألف من عدّة آيات وقد تشتمل الآية الواحدة على جمل متعددة، لأن الأصل هو أنّ الآية وحدة ترتيلية أي أنّ القارئ يقف عند فواصلها إلاّ في حالات قليلة محدودة لا يجوز فيها الوقف لإخلاله بالمعنى، أو لأن

<sup>1</sup> دلائل الإعجاز، ص 469-470.

<sup>2</sup> عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص192.

<sup>3</sup> محمد المبارك، دراسة أدبية لنصوص القرآن، ص136.

الوصل أحسن وأفضل، ويقف القارئ في آخر الآية ولو كان الكلام متصلا والمعنى متسلسلا إذا لم ينشأ عن هذا الوقف تغيير في المعنى.

لكن هذه الوحدة الترتيلية نجدها تأخذ طابعاً مميّزاً في الغالب الأعمّ في السور المكية، وذلك يعود- في الأساس- إلى طبيعة الموضوع ونوع المرسل إليه من المخاطبين، كما يعود إلى مقتضيات الدعوة، فكل مرحلة منها تقتضي لونا من الخطاب يبين خطاب المرحلة الأخرى في الموضوع والأسلوب، وهي جميعاً لا تخرج عن خصائص النظم القرآني عامّة، تلك الخصائص العليا التي لم تجتمع في كلام على نحو ما وُجِدَتْ في القرآن الكريم.

ففي القرآن المكيّ أنواعٌ كثيرة من التراكيب تتدرج من الآية القصيرة والجملة البسيطة الموجزة التي تقتصر على أبسط عناصرها إلى الآية الطويلة والجملة الطويلة. وبما أن تركيب الآية القرآنية مرتبطٌ بتركيب الجمل، كان من الضروري- أيضاً- وبالموازاة، دراسة الجملة القرآنية في السور المكيّة وأنواعها من حيث التركيب والتأليف. وسوف لا تقتصرُ الدراسة على النظر إلى التركيب باعتبار سماته النحوية والبلاغية فحسب، وإنما ينظر إليه من زاوية أخرى، هي قيمته- في ذاته وعلى حاله- في إبداع الدلالة و(أسلبة) الرسالة<sup>1</sup>.

### 1- الآية القصيرة والجملة البسيطة

قصر الآيات في السور المكية علامة بارزة في بنية الأسلوب، وسمة واضحة تتميز بها عن السور المدنية؛ فقد تفرّدت السور المكية بآيات تتكون من كلمة واحدة وأكثر ما تكون في أوائل بعض السور للإثارة ولفت النظر والمبالغة، وتلك هي: (الحاقة) و (القارعة) و (الطور) و (الضحى) و (الفجر) و (العصر) و (الرحمن). وأما ما جاء منها في وسط السور، فليس منه إلا آية واحدة من سورة (الرحمن) المكيّة، في قوله تعالى: "مُدْهَامَّتَان" [64]، وفي ذلك دلالة على أن أقصر آية في القرآن تضمنتها سورة مكيّة، ويقابل هذه الحقيقة، أن أطول آية- وهي آية الدين<sup>2</sup>- في سورة (البقرة) وهي سورة مدنية.

وبهذا تكون الوحدات وحيدة البنية قد بلغت ثمانية لتشكّل ظاهرة لغوية فريدة في أسلوب القرآن المكي، وليس لها نظير في قسيمتها من السور المدنية.

<sup>1</sup> محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، ص 101.

<sup>2</sup> الآية: 282.

وإلى جانب الآيات الوحيدة البنية، حضرت الآيات ذوات الوحدات الثنائية بكثافة ظاهرة في كثير من السور المكية، وأما تكاد تكون مقصورة على الأجزاء الأخيرة من القرآن. فالآيات فيه متلاحقة في تتابع نغمي سريع الفواصل، وفي تناسب مع الموضوع والفكرة، مراعية للسياق الذي يقتضي هذا اللون من الأسلوب ذي الآيات القصيرة، ويغلب على هذه البنى التركيبية ميزة التقابل أو التماثل بمختلف مستوياته: الصوتية والصرفية والنحوية، كالذي يتجلى في مستهل بعض السور المكية وهي: الذاريات، الطور، الرحمن، المدثر، المرسلات، النازعات، التكوير، الانفطار، والفجر، والعاديات، أي أن هناك وحدة بنيوية في الآيات الأولى من هذه السور من مفصل القرآن، والجدول الآتي يبين ذلك الانسجام الحاصل بين الآيات في أكثر من مستوى من مستويات التماثل في أوائل سورة الطور.

الموضع الثالث	الموضع الثاني	الموضع الأول	مسلسل الآيات
مَسْطُورٌ	كِتَابٌ	وَ	2
مَنْشُورٌ	رَقٌّ	فِي	3
الْمَعْمُورُ	الْبَيْتُ	وَ	4
الْمَرْفُوعُ	السَّقْفُ	وَ	5
الْمَسْجُورُ	الْبَحْرُ	وَ	6

يُلاحظ أن هذه البنى التركيبية المؤلفة من جمل قصيرة، يظهر فيها التماثل بوضوح، دون أن يكون بينها فاصل أسلوبى قد يؤثر في النسق، وهي ذات طبيعة تركيبية بسيطة مركبة من حرف القسم والمقسم به وصفة، وهذا هو سرّ انسياب الوحدات في توافق صوتي وصرفي ونحوي محققا -بذلك- الجمال التعبيري، وكما هو معلوم فإن النص الذي يغلب عليه هذا النوع من البنى القصيرة يتخذ لنفسه أبعادا فنية جميلة تكاد تنعدم في غيره.

والملاحظ أيضا في السور المذكورة أعلاه، أن آياتها الأولى لم تلتزم كلها بنظام واحد من بناء الجملة البسيطة القصيرة، إلا في بعضها، فمنها ما التزم الجملة الفعلية القصيرة المركبة من فعل وفاعله والمفعول به، ونجد ذلك في سورة الرحمن: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، وسورة المدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (3) وَتَيَّابِكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا



تَمَثَّنْ تَسْتَكْبِرُ(6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(7) ﴿﴾، فكل هذه الجمل قصيرة وبسيطة وقد تقدم فيها المعمول عن العامل للاهتمام به وإفادة الاختصاص<sup>1</sup>.

أما ما جاء على صورة نمطية واحدة من التركيب في بداية السور المكية، فقد تمثل في بعض سور الربع الأخير من القرآن وهي: الصفات، الذاريات، المرسلات، النازعات، والعاديات. والجدول الآتي يبين بوضوح تلك النمطية المكررة من البناء التركيبي للآيات ذوات الجمل الاسمية القصيرة:

الترتيب	أ	ب	ج	د	هـ
الأولى	والصفات صفا	فالزاجرات زجرا	فالتاليات ذكرا		
الثانية	والذاريات ذروا	فالحاملات وقرا	فالجاريات يسرا	فالمقسمات أمرا	
الثالثة	والمرسلات عرفا	فالعاصفات عصفا	والناشرات نشرا	فالفارقات فرقا	فالملقىات ذكرا
الرابعة	والنازعات غرفا	والناشطات نشطا	فالساجحات سبحا	فالسابقات سبقا	فالمدبرات أمرا
الخامسة	والعاديات ضبحا	فالموريات قدحا	فالمغيرات صبحا		

والملاحظ في هذا الجدول أن السور المذكورة كلها مبدوءة بقسم أو بمقسم به من المخلوقات وتليه معطوفات على المقسم به. والذي يظهر من مراجعة الجدول عموديا هو التماثل والتقابل بين آيات السور الخمسة، وأن دلالة هذا التركيب المتكرر في خمس سور -وهي كلها مكية- ظاهرة وجلية إذا عُرف السياق المشترك الذي يوحد بينها، وهو الموضوع الهام الذي يعقب تلك التراكيب اللغوية الموحية بالكثير من المعاني والدلالات، علاوة على "الإيحاء المحمل بما هو أظهر شيء في هذا المقام. وأنها هي بذاتها تحدث هزة شعورية بإيحاء جرسها وتتابع إيقاعها، والظلال المباشرة التي تلقيها، وهذه الانتفاضة والهزة اللتان تحدثهما في النفس هما أليق شيء بموضوع السورة واتجاهها..

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء السابع والعشرون، ص 296-298.

وكل مقطع من مقاطع السورة بعد ذلك هو هزة، كالذي يمسك بخناق أحد فيهمزة هزاً، وهو يستوجه عن ذنب، أو عن آية ظاهرة ينكرها، ثم يطلقه على الوعيد والتهديد..<sup>1</sup>

فالتذكير بالمصير وما يلقونه يوم الفصل من عذاب وتأنيب، كان وفق تلك التراكيب ذات الجمل القصيرة الفواصل، سريعة الإيقاع، واحدة إثر واحدة، وفي صورة واحدة من التعبير الموجز ذي الإيحاء العميق عمق الدلالات التي تتصل بعالم الغيب.

ولم يقتصر حضور الوحدات الثنائية على أوائل السور المكية، بل كان حضورها يتخلل ثناياها، فقد كانت في غاية الإيجاز ووفق مجريات السياق التي هي فيه، ويمكن تحديد مواضع الوحدات الثنائية في الجدول الآتي:

الوحدة التركيبية	رقم الآية	السورة	الوحدة التركيبية	رقم الآية	السورة
1- أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	155	الصفافات	57- فَحَشَرَ فَنَادَى	33	//
2- وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ	2	الزخرف	58- وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا	32	//
3- وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ	2	الدخان	59- عَبَسَ وَتَوَلَّى	1	عبس
4- طَعَامُ الْأَيْمِ	44	//	60- وَهُوَ يَخْشَى	9	//
5- كَعْلِي الْحَمِيمِ	46	//	61- مَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ	14	//
6- ذَوَاتَا أَفْتَانِ	48	الرحمن	62- بِأَيْدِي سَفَرَةٍ	15	//
7- وَخُورٍ عَيْنٍ	22	الواقعة	63- كِرَامٍ بَرَرَةٍ	16	//
8- وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ	29	//	64- وَعَنْبًا وَقَضْبًا	28	//
9- وَظِلِّ مَمْدُودٍ	30	//	65- وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا	29	//
10- وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ	31	//	66- وَحَدَائِقِ غَلْبًا	30	//
11- وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ	32	//	67- وَفَاكِهَةٍ وَأَبًا	31	//
12- وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ	34	//	68- وَأُمَّهُ وَآبِيهِ	35	//
13- عُرْبًا أَثْرَابًا	37	//	69- وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ	36	//
14- لِلْأَصْحَابِ الْيَمِينِ	38	//	70- ضَاحِكَةٍ مُسْتَبْشِرَةٍ	39	//
15- وَتَصْلِيَةٍ جَحِيمٍ	94	//	71- تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ	41	//

<sup>1</sup> في ظلال القرآن، المجلد 6، الجزء التاسع والعشرون، ص 3792

الانفطار	11	72- كَرَامًا كَاتِبِينَ	الحاقة	2	16- مَا الْحَاقَّةُ
المطففين	1	73- وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ	//	30	17- خُذُوهُ فَغُلُّوهُ
//	9	74- كِتَابٌ مَرْقُومٌ	المعارج	7	18- وَتَرَاهُ قَرِيبًا
//	20	75- كِتَابٌ مَرْقُومٌ	المعارج	16	19- نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى
//	31	76- يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ	//	18	20- وَجَمَعَ فَأَوْعَى
الانشقاق	12	77- وَيَصَلَّى سَعِيدًا	//	22	21- إِلَّا الْمُصَلِّينَ
البروج	2	78- وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ	//	25	22- لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ
//	18	79- فِرْعَوْنُ وَتَمُودُ	المرزمل	1	23- يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ
//	22	80- فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ	المدثر	1	24- يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ
الطارق	3	81- النَّجْمِ الثَّاقِبِ	//	2	25- قُمْ فَأَنْذِرْ
//	16	82- وَأَكِيدُ كَيْدًا	//	3	26- وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ
الأعلى	8	83- وَتَيْسَرَكَ لِلْإِسْرَى	المدثر	4	27- وَتَيَابِكَ فَطَهَّرْ
//	11	84- وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى	//	5	28- وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ
الغاشية	3	85- غَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ	//	7	29- وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ
//	9	86- لِسَعِيدٍ رَاضِيَةٌ	//	10	30- وَبَيْنَ شُهُودَا
//	14	87- وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ	//	17	31- سَارَهُنَّهْ صَعُودَا
//	15	88- وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ	//	21	32- ثُمَّ نَظَرَ
//	16	89- وَزُرَابِيٍّ مُبْتُوتَةٌ	//	22	33- ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ
الفجر	1	90- وَالْفَجْرِ	//	23	34- ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ
//	2	91- وَلِيَالٍ عَشْرٍ	//	26	35- سَاصِلِهِ سَقَرٌ
//	30	92- وَادْخُلِي جَنَّتِي	//	29	36- لَوَاحِجَةً لِلْبَشْرِ
البلد	9	93- وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ	//	32	37- كَلًّا وَالْقَمَرَ
//	10	94- وَهَدْيَاتِهِ التَّجْدِثِينَ	//	36	38- نَذِيرًا لِلْبَشْرِ
//	13	95- فَكُ رَقَبَةٌ	//	41	39- عَنِ الْمُجْرِمِينَ
الليل	6	96- وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى	القيامة	8	40- وَخَسَفَ الْقَمَرَ

41- كَلَّا لَاؤَزَّر	11	//	97- فَسَنِيَسِرُّهُ لِّلْئِسْرَى	7	//
42- تَرَهَّقَهَا قَتْرَةً	41	//	98- وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى	9	//
43- عُنْدَرًا أَوْ نُذْرًا	6	المرسلات	99- فَسَنِيَسِرُّهُ لِّلْعُسْرَى	10	//
44- لِيَوْمِ الْفَصْلِ	13	المرسلات	100- وَسَيُجَنَّبُهَا الْأُنْفَى	17	//
45- عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ	1	النبأ	101- وَكَسُوفٍ يَرْضَى	21	//
46- كَلَّا سَيَعْلَمُونَ	4	//	102- وَطُورِ سِينِينَ	2	التين
47- وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا	6	//	103- فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ	17	العلق
48- وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا	7	//	105- سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ	18	//
49- لِلطَّاعِينَ مَا بَا	22	//	106- فَأَمَّهُ هَاوِيَةَ	9	القارعة
50- جَزَاءً وِفَاقًا	26	//	107- نَارًا حَامِيَةَ	11	//
51- حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا	32	//	108- أَلِهَاتِكُمُ التَّكَاثُرُ	1	التكاثر
52- وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا	33	//	109- لَتَرُونَ الْجَحِيمَ	6	التكاثر
53- وَكَأْسًا دِهَاقًا	34	//	110- وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ	7	الماعون
54- تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ	7	النازعات	111- اللَّهُ الصَّمَدُ	2	الإخلاص
55- أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ	9	//	112- مَلِكِ النَّاسِ	2	الناس
56- فَكَذَّبَ وَعَصَى	21	//	113- إِلَهَ النَّاسِ	3	//

والذي يجدر التنبيه إليه في هذا الجدول الإحصائي، هو أن الإحصاء لمجمل الوحدات الثنائية في السور المكية، كان شاملاً لكل آية بنيتها التركيبية تتشكل من عنصرين لغويين أو أكثر بقليل في بعض الآيات، وإن كانت هذه الوحدات لم تستقل بنفسها في تأدية المعنى وإفادة الدلالة، إذ أن معظم ما ورد ضمن الجدول الحاصر للوحدات الثنائية وإن عُدَّ- في الحقيقة- آيات مستقلة بنفسها ولكن دلاليا نراها مفتقرة إلى تكملة أو سياق سابق أو لاحق، لأن فهمنا لها لا يكون إلا ثمرة من ثمرات قرينة لسانية ضمن التركيب اللغوي الذي ينتظمها داخل السورة.

وفي كل الأحوال تعتبر الوحدات الثنائية سمة واضحة في أسلوب القرآن المكي، ولا سيما سور المرحلة المكية الأولى والمتوسطة، فإنك تجد آياتها تتقاطع في أكثر من مستوى.

أما الآيات التي تشكلت من عناصر لغوية أكثر من اثنتين، فهي الطاغية في السور المكية، ولاسيما منها، السور القصيرة والمتوسطة وهو ما يمثل غالبية القرآن المكي، فأياها تميل إلى القصر، سواء كان منها ما تشكل من ثلاث وحدات، أو أربع، أو خمسة عناصر لغوية، والجامع بينها هو قصر البنية التركيبية من جهة الحجم الأسلوبي، ويتحقق هذا أكثر في السور الأولى نزولاً<sup>1</sup>، فهي مسجوعة الآيات، متقاربة الفواصل، يغلب عليها التماثل أو التقابل الذي يبلغ - في كثير من المواضع - إلى حدّ التطابق شبه الكامل في الصوت والحرف والكلمة. كما نجده في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل].

وإن أجمل ما في هذه التراكيب البسيطة والقصيرة، ذلك الاستخدام البديع للطباق والمقابلة الناتج عن البنيات المزدوجة، بحيث أنك لا تكاد تشعر بفارق ولو يسير بين أطرافها، إذ كل آية تحتوي على نفس عدد ألفاظ الآية المقابلة لها، وإذا نظرنا إلى المستوى العمودي للجملتين، تتبين لنا مفارقة أسلوبية يتضمنها الموضع الأول من كلا الجملتين:

أعطى / اتقى

بخل / استغنى

إلا أن هذه المفارقة من حيث عدد الأحرف أو الصوت، تتلاشى وتضمحل وتحول دون الإخلال بالنظام العام للتركيب والمتمثل في الانسجام البنيوي والانسجام الصوتي، إلى جانب ما حققه هذا التركيب من استقامة المعنى المراد والبعد الدلالي العميق.

وهذا التساوي في عدد العناصر المركبة للآية أو الجملة، وذلك التشابه والتماثل الدقيق لا يطرد في كل سور القرآن المكية، وإنما يبقى يمثل سمة بارزة تكاد تنعدم في السور المدنية، لأن طبيعة الموضوع هو الذي يتحكم في نسج الخطاب وتحديد شكله الأسلوبي المناسب. وإن الناظر في المفصل من القرآن، يدرك أن هناك نظاماً بنيوياً يرسم شكل الخطاب القرآني من بداية الوحي إلى نهايته؛ فقد تدرّجت الآيات في السور المكية بشكل واضح تتبين سماته من التساوي في الحجم، والتشابه في الوزن، والتلاؤم في السمع، وهي دعامات النظم القرآني في بدايات الوحي، ويبرز ذلك في السور المكية الأولى وقريب منها سور مكية في المرحلة المتوسطة من الدعوة في مكة، مثل سورة العلق، والتكوير،

<sup>1</sup> انظر: الإقناع 13/1.

والمذتر، والأعلى، والليل، والشرح، والعاديات، والتكاثر، والنجم، وعبس، والستين، والقارعة، والقيامة، والمرسلات، والبلد، والحجر، فأسلوب هذه السور ومثيلاتها في جلّ المواطن يتميز بالإيجاز الشديد، وقصر آياتها، وتجانس مقاطعها وفواصلها.

وإن الذي يؤكد أن الإيجاز أو قصر الآيات يجعل النص لحمة واحدة، هو أن الآيات تختلف فيما بينها من حيث البنية والحجم الأسلوبي، إذ أنك تجد في السورة المكية الواحدة عددا من البنى المتباينة، فتجد بنية ثلاثية العناصر، وليس هناك كبير فرق بينها وبين بنية رباعية أو خماسية، بل يكاد التطابق يجمع بين النوعين لولا بعض الاختلاف ولكن لا يؤثر في طبيعة الانسجام الأسلوبي، وآية هذا تكمن في عملية التلاوة أو الاستماع، فلو قرأت أو استمعت إلى بنيات ثلاثية ورباعية في آن واحد، فإتاك لا تشعر تماما بأي تفاوت في الطول إلى حد اعتبارهما أنهما بمترة واحدة. ويمثل ذلك بوضوح آيات من سورة النجم: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46)﴾ .

ما يلاحظ في تقارب هذه الآيات-رغم اختلافها بنيويا- هو ظاهرة التماثل التي تغلب على نهايات البنى التركيبية، جاعلة الأسلوب القرآني ينساب انسيابا طبيعيا دون تعثر أو استثقال أو اضطراب، وإنما هو تلاحق نغمي يساير الموضوع أو الفكرة؛ والذي ساهم في تحقيق ذلك كله هو قصر الآيات وتقابل الوحدات في كثير من المواضع وإن اختلفت البنيات التركيبية في حجمها الأسلوبي.

إلى هنا وبعد استقصاء أنواع الوحدات القصيرة ضمن السور المكية من الثنائية إلى السباعية، يتبين لنا جليا أن الذي يغلب على آيات السور المكية في غالبها الأعم هو طابع البساطة والقصر في تراكيب جملها، وبعبارة أوضح، أن الذي يوحد بين وحداتها هو سمة الإيجاز، ولا يخفى على أيّ بليغ "مقدار الشحنة البلاغية التي تتجسد في الإيجاز، فالتعبير الموفق القادر على إيصال مضمونه إلى المتلقي بأقصر وقت ممكن وبأقل كمية من الألفاظ، يستطيع أن يحدث تأثيرا نفسيا لا يستهان به"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سمر أبو حمدان، البلاغية في البلاغة العربية، ص 129.

ولهذا المعنى جاء قسم القرآن المكي قصيرا موجزا في معظمه، وهذا القصر ملحوظ فيه القوة والجزم، بما يلقي في نفس السامع من جدية الموقف الحاسم وخطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأني<sup>1</sup>. وملاك الإيجاز غزارة المعاني ووضوحها في الذهن، وطواعية الألفاظ ومرونتها في اللسان<sup>2</sup>. والإيجاز "أصل في اللغة العربية لأنها لغة أمة صافية الذهن دقيقة الحس سريعة الفهم تشعر بقوة وتفهم بقوة، وقوة الروح والقلب، وقوة العقل والإدراك تلازمهما قوة اللسان والقلم أي البلاغة"<sup>3</sup>؛ لذلك يمكن القول أن الإيجاز هو مظهر رقي المخاطب من جهة، ومظهر بلاغة ورقي الخطاب من جهة ثانية، فقد كان حال المخاطبين-وهم أهل مكة- يقتضي مقالا مناسبا، فمن أساليبيهم، أسلوب الإيجاز الذي كان العرب يستحسنونه في كلامهم ويفضلونه على غيره من أنواع الأساليب حتى أنهم جعلوا البلاغة معادلة للإيجاز<sup>4</sup>.

فقد استخدم القرآن أسلوب الإيجاز في مكّي السور ومدنيها ولكن لم يحضر بكثافة وتواتر نسي كما يظهر في القسم المكي من القرآن، إذ أن مقتضى الحال- في مكة- في المرحلة الأولى من الدعوة النبوية، كان يوافق من الكلام موجزه، ومن الخطاب أقصره. والقرآن- بذلك- قد أولى اعتبارا كبيرا لرعاية أحوال المخاطبين، فسلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه، حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات، صغيرة السور، لأنهم كانوا أهل فصاحة ولسن، صناعتهم الكلام، واهتمامهم البيان، فيناسبهم الإيجاز والإقلال دون الإسهاب والإطناب<sup>5</sup>، فلا بدع أن يخاطبهم القرآن بالقصر في سورته وآياته، "رعاية لحق قانون البلاغة والبيان، في خطاب الذكي النابه، بغير ما يخاطب به من كان دونه"<sup>6</sup>. ولأجل هذا، ترى البلاغيين قد ربطوا بين القول الإبداعي وحالة النفس وذهبوا إلى أن بلاغة الكلام ترتبط بمدى مطابقة هذا الكلام لحال الخطاب<sup>7</sup>.

ومع أن القرآن إلى جانب ذلك قد راعى الناحية الفنية الجمالية في توجيه الخطاب، فيكون- إذا- حضور الإيجاز في السور المكية لنوعين من الاعتبارات:

<sup>1</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البيان للقرآن الكريم، 79/1.

<sup>2</sup> أحمد حسن الزيات، "البلاغة بين الإيجاز والإطناب"، مجلة الأزهر، ج2، السنة السادسة والثلاثون، صفر 1384هـ / جوان 1964م، ص130.

<sup>3</sup> نفس المكان.

<sup>4</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، 98/1.

<sup>5</sup> الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 196/1.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، 210/1.

<sup>7</sup> سمير أبو حمدان، المرجع السابق، ص 129.



النوع الأول: اعتبارات لسانية محضة تعتمد على معطيات صوتية ودلالية باعتماد على أدوات أسلوبية في تقطيع الكلام كالازدواج والسجع أو التقريب بين الفواصل والتماثل والتقابل، إذ أن كل ذلك يعتمد في تحقيقه على كل تركيب مفيد مؤلف من أقل ما يمكن من الألفاظ لكن يشتمل حتما على جملتين للتمكن من تحقيق مطابقة شكلية تجمع بين عنصرين من عناصره جميعا لا يظهر فيه التكلف وينتهي عادة بعد فاصلتين.

النوع الثاني: اعتبارات خارجة عن اللسان وتمثل في الظروف المحيطة بالكلام أيّ محيطه الخارجي الذي يتغير بتغير الغايات التي سيق من أجلها الكلام، وهذا يتمّ ابتداء من الألفاظ مع مراعاة المعنى، ويمكن اعتباره معيارا يعرف به فنية الكلام أو عدمها.

وبهذا يمكن القول، أن الكلام الموجز هو ما كان قادرا على تحقيق غرضه، بحيث "يحافظ على مقدار من النشاط النفسي عند المتلقي، على الأقل فهو لا يبعث على الملل الذي يؤدي، غالبا، إلى انقطاع الصلة بين المتلقي من جهة والنص من جهة أخرى"<sup>1</sup>، إضافة إلى ذلك، يجدر التركيز على ناحية دقيقة في قوة الإيجاز وبلاغته ألا وهو التكثيف، ولا شيء يعوض كثرة الكلام والإسهاب فيه مثل التكثيف، "لأنه لا معنى للإيجاز إلا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وإذا لم يجعله وصفا للفظ من أجل معناه أبطلت معناه أعني أبطلت معنى الإيجاز"<sup>2</sup>. كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، فهذه الآية الموجزة والمكثّرة من مفردات أربع حوت كلّ شيء على هذه الأرض من بشر وحيوان ونبات وجماد، كما حوت الأمر بتصيير الخلق وتحديد وجهة سيره، إنه تعبير مكثف نستمدّه من الكتاب المبين، وهو استعاض عن كثرة الألفاظ بالتكثيف في معاني الكلمات ودلالاتها<sup>3</sup>. وهذا ما يتطلب من المتلقي أن يكون سريع البديهة، طويل الباع في ميادين الفصاحة والبيان فقد "يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عن ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحّة دالة"<sup>4</sup>.

وكان هذا شأن قريش في تلك الخصائص والمزايا، وإن أسلوب القرآن في الإيجاز اختيار أسلوب من لدن الحكيم الخبير، لما في التعبير الموجز من مزايا يقتضيها المقام وتقتضيها مرحلة الدعوة في مكّة، التي تتطلب الإقناع وتصحيح العقائد، ولكن بأسلوب يفني بالغرض من خلال الإقلال من الألفاظ

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 129.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - وحدة رغبة، 1991، ص 413.

<sup>3</sup> سمير أبو حمدان، المرجع السابق، ص 130.

<sup>4</sup> المراد، الكامل في اللغة والأدب، مراجعة وشرح وتصحيح: لجنة من الأدباء بإشراف الناشر، د.ط، بيروت، مؤسسة المعارف، د.ت، 17/1.



والتكثيف في المعنى، في مستوى من التعبير هو أقرب إلى النفس وأبلغ تأثيراً عليها، فهو يندغم فيها ويعلق على جوانبها بحيث يعود من الصعب إزالته من الذاكرة، وتكون النفس قد هضمت له لأنه موجز ولأنه بليغ، وهي لا تتخلى عنه بيسر<sup>1</sup>.

ومن ذلك، كان الإيجاز أحد مظاهر إعجاز القرآن البيانية، مما حدا ببعض البلاغيين وعلماء القرآن، إلى النظر إلى هذه الظاهرة من زاوية كونه الشيء الأساس والرئيس في التعبير البلاغي في القرآن الدال على سمو بلاغة الخطاب من جهة، وذكاء وألمعية المتلقي من جهة أخرى، ولاسيما إذا اقتضى المقام أسلوب الإيجاز والاختصار، فسيكون ثمة الخطاب الموجز هو عين الحكمة في توصيل وإبلاغ المعاني والأغراض المقصودة من الخطاب، وبمعنى أوضح أنه "إذا كان طريقان يوصل كل منهما إلى المقصود على سواء في السهولة إلا أن أحدهما أخصر وأقرب من الآخر، فلا بد أن يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى المقصد"<sup>2</sup>، وهذا المنحى هو نفسه ما يذهب إليه الرماني ضمن شرحه لوجوه الإيجاز، ومنه سلوك الطريق الأقرب دون الأبعد<sup>3</sup>، مراعيًا في ذلك المقام ومقتضى الحال في التعبير الأسلوبى، بقوله: "فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعا يكون به أولى من الآخر، لأن الحاجة إليه أشد، والاهتمام به أعظم"<sup>4</sup>.

وبهذا فإن من أولويات التعبير القرآني في العهد المكّي الإيجاز الذي يضيف على الأسلوب القرآني الرشاقة والحركة ويمدّه بالحياة والقوة، فيكون له أبلغ الوقع وأقوى الأثر في نفس السامع وعماده قصر الفقرات و الجمل بغية التأثير في المتلقي وطرح الفضول والاستغناء عن ذكر كل ما يمكن "فهمه من سياق الكلام وعدم الخوض في تفاصيل الأمور، والاجتزاء بالإشارة العابرة واللمحة السريعة، وتجنب الترداد والحشو وإطالة الجملة"<sup>5</sup>. لذا، فقد كانت الآيات إجمالاً قصيرة في جميع أجزاء السورة المكّية، متناسبة في قصرها مع سرعة الانتقال في تصوير الحركات، أو مع إيجاز الأفكار، ومقتصرة على العناصر الأساسية للجملة، خالية من الزوائد خلو الأفكار والمشاهد من التفصيلات، متناسبة في تنوعها وانتقالاتها مع تنوع الموضوع<sup>6</sup>. وإنّ التعبير عن حقائق شاملة مثل تلك التي تشربتها ألفاظ

<sup>1</sup> سمير أبو حمدان، للرجع السابق، ص 129.

<sup>2</sup> ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 214.

<sup>3</sup> الرماني، النكت في الإعجاز القرآني ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 79.

<sup>4</sup> نفس المكان.

<sup>5</sup> إحسان النصر، الخطابة العربية في عصرها الذهبي، ط2، مصر، دار المعارف، دت، ص 196.

<sup>6</sup> محمد المبارك، دراسة أدبية لنصوص من القرآن، ص 21.

القرآن الكريم في تعبير وجيز إلى ذلك الحد ليس في تناول القدرة البشرية، ولذلك كانت من خصائص القرآن في بلوغ أشمل المعاني وأبعدها تصورا في الخواطر والأذهان، بحيث لا يبقى لأحد الأمل في إحراز أقل منها لفظا ولا أكثر منها معنى فهي حقائق عليا في شكلها ومضمونها، لذلك نجد في القرآن تعجب وتنفع في آن واحد.

## 2- الآيات الطويلة ذات التركيب البسيط

الذي يقلب نظره في مستويات السور المكيّة من حيث الطول والقصر، يجد سورا تتصف بالطول بوجه عام آيات وسورا "وإن كان الأغلب عليها طول السور دون الآيات، وهذا الطول نفسه-حيثما يلاحظ- ليس شيئا ذا بال إذا قيس بعدد الآيات في السور المدنية أو بعدد الألفاظ في الآية المدنية الواحدة، ولكنه بلا ريب يُعدُّ طولا بالنسبة إلى ما يتوقعه القارئ في جميع المراحل المكيّة من تناسق القرآن مع ما يرغبه فصحاء مكة من إيجاز التعبير تعويلا على الإشارة الخفيّة أو الإيماء البارة المحكمة"<sup>1</sup>.

فطول الآيات في السور المكيّة، طول نسبي بالقياس إلى قصر الآيات الذي تميّزت به أغلب السور المكيّة- كما سبق القول- بل لا تكاد تخلو منه سورة واحدة، ويبرز هذا الطول النسبي في عدة سور هي: الأنعام، والأعراف، والدخان، وإبراهيم، والقصص، والكهف، والحج، والعنكبوت. فهذه السور امتازت بطول آياتها، وأن الجامع بين هذه السور، هو أنها نزلت في المرحلة الختامية من القرآن المكي<sup>2</sup>، باعتبارها "مرحلة انتقالية تتوسط بسورها الطوال وحي مكة الذي تم نزوله ووحى المدينة الذي سيتعاقب على ما يجيء من الوقائع بعد الهجرة"<sup>3</sup>.

والذي يؤكد خطى القرآن المتدرجة المراعية للمكان والزمان والفكرة، هو مسابرة حركته للدعوة الإسلامية التي تميّزت-بالنظر إلى مضمون السور-بحركة تصاعدية ومتنامية، تتجلى خطوطها البيانية على مستوى النص القرآني فكرة وأسلوبا، لذلك، فإن السور المكيّة من أولها إلى آخرها، وإن بدت سمات المكي واضحة عليها، إلا أنها تتفاوتت تفاوتاً يسيراً فكرة وأسلوباً، حتى لتبدو كل زمرة منها بل كل سورة منها، وحدة فكرية إيقاعية قائمة بذاتها فكانت سور المرحلة الختامية للوحي في

<sup>1</sup> صححي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص 209.

<sup>2</sup> انظر: الإتيان 14/1، والزرکشي، الرهان 193/1.

<sup>3</sup> صححي صالح، المرجع السابق، ص 230.

مكة قد بدأت تجنح إلى الطول النسبي تبعاً للمواضيع أو القضايا التي تناولها القرآن والأسلوب الذي يوافقها، كالذي يلقانا في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ / مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا / وَمَا نَرَاكَ إِلَّا الْبَعَثَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئَانِي الرُّأْيَى / وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ / بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (27) [هود].

هذه آية واحدة تتألف من عدة جمل قصيرة بسيطة يتصل بعضها ببعض، فيتألف منها جملة طويلة، ولكنها بسيطة التركيب غير متداخلة العناصر. وتجد مثل ذلك في سورة النحل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ / لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا / وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا / وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ / وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ / وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (14) [النحل].

هي ست جمل في آية واحدة، وكلها بنيات تركيبية قصيرة وبسيطة، تتشكل كل بنية منها من عناصر لغوية قليلة، فمنها ما هو ثلاثي العناصر أو رباعي أو خماسي؛ لتكون كل بنية جملة تامة العناصر وافية الدلالة، فالآية السالفة يمكن توضيح التركيب النحوي لجملة الست كالآتي:

1- مبتدأ + خبر + (صلة الموصول).

2- لام التعليل + فعل مضارع + جار ومجرور + مفعول به + صفة.

3- فعل + جار ومجرور + مفعول به + جملة فعلية في محل نصب صفة.

4- فعل مضارع + مفعول به + حال + جار ومجرور.

5- لام تعليل + فعل مضارع + جار ومجرور + ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

6- حرف ترجح + ضمير في محل نصب اسمها + فعل مضارع مرفوع + فاعل + مفعول به

محذوف .

والملاحظ من خلال هذه التراكيب البسيطة، أن الرابط الذي يربط الفقرات القصيرة في الآية هما لام التعليل وحرف العطف ( الواو )، وأن الناظر إليها من المستوى الأفقي، ليرى أن الرابط بينها هو لفظ (البحر) الذي يعتبر محورا رئيسيا من الوجهة الدلالية تدور حوله البنيات التركيبية في الآية الكريمة، علاوة على ذلك، يجب التنبيه إلى ظاهرة أسلوبية يمكن تلمسها في السور المكية الطويلة والتي تتضمن آيات طويلة، وهي اختفاء التقابل أو التماثل بين وحدات الجمل، لأنه كلما طالت وحدات الآيات يقلّ التقابل التام أو ما يشبه التام بين أجزائها كما يتحقق في وحدات الآيات القصيرة، إلا أن البنيات لا تفقد حيويتها وديناميكيته بسبب طول الآيات، إذ أنها تعتبر وحدات قصيرة داخل آية

طويلة، فهي بذلك لا تعدم تقابلا بديلا، كتوفر كل وحدة على فعل، ليحدث الحركة المطلوبة. ومعنى ذلك، أن قصر الجمل يبقى الطابع الأسلوبى الذي يميّز القرآن المكي وإن طالت سوره وآياته.

وتتضح هذه المفارقة الأسلوبية بوضوح أكثر، في حال المقارنة بين الآية الطويلة في القرآن المكي وبين الآية أو الجملة الطويلة في القرآن المدني، والحاصل من ذلك، هو أنه لا يمكن تقسيم الآية المدنية إلى فقر منفصلة، لأنها متشابكة العناصر-غالبا-، لا ينفصل أولها عن آخرها، ولا يفهم معناها إلا إذا قرئت كلها جملة واحدة، فقد يكون المبتدأ في أولها والخبر في آخرها أو العكس مع تعدد العناصر المعطوف بعضها على بعض، وقد يطول كثيرا حتى لا يكاد القارئ يفهم جملة المعنى إلا بعد التأمل المتعمق وقد يكون ذلك في عدة آيات تتألف منها جملة واحدة وفكرة واحدة تتخللها جملة اعتراضية تطول أيضا. وذلك كله يوافق الأسلوب المسهب الذي يعتمد على الإطناب الذي يناسب التعبير عن أمور متعددة الجوانب، متشعبة الفكرة والمعنى، حيث لا تكفى اللمحة الدالة، أو المعنى المقتضب الذي لا يفى بالغرض والدلالة. ويمكن التذليل على ذلك من السور المكية ذاتها، إذ أن هناك سورا مكية تضمنت آيات مدنية واضحة الملمح الأسلوبى من حيث نمط تركيبها وبنائها، كالذي يدركه القارئ في آخر آية من سورة المزمل في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

هذه الآية عند علماء القرآن لا تُعد من مكيّة السورة، ويصنّفونها من جملة ما استثنى من السور المكية ويلحق بالمدني، كصاحب الكشاف الذي يرى في تفسيره لسورة المزمل، على أنها مكية إلا آيات ومنها الآية العشرون فمدنية<sup>1</sup>، وذكر ذلك صاحب الإتيان في فصل بين فيه ما استثنى من قسمي القرآن المكي والمدني<sup>2</sup> ذاهبا إلى أن الآية الأخيرة قد نزلت بعدما نزلت الآيات التي قبلها من السورة بسنة، استنادا إلى بعض الروايات في ذلك<sup>3</sup>، إلا أن محمد الطاهر بن عاشور فيرجح مدنيّتها

<sup>1</sup> الكشاف/4/634.

<sup>2</sup> الإتيان 1/19.

<sup>3</sup> نفس المكان.

بقوله: "فالظاهر أن الأصح أن نزول "إن ربك يعلم" إلى آخر السورة نزل بالمدينة لقوله تعالى "وآخرون يقاتلون في سبيل الله" إن لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة"<sup>1</sup>.

وإذا نُظر إلى الآية الأخيرة الطويلة التي تمثل شطر السورة الثاني من حيث بناؤها الأسلوبية، تبدو سمات الأسلوب المدني في أغلبه، فأياته تتميز بالطول بحيث أنه لا يمكن تقسيم الآية إلى فقر منفصلة، لأنها متشابكة العناصر لا ينفصل أولها من آخرها، ولا يفهم معناها إلا إذا قرئت كلها جملة واحدة وفكرة واحدة، فقد يكون المبتدأ في أولها والخير في آخرها أو العكس مع تعدد العناصر المعطوف بعضها على بعض، وقد يطول كثيرا حتى لا يكاد القارئ يفهم جملة المعنى إلا بعد التأمل المتمهل، وقد يكون ذلك في عدة آيات تتألف منها جملة واحدة تتخللها في كثير من المواضع جمل اعتراضية تطول أيضا، فهذا الطول وهذا الإطناب هو بلاغة في مقام الإسهاب وتفصيل الأحكام.

وأما ما يوضح أو يبين تميز شطر السورة الثاني والمتمثل في الآية الأخيرة من سورة المزمل، هو الإيقاع الموسيقي الواحد، واتحاد الفواصل في اللام المطلقة الممدودة من بداية السورة، أما هذه الآية فذات نسق خاص؛ فهي طويلة وموسيقاها متموجة عريضة، وفيها هدوء واستقرار، وقافية تناسب هذا الاستقرار؛ وهي الميم وقبلها مد بالياء: "غفور رحيم". علاوة على ذلك، تلك المفارقة الأسلوبية بين الآية الأخيرة وبين آيات شطر السورة الأولى، فلا تقارب بين الوحدات ولا تساوي بين أطرافها، وكذا انعدام التقابل واختفاء التماثل سواء ما كان بينها وبين الآيات السابقة لها، أو بين وحدات الآية في نفسها.

وعليه فإن الذي يغلب شيوعه في القرآن المكّي إلى حدّ اعتباره سمة أسلوبية هو بساطة الجمل التي تتركب منها الآية الطويلة، ويعزى ذلك في كثير من المواضع إلى الطابع القصصي الذي يكثر فيه الحوار أو الوصف أو السرد وهو شكل أسلوبية شغل حيزا كبيرا من التعبير القرآني في السور المكّية. كما يمكن القول أن البنى التركيبية في القرآن الكريم مطواعة للمعاني، مسابرة لها، متماشية مع أبعادها، وإن طول الفواصل في الآيات داخل السور المكّية التي أعقبت المرحلة الأولى من الدعوة يبين جليا أن قضايا القرآن المكّي وإن كانت لا تزال هي المحور الموضوعي في جميع السور المكّية، إلا أن الاختلاف بينها كان في ناحية البسط والسعة، ولم يعد يعتمد - في كثير من السور الطويلة - على البنى القصيرة، ولا على الإيقاع السريع، ولا على التماثل أو التقابل في الفواصل كما كان الأمر في أسلوب

<sup>1</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء التاسع والعشرون، ص 253.

السور التي تتركت في بداية عهد بالدعوة، ولكن يبقى جمال النص يستمد متعته من خصائص لغوية أخرى، كالتقدم والتأخير، وأساليب الإنشاء كالاستفهام، والنداء، والقسم، والتمني، وغيرها من الأساليب اللغوية التي تمد النص بجموية حركية إما على مستوى التركيب أو على مستوى الدلالة.

فبساطة التركيب والجمل القصيرة التي تتركب منها الآية الطويلة، هي سمات نظم الآيات في السور المكية الطويلة، إذا كان طول السورة وطول الآية هو من السمات الغالبة في القرآن المدني، ويُعزى ذلك إلى اختلاف المخاطبين؛ إذ أن من المخاطبين في العهد المدني أهل الكتاب الذين "درجوا على ألا يستفيدوا إلا بالتطويل، ولا يقنعوا إلا ببسط الكلام"<sup>1</sup>. كما تجدر الإشارة إلى أن السور المكية الطويلة لا تخلو من الآيات القصيرة التي تتخلل السورة الواحدة، وذلك يكون تبعاً للمعنى أو ما يقتضيه السياق، ويتجلى هذا في كثير من السور الطويلة، كما في قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي/ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا/ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا/ وَغَرَّبْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا/ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ/ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [130]. هذه آية واحدة ذات جمل قصيرة، وتعبها آية قصيرة لإثبات الحجّة على القوم الكافرين الذين أنذروا ولكن كذبوا وتولّوا فلقوا ما يوعدون: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (131)، فهي جملة واحدة متصل من حيث الدلالة بالتي قبلها، وتستمر الآيات على هذا المنوال في جميع السورة، وعماد ذلك كله، المعنى، أو السياق القرآني الآخذ بزمام الخطاب القرآني وإليه يرجع تباين الآيات في الطول والقصر في السورة الواحدة، أو حتى في عموم القرآن كله، ولذلك يمكن القول، إنه كلما طالت الآيات أو تباينت في النص الواحد، يقلّ أو ينعدم التوازن بين أطراف البنى التركيبية، إلا أن ذلك الطول الذي اتّصفت به الآيات لا يجعلها مُسْتَقْلَلَةً؛ إذ هي تتركب من جمل بسيطة وقصيرة تكاد تكون- في أغلب المواضع- متساوية الوحدات النبوية- كما في الآيات السالفة- ولكنها منعدمة التقابل والتماثل اللذين يشيعان بكثافة بارزة في سور المفصل، وبعض السور الطويلة نسبياً، ذات الآيات القصيرة. وإن الذي يعنى في تلاوة الآيتين السالفتين من سورة الأنعام، وفي ما يماثلها من السور المكية أو المدنية، يجد أن جميع ما يتصرف في النظم القرآني من الوجوه على حدّ واحد، في حسن النظم وبديع التأليف والرّصف، لا تفاوت فيه<sup>2</sup>، وأن تفاوت آياته في الطول والقصر هو تعدّد لوجوه الإبداع في النظم الواحد، كما أشار إلى ذلك الباقلائي

<sup>1</sup> الزرقاني، مساهم العرفان 210/1.

<sup>2</sup> الباقلائي، إعجاز القرآن، ص37.

بقوله: " وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه من وجوه الخطاب، من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍّ واحد لا يختلف"<sup>1</sup>. فالقرآن بدأ يتنزل على الرسول-صلى الله عليه وسلم- بمكة من قصار السور والآيات ثم تنزلت السور الطويلة كسورة الأنعام التي نزلت جملة واحدة، وبدأت الآيات تميل قليلاً إلى صفة الطول وكأنها تمهد لما يتنزل في العهد المدني، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته في حديثه عن الوحي، حين أشار إلى طول الآيات المدنية إذا قورنت بقصر الآيات المكيّة، قوله: "كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة... وكان آخر ما نزل بالمدينة آية الدّين، وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحي و الفلق وأمثالها. واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي والمدني من السور والآيات"<sup>2</sup>. وبذلك يشير صاحب المقدمة، إلى اعتبار الطول والقصر في الآيات معياراً في تحديد الخصائص الأسلوبية التي تساعدنا على التمييز بين المكي والمدني.

ويحاول بعض الباحثين تعليل هذا المعيار-الطول والقصر- في المكي والمدني من القرآن، فيذهب نصر حامد أبو زيد إلى القول: "والحقيقة أن هذا المعيار يمكن تدعيمه على أساسين وتفسيره بما أيضاً. الأساس الأول: هو ما سبق أن أشرنا إليه من انتقال الدعوة من مرحلة "الإنذار" إلى مرحلة "الرسالة"، الإنذار يعتمد على التأثير الذي يعتمد بدوره على لغة ذات أسلوب مركز وموقع، وهو أسلوب طاغ في قصار السور بصفة عامة، وكلها سور مكيّة، ولكنّ "الرسالة" من جهة أخرى تخاطب المتلقي وتنقل إليه محتوى أوسع، من مجرد التأثير، وهي من ثم تحتاج لغة مختلفة على مستوى التركيب والبناء... وفي "الإنذار" تكون الأولوية للتأثير"<sup>3</sup>. وذلك يعود في الأساس إلى مراعاة المتلقي وما تقتضيه طبيعة المرحلة من الدعوة، لأن بعض المفسرين من التيسر عليه الأمر بين السور المكيّة والمدنية، غافلين- كما يقول صبحي الصالح- عن العامل الزمني الذي نعتقد أنه فرض تلك المقاطع ذات الطابع المدني على سور طابعها مكي-مع أن السورة برمتها مكيّة خالصة- وفقاً لتمهيد الطريق بين يدي مراحل الوحي المدني المقبل سريعاً من وراء حجاب الغيب.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نفس المكان.

<sup>2</sup> 173/1 - 174.

<sup>3</sup> مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص 80.

<sup>4</sup> صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 230.



وهكذا نخلص من كل ما تقدم إلى أن البلاغة هنا أوجه عديدة ولا تنحصر في وجه دون وجه من أساليب الخطاب، وكذلك الشأن في آيات القرآن حين تختلف بالطول والقصر، أو الإيجاز والإطناب أو الجزالة والرقّة، أو بالترسل والانطلاق، أو بالتسجيع والتعادل، فإنه لا يقال في بعض ذلك أنه أبلغ من بعضه الآخر، وإنما جميعه على حدّ سواء من بلوغ غاية النظم المعجز.

وكذلك القرآن المكيّ حين يتصرف بين طوال السور وطوال الآيات وقصرها، لا يتفاوت فيما بينه في درجة البلاغة ولا يقال في بعضه أنه أبلغ من بعض، وإنما يقال بأن ذلك أحد وجوه الإعجاز فيه، وقد جاء كلّ على حسب مقتضيات الأحوال، من الزمن والموضوعات التي طرقتها السور المكيّة على مدار ثلاث عشرة سنة من عمر الدعوة، وإن الطول النسبي في آيات بعض السور المكيّة هو أسلوب من أساليب العهد المكيّ ومن براعة الحكمة الإلهية في مخاطبة الناس وأخذهم بالتدرّج وتنويع الخطاب لهم وقلب مفاهيمهم وتغيير عقولهم بهذه الأداة التي يعرفونها هي اللغة بألفاظها وحروفها ولكنها الصياغة الإلهية المعجزة من "تنويع ألوان التركيب وارتفاع هذا التركيب إلى هذا المستوى الذي يوازي ما تضمنه من المعاني والفكر ما لا عهد للعرب به قبل ذلك ما يجعلنا نقف أمام بلاغة جديدة و فن من القول"<sup>1</sup> يخلو من آيات لغوية درج عليها القرآن في بداية عهد بالدعوة و بعض السور المتأخرة ، من مراعاة الفواصل ، والتجانس، والتماثل والتقابل والتوازن والازدواج وغيرها من أشكال الصياغة في الجملة بمستوياتها، الصوتية، والصرفية، والتركيبية.

### ثانياً- خصائص في أساليب الجملة المركبة

الأساليب يقصد بها طرق التعبير المختلفة التي وردت في السور المكيّة من القرآن واستخدمها النحاة والبلاغيون، حيث تقوم الجملة بوظيفة دلالية محضة وتمدّ المخاطب بخبر أو بإعلام، أو بحمل معنى أو غرض يفهم من سياق التركيب.

فالذي تتجه العناية إليه في هذه الدراسة من نطاق الجملة، هو الجملة المركبة التي تتمثل في بعض الأساليب اللغوية التي تجلّت في القرآن، ولاسيّما في القسم المكيّ منه، للكشف عن أهمية النحو في ظلّ الأسلوب القرآني، وإظهار ذلك التداخل البارع بين النحو والبلاغة في أسلوب واحد لتوليد الدلالة أو المعاني الثانية من الجملة المركبة، وقد كان التركيز في الدراسة على بعض الظواهر الأسلوبية التي تواترت في حيز كبير من مساحة التعبير في السور المكيّة، لتتجه العناية إلى بيان مدى شيوعها.

<sup>1</sup> محمد المبارك، دراسة أدبية لبعض من القرآن، ص 77-78.



وإيضاح أنماطها ومعانيها ومواطن استخدامها وصولاً إلى تبيان المسلك القرآني في كل ذلك، ومحاولة لحصره ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، بغية الكشف عن أسرار الأسلوب القرآني باعتباره النموذج الأمثل الذي ينبغي أن يحتذى.

وأما الظواهر الأسلوبية التي تشملها الدراسة فهي: أسلوب الاستفهام، والقسم؛ إذ أن هذين الأسلوبين من الأساليب اللغوية التي طغت على القرآن المكي إلى حد اعتبارها سمات بارزة في الأسلوب القرآني في السور المكية، لذلك كان التركيز عليها بالدراسة دون غيرها من الأساليب الأخرى التي هي من خصائص القرآن عامة.

وإن استقطاب القرآن لهذه الأساليب البلاغية فلأن في استخدامها وتوظيفها ما يناسب مقام الرسالة في المرحلة المكية التي تستدعي أساليب الإقناع القوية بلاغياً ودلالياً في إبلاغية ما تتضمنه الرسالة التي شاء الله تعالى (المرسل) أن تكون معجزة البلاغة العربية.

### 1- أسلوب الاستفهام

إنّ حظ الاستفهام من الأساليب القرآنية كان كبيراً، فقد حفلت به السور المكية، سواء كان في بدئها أم في وسطها، أم في ختامها. وورود هذا الفيض الكثير من الاستفهام في السور المكية قد يعود أساساً إلى ما يميّز به هذا الأسلوب من خصائص بلاغية، وما يتفرّد به من فوائد معنوية، باعتبار أن الاستفهام دعامة هامة للحوار، " والحوار في القرآن الكريم قاعدة أساسية في دعوة الناس إلى الإيمان بالله وعبادته"<sup>1</sup>، كلّ ذلك من أجل أن تدخل الفكرة في وعي الإنسان بعمق، وتقتحم أفكاره بقوة، لتنتقله من ظلمات الشك والكفر والضلال، إلى نور الإيمان والتوحيد والهداية.

فكان سبيل القرآن في الدعوة إلى الحق ونبد الباطل هو الإقناع بالطرق العقلية الحكيمة، وكان الاستفهام إحدى هذه الطرق المنطقية، " من أجل إشغال الساحات بعلامات الاستفهام التي يطرحها الإسلام مع أجوبتها، ليوفّر على المتصارعين جهد البحث عن سؤال، قد لا يجدونه جاهزاً في أفكارهم، وربما يواجهون صعوبة في العثور عليه "<sup>2</sup>.

فحين يستعمل القرآن الكريم الاستفهام فإنما يريد للإنسان أن يحصل على الإقناع الذاتي المقرون "بالحجة والبرهان في إطار الحوار الهادي العميق سواء في ذلك قضايا العقيدة، وقضايا الحساب

<sup>1</sup> محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعد، أساليبه، معطياته، د.ط، عين عبيد، قسطنطينية، الجزائر، دار المنصوري للنشر، د.ت، 32/1.

<sup>2</sup> اذ جمع نفسه، 17/1.

والمسؤولية، فلكل سؤال جواب، ولكن علامة استفهام تواجه الإنسان في الطريق علامات في سر منعطف تشير إلى سواء السبيل " <sup>1</sup>.

وتنطلق دراسة هذا المبحث للجملة الاستفهامية- على اختلاف أنماطها وصورها- من رصد بنائها النحوي عن طريق إحصاء عدد جملها وتوصيفها قصد استخلاص أنظمتها، مع التركيز على المعاني البلاغية والمقاصد الأسلوبية التي يرمي إليها الاستفهام عند انزياحه عن أصل وضعه اللغوي.

### معاني الاستفهام وأنماطه في السور المكية

الاستفهام في عرف اللغويين، هو طلب معرفة اسم الشيء، أو حقيقته أو عدده، أو صفة لاحقة به <sup>2</sup>، أو هو طلب خير ما ليس عند المستخبر <sup>3</sup>. وهذا ما يعرف بالاستفهام الحقيقي الباقي على أصل وضعه، وقد ورد منه في السور المكية في مواضع عديدة غالباً ما كان مقروناً بالجواب، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (42) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ (43) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (44) ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ (45) [النازعات]. والخطاب وإن كان موجهاً إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فالمقصود بلوغه إلى مسامع المشركين فلذلك اعتُبر اعتبارَ جواب عن كلامهم وذلك مقتضى فصل الجملة عن التي قبلها شأن الجواب والسؤال <sup>4</sup>، ونفس الاستفهام تكرر في سورة الأعراف وكان الجواب ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (187).

ولكن متدبر القرآن الكريم يستشف معاني ثانية يتضمنها الاستفهام الحقيقي، كسؤال المشركين عن وقت حلول الساعة التي يتوعددهم بها النبي- صلى الله عليه وسلم- فسؤالهم يُوحى بالاستهزاء والاستخفاف لأنهم عقدوا قلوبهم على استحالة وقوع الساعة وربما ربطوا التعجيل بوقوعها وأوهموا أنفسهم وأشياعهم أن تأخر وقوعها دليل على اليأس منها، فكان استفهامهم -إذا- مستعملاً في الاستبعاد والاستحالة كناية <sup>5</sup>، وقس على ذلك كل استفهام حقيقي في القرآن المكّي فهو يُخفي مجازاً،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، 31-32.

<sup>2</sup> محمد سعيد آسر وبلال جبيدي، معجم النشام في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ط2، بيروت، دار العودة، 1985، ص94.

<sup>3</sup> ابن فارس، الصاحي في فقه اللغة، ص181.

<sup>4</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص95.

<sup>5</sup> نفس المكان.

إلا ما كان في مواضع معلومة تتعلق بما يجري من الحوار أو المسألة يوم القيامة، وله شواهد كثيرة في السور المكية.

ولكن كثيراً ما يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام؛ بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام<sup>1</sup> على سبيل المجاز البلاغي، كما ورد في كثير من مواضع الاستفهام في القرآن المكي، فقد قال بعض الأئمة؛ أن ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن وإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل<sup>2</sup>. وهو أسلوب مفضل في مقامه يؤدي المعنى بتلك الصيغة وبعبارات تتسق مع النسق العربي السليم.

فسيئنا في هذه الدراسة هو تتبع الجمل الاستفهامية التي خرجت عن أصل وضعها لمعان بلاغية ولمقاصد أسلوبية، إذ أن من خصائص التعبير القرآني في السور المكية أنه يخرج بالاستفهام من مجرد الاستعلام و الاستخبار إلى دلالات تمييزية خاصة يقصدها النظم القرآني.

وقد تواترت الجمل الاستفهامية في السور المكية بصورة تكاد تغطي على كل أسلوب من أساليب الإنشاء لما تميز به أسلوب الاستفهام من كثافة في الدلالة واستيفاء المعنى حقه من القوة والبيان.

وكما تعددت صور الاستفهام من جهة نظامها النحوي، فقد تنوعت أغراضها الأسلوبية، لذلك عمدت الدراسة إلى استقصائها وتوصيفها في جدول واحد بغية الوقوف على مدى تواترها وشيوعها، وكذا معرفة عددها عبر السور المكية كافة. وكان الاعتماد في استخراج معاني الاستفهام على بعض التفاسير التي عنتت بالجانب اللغوي والبلاغي مثل: الكشاف، وتفسير التحرير والتنوير، وأنوار التزئيل وأسرار التأويل للبيضاوي، علاوة على كتب علوم القرآن وعلوم البلاغة.

وأهم ما يلاحظ في هذا الاستقصاء أو الإحصاء لجمل الاستفهام، هو أن أكثر صيغ الاستفهام التي جاء بها القرآن غير مسبقة قبله، وأن الاستفهام كان أحياناً للتنبيه، وأحياناً للاستدلال، وأحياناً للتعجب، وأحياناً لتوجيه الأنظار إلى الكون وما فيه، وما يجري بين الناس، وأن ذلك كله مما يدعو إلى القول بعلو القرآن على مستوى ما كان عليه أكبر البلغاء وأقواهم سلطاناً في الأسلوب العربي، وذلك ما يحاول تبينه وتأكيد الجدول الآتي:

<sup>1</sup> محمد سعيد أسمر وبلال حنيد، المرجع السابق، ص 95.

<sup>2</sup> الز. كشي، المرقان 327/2.

أداة الاستفهام	مواضع الاستفهام في السور المكية	الآية	السورة	غرض الاستفهام البلاغي
أداة الاستفهام	ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً	23	يس	إنكاري
	ءَاعْتَجِمِي وَعَرَبِيٌّ	44	فصلت	إنكاري
	ءَأَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ	59	النمل	التهكم
	ءَأَلْهَتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ	58	الزخرف	التقرير
	ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ	16	الملك	إنكار وتوبيخ وتحذير
	ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا	27	النازعات	تقرير للتقريع والتوبيخ
	ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ	69	الواقعة	إنكاري
	ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ	72	الواقعة	إنكاري
	ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ	59	الواقعة	إنكاري
	ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ	64	الواقعة	إنكاري
الهمزة	أَنْذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنْتَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ	10	السجدة	
	أَنْذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ	49	الإسراء	
	أَعْدَامَاتٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا	66	مريم	إنكار وتعجب واستهزاء
	أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ	3	ق	واستبعاد وتكذيب
	أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ	47	الواقعة	
	أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ	16	الصفات	
	أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَا لَمَدِينُونَ	53	الصفات	

إنكاري	الصفات	86	أَنْفَكَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
إنكاري	القمر	25	أَوَلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ
إنكاري	النمل	61	أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
	النمل	60	أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ
	النمل	63	أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
	النمل	64	أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
	النمل	62	أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ
إنكاري تضمن التحاهن	ص	8	أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي
إنكاري	الصفات	36	أَنْتُمْ لَتَأْتُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْثُونٍ
الاستهزاء والاستبعاد والتعجب	النازعات	10، 11	أَعْيُنًا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذْ كُنَّا عِظَامًا تَخِرَّةً
إنكاري	النمل	55	أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً
إنكاري	العنكبوت	29	أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ
التعجب	هود	72	أَلَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ
تقريري للاستتطاق والاستشهاد	الفرقان	17	أَأَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ
إنكار للاستغراب والتعجب	التغابن	6	أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا
إنكاري	القمر	24	أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ
للتعجب والاستبعاد	الحجر	54	أَبَشْرُ مِثْلِي عَلَى أَنْ مَسْنِي الْكَبِيرُ
إنكاري للتوبيخ وللتقريع	الشعراء	165	أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ

الهمزة

إنكاري توبيخي	النمل	54	أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ
إنكاري	الشعراء	128	أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ
إنكاري	الأنعام	74	أَتَّخِذُوا صَنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ تَقُولُونَ
إنكار على أنفسهم وتأنيب لها	ص	63	أَتَّخِذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ
إنكاري توبيخي	الشعراء	146	أَتَّزَكُّونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ
إنكاري	الصفات	125	أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ
الحث والأمر	الفرقان	20	أَتَضِيرُونَ
إنكاري وتوبيخ	الصفات	95	أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
إنكاري وتوبيخ	هود	73	أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
توبيخ وتقرير	يونس	68	أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
إنكاري تمكيمي	يونس	18	أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
التعجب	الذاريات	53	أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ
إنكاري	يونس	51	أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ
تعجب واستبعاد ضلالهم	الأنبياء	55	أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ
إنكاري للتعسير بالتكذيب	الأحقاف	22	أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكِنَا عَنِ آمِنَاتِنَا
إنكاري	يونس	78	أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّاً وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
إنكار تعجب	ص	5	أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا
إنكاري	الزخرف	45	أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ
إنكاري للتقريع والتوبيخ	العنكبوت	02	أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا
إنكاري للتقريع والتهمك	الفرقان	15	أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ

الهمزة

توبيخ للكافرين	الصفات	62	أَذَلَّكَ حَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةٌ انزُومِ
تقريري	القصص	71	أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
التشويق و التعجيب	الماعون	1	أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ
التعجيب	العلق	-9 10	أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى
التعجيب	//	11	أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى
التعجيب	//	13	أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى
إنكاري للتعجيب	الفرقان	43	أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ
إنكار التفضيل	الإسراء	62	أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ
إنكار تعجيب	الأنعام	40	أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ
إنكاري	الأنعام	47	أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ
للتهويل والتعظيم	يونس	50	أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يُسْتَعَجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ
إنكار تعجيب	//	46	أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ
إنكار وتوبيخ	الملك	28	أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ الْأَلِيمِ
تقريري	القصص	72	أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
تقريري للتوبيخ	فصلت	52	أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ

الهمزة

			به
تقرير للتوبيخ	الأحقاف	10	أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيَّ مِثْلَهُ
تقرير	هود	28	أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ
	هود	63	أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ
	هود	88	أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْتَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
	فاطر	40	أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُفِّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إنكاري	يونس	59	أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا
إنكاري	الأحقاف	4	أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ
إنكاري	الزخرف	19	أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ
التهكم والاستخفاف	هود	87	أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا
الزجر والوعيد	المؤمنون	23	اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ
الزجر والوعيد	المؤمنون	32	اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ
الإنكار	الأعراف	140	أَغْيِرَ اللَّهُ أَلْبَسَكُمْ إِلَهًا
إنكاري	الأنعام	40	أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ
إنكاري للتكذيب	الإسراء	40	أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنْ

الهمزة



الملائكة إناثا

تعجيب مشوب بتوبيخ	النحل	45	أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
إنكاري	الأعراف	97	أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا
إنكاري	الإسراء	68	أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ
إنكاري	الأعراف	99	أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ
إنكاري	الزخرف	40	أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ
إنكاري	يونس	42	أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ
إنكاري	يونس	99	أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
إنكاري	الفرقان	43	أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا
إنكار واستبعاد	الزمر	19	أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ
إنكاري	يونس	43	أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ
الإنكار	الأنبياء	34	أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ
التوبيخ والتقريع للتفخيم والتبكي	النحل	72	أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ
إنكاري للتهديد	الصفافات	176	أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ
تعجيب من استعجالهم	الشعراء	204	أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ
إنكاري	النحل	71	أَفِنِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ
إنكاري للتوبيخ	الواقعة	81	أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ
تكذيب واستهزاء	سبأ	8	أَفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ
إنكاري	الأنبياء	66	أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ

الهمزة

إنكاري	النجم	12	أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى
إنكاري للتوبيخ والتقريع	الكهف	102	أَفْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ
تقرير وتوبيخ	المؤمنون	115	أَفْحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا
التعجيب	النجم	-33 34	أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى
التعجيب	مریم	77	أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
التقرير	الشعراء	205 - 206	أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ
التعجيب	الجنائية	23	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ
تقرير	الواقعة	68	أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ
تقرير	الواقعة	71	أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ
تقرير	الواقعة	63	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
تقرير مشوب بالتعجيب	الزمر	38	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
تقرير	الزمر	58	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ
تقرير مشوب بالتعجيب	الشعراء	75	أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ
إنكاري	الطور	15	أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ
إنكاري	ق	15	أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ
إنكاري	الأنعام	114	أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا
الإنكار و التوبيخ	النحل	52	وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ

الهمزة

أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	67	الأنبياء	الإنكار و التوبيخ
أَفَلَا تَسْمَعُونَ	71	القصص	إنكاري
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ	89	طه	توبيخ و تقريع
أَفَلَا يَعْقِلُونَ	68	يس	إنكاري
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ	60	القصص	الإنكار التوبيخي
أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ	9	العاديات	إنكاري للتهديد والوعيد
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	17	الغاشية	إنكاري
ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	3	يونس	الإنكار و التوبيخ
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	85	المؤمنون	الإنكار و التوبيخ
وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	169	الأعراف	توبيخ و تأنيب
وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ	80	الأنعام	التوبيخ
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	21	الذاريات	إنكار و توبيخ
وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ	109	يوسف	إنكار و تقريع
وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	32	الأنعام	توبيخ
وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	80	المؤمنون	الإنكار التوبيخي
إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ	51	هود	إنكار و تقريع
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	10	الأنبياء	الإنكار التوبيخي
لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ	35	يس	إنكاري للتوبيخ و التقريع

الهمزة

			أَفَلَا يَشْكُرُونَ
إنكاري للتوبيخ والتقريع	//	73	وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ
إنكار وتوبيخ	يونس	31	وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ
التوبيخ	الأعراف	65	مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ
التوبيخ	السجدة	4	مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
إنكاري للتوبيخ والتقريع	يس	62	وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ
الإنكار مع التوبيخ وشدة التقريع	الجاثية	31	أَفَلَمْ تَكُنْ عَائِيًا تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ
إنكار مشوب بالتعجب	سبأ	9	أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
إنكاري	غافر	82	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
إنكاري	الحج	46	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا
إنكاري	ق	6	أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ
إنكاري تعجبي	طه	128	أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
إنكاري	فاطر	8	أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
تقريري	الزمر	22	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ
تقريري	هود	17	أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ

الهمزة

			شاهد منه
إنكاري	السجدة	18	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا
إنكار وتوبيخ	النجم	59	أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ
تقريري	الرعد	33	أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
إنكاري	القصص	61	أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ
التقريير	الزمر	24	أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ
إنكاري للتوبيخ	التحل	17	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
إنكاري وتعجبي	الرعد	19	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
إنكاري	الملك	22	أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّئًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
إنكاري	القلم	35	أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ
إنكاري	الزخرف	5	أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
التسوية	الإنبياء	109	وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ
التسوية	الجن	25	قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ أَمْ تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا
إنكاري	يونس	2	أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ
إنكاري	النمل	84	أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا
تقريع وتوبيخ	الكهف	37	أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
			مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
التوبيخ	القمر	43	أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَادِكُمْ
إنكاري	النمل	25	أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ

الهمزة

إنكار وتعجيز	المطففين	5-4	أَلَا يَظُنُّ أُوْنَيْتُكُم مِّنْغُوثُونَ لِيَوْمِ عَظِيمٍ
تقريري	الملك	14	أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
إنكاري	يونس	91	آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ
إنكار توبيخ	النجم	21	أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى
تقريري باعتبار إلزامهم بأحد الأمرين	النمل	59	اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ
توبيخ وتقريع	يس	60	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ
تقريري للتذكير	يوسف	96	أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
	الشعراء	225	أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
	الحج	63	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
	فاطر	27	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
	الزمر	21	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
	إبراهيم	19	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
تقريري لدلائل قدرته تعالى ونعمه على عباده	الحج	18	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
	لقمان	29	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
	النحل	79	أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ
	النمل	86	أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ

### الهمزة

	لقمان	20	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ	
	نوح	15	أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا	
	الحج	70	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ	
تقرير لدلائل قدرته تعالى ونعمه على عباده	المرسلات	-25 26	أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا	
	النبأ	6	أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا	
	الإشراح	1	أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	
	البلد	8	أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ	
	المرسلات	20	أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ	
	الفرقان	45	أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ	
	التعجيب	إبراهيم	28	أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا
	التعجيب	غافر	69	أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ
تقرير لإظهار منته عنده	الشعراء	18	أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا	
التعجيب	إبراهيم	24	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً	
التقرير والتعجيب	الفيل	1	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	
التقرير والتعجيب	الفجر	6	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	
تعجيب	مریم	83	أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزًّا	
تقرير و توبيخ و تبكيت	المؤمنون	105	أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ	

الهمزة

تقريرى للتحدير والوعيد	المرسلات	16- 17	أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ
توبيخ و تهديد	التغابن	5	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
توبيخ و تهديد	إبراهيم	9	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
تقريرى للتذكير	الضحى	6	أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى
تقريرى للتذكير	الفيل	2	أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ
تقريع و توبيخ	الأعراف	148	أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا
توبيخ و تهديد	يس	31	أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ
	الأنعام	6	أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ
إنكاري	العلق	14	أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى
تقريرى	القيامة	37	أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى
العتاب و التوبيخ	الأعراف	22	وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ
التقريع و التوبيخ	الأعراف	195	أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا
تقريرى لإظهار منته عليه	التين	8	أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ
تقريرى لإظهار منته عليه	الأنعام	53	أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ
	الزمر	37	أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ
	الزمر	36	أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ
تقريرى	القيامة	40	أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى
	العنكبوت	68	أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ
تقرير و تهديد	الزخرف	79	أَمْ أَبْرَأُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ

الهمزة



الإنكار والتوبيخ والتعجب	الزخرف	16	أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ	ما جاء معطوفاً على استفهام
التعجب والإنكار	الأنبياء	21	أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ	
الإنكار	الزمر	43	أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ	
الإنكار والتوبيخ	الأنبياء	24	أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً	
الإنكار والتوبيخ	الشورى	9	أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ	
إنكار وتبكيه واستهزاء	الزخرف	21	أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُستَمْسِكُونَ	
الإنكار والتوبيخ	الإسراء	69	أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى	
الإنكار والتوبيخ	الملك	17	أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا	
الإنكار والتوبيخ	الروم	35	أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْا يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ	
التهكم والسخرية	الطور	32	أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ	
إنكاري	الفرقان	44	أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ	
الإنكار مع التهكم	القلم	46	أَمْ تَسْأَلُهُمْ	
الإنكار مع التهكم	الطور	40	أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُثْقَلُونَ	
الإنكار	المؤمنون	72	أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ	
إنكار وتهكم	الرعد	16	أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ	
إنكاري	الجاثية	21	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	

إنكاري	العنكبوت	4	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا
إنكاري	الكهف	9	أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا
إنكاري للتوبيخ	الصفات	150	أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ
إنكاري	الطور	36	أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ
تقريري + إنكاري	الطور	35	أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ
إنكاري	الطور	41	أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ
إنكاري	القلم	47	أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ
إنكاري	الطور	37	أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ
إنكاري	ص	9	أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ
إنكاري	القلم	39	أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
توبيخ	الصفات	156	أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
توبيخ	القلم	37	أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ
إنكاري	النجم	25	أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى
توبيخ	المؤمنون	69	أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
توبيخ	النجم	36-37	أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى
إنكاري	الطور	39	أَمْ لَهُ النَّبَاتُ وَالْكَمُّ الْبُنُونَ
إنكاري	الطور	43	أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

ما جاء  
معطوفا  
على  
استفهام

			يُنْتَرَكُونَ	
إنكاري	الأنبياء	43	أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا	
إنكاري مع التهكم	الطور	38	أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ	
إنكاري مع التهكم	الشورى	21	أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ	
إنكاري	القلم	41	أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ	
إنكار وتوبيخ	ص	10	أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا	
إنكاري ( يتضمن الوعد والوعيد)	ص	28	أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ	ما جاء معطوفا على استفهام
إنكاري	الزخرف	80	أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ	
تحذير وتهديد	الطور	42	أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ	
إنكار وتوبيخ	الشورى	24	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا	
توبيخ وتعجب	المؤمنون	70	أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ	
إنكاري	الطور	33	أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ	
إنكاري	الطور	30	أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ	
الإنكار والتوبيخ	القمر	44	أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ	
تبكيث وتهكم	النمل	61	أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا	
تبكيث وتهكم	النمل	60	أَمْ نَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	
الإنكار والتعجب	يونس	35	أَمْ نَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى	
التحقير والتعجيز	الملك	20	أَمْ نَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ	
التحقير والتعجيز	الملك	21	أَمْ نَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ	

إنكار وتوبيخ	الزمر	9	أَمَّنْ هُوَ قَاتِلٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ	ما جاء معطوفا على استفهام
تقرير	النمل	64	أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ	
تقرير	النمل	62	أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ	
تقرير	يونس	31	أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ	الهمزة
تقرير	النمل	63	أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	
تقرير وتوبيخ وشماتة	الأعراف	49	أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ	
تقرير وتوبيخ	سبا	40	أَهْوَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ	
التحقير والتسهمك والاستهزاء	الفرقان	41	أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا	
إنكار وتعجب	الأنبياء	36	أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ	
التقرير	الصفات	11	أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا	
التقرير مع التهديد	الدخان	37	أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَعُودَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	
الإنكار والتوبيخ والتعجب	الزخرف	32	أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ	
إنكاري	الأعراف	98	أَوْ أَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى	
إنكاري	الأعراف	69	أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ	
إنكاري	الأعراف	63	أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ	
الإنكاري والتوبيخي	مریم	67	أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ	

			ولم يكن شيئاً
إنكاري	طه	133	أَوَلَمْ تَأْتِهِمُ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى
توبيخ وتبكيث	إبراهيم	44	أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ
تقريري للتوبيخ والتقريع	فاطر	37	أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ
إنكاري للتوبيخ	الروم	8	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ
إنكاري للتوبيخ والتقريع	يس	77	أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ
التعجب والإنكار	الأنبياء	30	أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
التوبيخ	الشعراء	7	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا
إنكار وتوبيخ	الملك	19	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ
إنكار وتوبيخ	النحل	48	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ
إنكار وتوبيخ	الإسراء	99	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
إنكار وتوبيخ	الروم	37	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
إنكار وتوبيخ	الأحقاف	33	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
إنكار وتوبيخ	العنكبوت	67	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ
الإنكار والتعجب	يس	71	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا
توبيخ وتهديد	الرعد	41	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

الهمزة

			أطرافها
التقريع والتوبيخ	السجدة	27	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْحَرُّزِ
التوبيخ	العنكبوت	19	أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
الإنكار والتوبيخ مع الوعيد	غافر	21	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
	فاطر	44	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
	الروم	9	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
الإنكار والتوبيخ	الزمر	52	أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
التوبيخ	فصلت	53	أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
التوبيخ	العنكبوت	51	أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
توبيخ وتقريع	الشعراء	197	أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
الإنكار والتعجيب والتوبيخ	الأعراف	185	أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
إنكار وتوبيخ	الأعراف	100	أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا
	السجدة	26	أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ

الهمزة

التقرير	يس	81	أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ	الهمزة
توبيخي	الزمر	43	قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَّا يَمْلِكُونَ شَيْئًا	
الإنكار و التوبيخ	الأنعام	122	أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا	
	الزخرف	18	أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرٌ مُّبِينٌ	
إنكاري للتوبيخ والتقريع	القيامة	3	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ	
	القيامة	36	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى	
	البلد	7	أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ	
إنكاري	المؤمنون	55-56	أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ	
	الأعراف	191	أَيُشْرِكُونَ مَا لَّا يَخْلُقُ شَيْئًا	
إنكاري للتقريع والتوبيخ	المعارج	38	أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ	
الاستهزاء والاستبعاد	المؤمنون	35	أَيَعِدُّكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ	
إنكاري	هود	28	أَنْزَلِمَكُمْ هَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ	
الإنكار	الشعراء	111	أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْضُونَ	
إنكار و توبيخ	فاطر	3	لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ	أنى
الإنكار والتعجيب	غافر	62	لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ	
إنكاري بمعنى النفي	الأنعام	95	ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ	
الإنكار و التوبيخ	المؤمنون	89	سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ	

الإنكار بمعنى النفي	الفجر	23	يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى	أَيَّ
إنكار وتوبيخ	العنكبوت	61	وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ	
إنكار و توبيخ	يونس	34	قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ	
الاستبعاد	الدخان	13	أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ	
إنكاري	يس	66	فَاسْتَبْقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ	أَيَّ
الافتخار	مریم	73	قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا	
التقرير	الرحمن	13	فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (كررت 31 مرة في سورة الرحمن)	
التقرير	النجم	55	فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى	
الإنكار التعجبي	المرسلات	50	فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ	أَيْنَ
تعجيز وتئيس وتنبيه على الضلال	التكوير	26	فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ	
تبكيت وتوبيخ	الأعراف	37	أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	كَيْفَ
إنكار تعجبي	الأنعام	81	وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ	
التعجيز والتوبيخ	المزمل	17	فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا	
التهويل والتعجيب	القمر	16	فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (أربع مرات)	
	الرعد	32	فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ	
	غافر	5	فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ	



التهويل والتعجيب	الخج	44	فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ	كَيْفَ
	سبأ	45	فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ	
	فاطر	26	فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ	
	الملك	18	فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (مرتان)	
إنكاري	النمل	46	لَمْ تَسْتَعِظُوا بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ	مَا
توبيخ وتحذير	الصفات	87	فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ	
التفخيم والتبكيك	النبأ	2- 1	عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ	
تفخيم لشأنها وتعظيم لمقدارها	القدر	2	وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ	
تعظيم لشأنهم وتفجيه لأحوالهم	الواقعة	8	فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ	
	//	27	وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ	
تعجيب	//	41	وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ	
تهويل وتفضيع	المطففين	8	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينُ	
	المطففين	19	وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ	
تشويق وتنويه	البلد	12	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ	
إثارة للاهتمام والتعظيم	الطارق	2	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ	
للتهويل والتعظيم والفخامة والفضاعة	الحاقة	3	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ	
	الهمزة	5	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ	
	القارعة	3	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ	
	المدثر	27	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ	
	القارعة	10	وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيْبَةُ	

	الإِنْفِطَارِ	17	وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ	
للتَّهْوِيلِ والتَّعْظِيمِ والفَخَامَةِ والْفِطَاةِ	المِرْسَلَاتِ	14	وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ	
	الحَاقَّةِ	2	مَا الْحَاقَّةُ	
	القَارِعَةِ	2	مَا الْقَارِعَةُ	
النَّهْيِ للتَّوْبِيخِ والإِنْكَارِ	الانْفِطَارِ	6	مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ	
الوَعِيدِ	يُونُسَ	60	وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	
اِسْتِيعَادِ لَهَا وإِنْكَارِ لوجودها	الجاثية	32	وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ	
التَّهْكِيمِ والتَّحْقِيرِ	الفرقان	7	وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ	
تَقْرِيعِ	يس	22	وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي	ما
التَّوْبِيخِ والتَّوْبِيخِ	المدثر	49	فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ	
التَّفْجِيعِ	الكهف	49	وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا	
التَّوْبِيخِ	الانشقاق	20	فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	
تَعْجِييِ	غافر	41	مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ	
الإِنْكَارِ والتَّوْبِيخِ	يونس	32	فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ	ماذا
	يونس	48	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ	متى
اِسْتِيعَادِ لَهُ وإِسْتِهْزَاءِ بِهِ	الإِسْرَاءِ	51	فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ	
	السَّجْدَةِ	28	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ	

		صادقين	
استبعادا له واستهزاء به	النمل	71	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
	سبأ	29	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
	يس	48	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
	الملك	25	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
إنكاري	الأعراف	37	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
	يونس	17	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
	الأنعام	93	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
	الزمر	32	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ
	الروم	29	فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
من	المؤمنون	84	قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا
	تقرير للتبكي	12	قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
	الإنكار والتوبيخ	32	قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
	إنكار وتوبيخ	72	مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
	تقرير	86	قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ
		الرعد	16

تقرير	يونس	31	قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ	من
	سبأ	24	قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	
	الأنبياء	42	قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	
	الأنعام	63	قُلْ مَنْ يُنحِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	
تقرير	الملك	3	فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ	هل
الأمر	الأنبياء	80	فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ	
الأمر	الأنبياء	108	فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	
توبيخ و تقرير	إبراهيم	21	فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ	
اللوم على خذلائهم وتقصيرهم	غافر	47	فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا نَصِيْبًا مِنَ النَّارِ	
النفى	الحاقة	8	فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ	
النفى	النحل	35	فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ	
التمني	الأعراف	53	فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا	
التوبيخ	الأعراف	44	فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا	
إنكاري بمعنى النفي والتهكم	يونس	102	فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ	
إنكاري	فاطر	43	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ	
إنكاري	الأحقاف	35	فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ	
إنكاري تهكمي	الحج	15	فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ	
توبيخ وتبكي	الشعراء	72	قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ	
إنكاري مشهور بالتعجب	الإسراء	93	هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا	

التشويق والتفخيم	البروج	17	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
التمني وإظهار الحسنة والندم	غافر	40	هَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ
	الشورى	44	هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ
التعجيب (لأنه نبا عجيب)	ص	21	وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ
للتشويق والتشويق	طه	9	وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ
	طه	10	وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ
التشويق والتفخيم	الغاشية	1	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ
التشويق والتفخيم	الذاريات	24	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ
التشويق والتفخيم	النازعات	15	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ
للتقرير	الإنسان	1	هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ
	الشعراء	221	هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ
إنكارى بمعنى النفي	يونس	52	هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ
إنكارى	النمل	90	هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
إنكارى	مريم	98	هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْتًا
تقرير و تعجيب	المطففين	36	هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
النفي	الرحمن	60	هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
تقريرى	الفجر	5	هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ
إنكارى	الروم	28	هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ
إنكارى	فاطر	3	هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

هل

هل من شر كانكم من يفعل من ذلكم من شيء	40	الروم	إنكار توبيخ وتقرير
هل من شر كانكم من يهدي إلى الحق	35	يونس	إنكار توبيخ وتقرير
هل نذلكم على رجل يبتئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد	7	سبأ	السخرية والاستهزاء
هل تبتئكم بالأخسرين أعمالاً	103	الكهف	عرض تمكيم
هل هذا إلا بشر مثلكم	3	الأنبياء	إنكاري
هل هن كاشفات ضره	38	الزمر	توبيخ وتبكيه
هل هن ممسكات رحمته	38	الزمر	توبيخ وتبكيه
هل يجزون إلا ما كانوا يعملون	33	سبأ	إنكاري بمعنى النفي
هل يستوي الأعمى والبصير	16	الرعد	النفي
هل تستوي الظلمات والنور	16	الرعد	النفي
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	9	الزمر	النفي
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم	76	النحل	للتوبيخ
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم	76	النحل	إنكاري
هل يسمعونكم إذ تدعون	72	الشعراء	إنكاري
هل ينصرونكم أو ينتصرون	93	الشعراء	إنكاري
هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة	158	الأنعام	تقرير وتوبيخ
هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة	33	النحل	تقرير وتوبيخ
هل ينظرون إلا تأويله	53	الأعراف	الإنكار بمعنى النفي
هل يهلك إلا القوم الظالمون	47	الأنعام	إنكاري

هل

إنكاري تحمسي وفيه معنى التعجيز والتوبيخ	الأنعام	148	قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا	هل
إنكاري + تفرير وتوبيخ	الأنعام	50	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفْلا تَتَفَكَّرُونَ	
تفرير وتوبيخ	الزخرف	66	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	
إنكار وتوبيخ	هود	24	مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا	
أمر وإلزام	هود	14	فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	
الحث والأمر	الشعراء	39	وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ	
الحث والترغيب	القمر	51	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ	
	القمر	15	وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ	
	القمر	17	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ	
إنكاري	سبأ	17	وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ	
إنكاري	مريم	65	فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا	
التشويق	طه	120	فَقَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى	
إنكار توبيخ وتفرير	يونس	34	هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ	

هذا ما حاول الإحصاء أو الاستقصاء حصره من جملة أنواع الاستفهامات الماثرة في السور المكية والتي وردت في فواتحها، وأوسطها، وخواتمها، فتارة يقل أو يكرر، وأحيانا يتجمع ويتسالى، وأحيانا يتفرق بين الآيات، وفي ذلك كله مراعاة، تقتضيه المواقف، وتتطلبه مقامات المخاطبين، وإن ظهور أسلوب الاستفهام في القرآن المكي أكثر منه في المدني بنسبة الثلثين؛ وذلك يعزى إلى طبيعة

الدعوة المكيّة ومرتكزاتها في تبليغ الحق ومحو شوائب الباطل المترسخة في العقل الجاهلي لحقبة ضويصة من الزمن، وإذ أن المكيّ من القرآن يشتمل على أصول الدين، وهي توحيد الله، والإيمان به وبسنة واليوم الآخر، وينفّر من عبادة الأصنام ومن الرذيلة ويحبّب إلى الجنّة ويشوّق إليها، ويهدد بالنار ويخوّف منها؛ لذلك كان من المناسب لمقامه أن يزخر بالأساليب النائرة المؤثرة، وهل هناك من الأساليب ما هو كالاستفهام احتواء على أنواع الشعور وألوان الانفعال من تعجب وتقبيح وتوبيخ وتبكيك وزجر وردع، وتشويق وتخويف؟ وإن الناظر في سياقات الاستفهام، ليجد أن أغلبها محصور في دائرة العقيدة بكلّ أساسياتها.

وقد تفتّن القرآن في أساليب الاستفهام إلى حدّ يصعب حصر معانيه البلاغية أو دلالاته المقصودة، وإنما يمكن القول، أن إدراك المقصود من الاستفهام ليس له حدّ قاطع وليس يدخل في تقسيمات وتفريقات، أو يُحجّر في قوالب أو قواعد، فذلك بعيد عن روح الاستفهام والبلاغة جملة وتفصيلاً، وأن المعوّل عليه في استشفاف المقاصد الدلالية من وراء الاستفهام، هو الذوق السليم، والحسّ المرهف لأساليب اللغة العربية، وما اختلاف البلاغيين أو المفسرين في بعض أساليب الاستفهام من حيث معانيها المجازية إلا دليل على أن المعاني الثابتة للأساليب البلاغية أو اللغوية لا تخضع لقواعد متصلة أو ضوابط معيارية، وإنما يحددها السياق أو الموقف الذي يمليه الخطاب.

وكما هو ملاحظ في الجدول السابق<sup>1</sup>، فإن معاني الاستفهام المجازية قد كثرت وتنوّعت إلى حدّ أنّها شملت كلّ أساليب الاستفهام في لغة العرب، بل إلى إمكانية القول أنّها فاقتها أسلوباً وإبداعاً. فكان منه الإنكاري، والتقرير، والتوبيخي، والتهمّكي، ومنه ما كان للتهويل والتعظيم، والتعجيب والاستبعاد، والتئيس، والتعجيز، والتنبيه على الضلال، والسخرية والاستهزاء، والتبكيك، والتجاهل، والتحذير، والوعيد، والتهديد والتذكير، والحث والأمر، والترغيب والتشويق، والتفخيم والتحقير، والتفجّع، والتسوية، والنفي، والنهي.. وإن الذي يدقّق أكثر في أغراض الاستفهام في القرآن المكيّ ليرى إبداعاً واضحاً في أساليب الاستفهام بحيث يحتمل أكثر من معنى.

وقد كان للاستفهام الإنكاري النسبة الأكثر من جملة الاستفهامات؛ فإنه ممّا لا شكّ فيه أن النفي المجرّد والنفي بطريق الاستفهام كلاهما يدلّ على أصل النفي، ولكن النفي بطريق الاستفهام أقوى دلالة في معنى النفي، " لأن النفي بالاستفهام فيه معنى أن المخاطب سبق إلى النفي، فكان النفي

<sup>1</sup> إن أغراض أو دلالات الاستفهام التي ذُكرت في الجدول السابق، مستقاة من مختلف التفسير ولاسيما منها، تلك القائمة على المنهج اللغوي والجمالي.



من القائل، والإقرار به من المخاطب" <sup>1</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (148) [الأنعام]، إذ معنى الجملة؛ أنكم لستم على شيء من العلم، ويكون بذلك الاستفهام الإنكاري قد نفي عنهم أدنى ما يقال له علم <sup>2</sup>، ليحتجوا به على ما زعموه من الكذب والافتراء على الله.

وهناك إنكار يقال له إنكار الواقع، ويكون في التوبيخ على أنه لا أصل له، كما في قوله الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: 32]، فالنفي بصيغة هذا الاستفهام فيه مبالغة لأن فيه إشارة إلى أنه لا يسوغ لعاقل أن يكون منه ذلك التحريم، ومؤدى هذا الكلام أن الإنكار إذا كان نفيًا لوقوع أمر، فمؤداه أن الأمر لا يقع ولا يعقل أن يقع، فهو نفي مؤكد. "إذ هو ليس نفيًا للفعل فقط، بل هو نفي له مع بيان أنه لا ينبغي ولا يجوز أن يقع وإذا كان الفعل قد وقع فهو توبيخ على الوقوع واستنكارا له: فإن فيه حمل الفاعل على الإقرار بالنفي أو إثبات ما أوجب التوبيخ" <sup>3</sup>.

ومن إبداع القرآن في أسلوب الاستفهام الإنكاري، تضمينه أسلوب التلميح والتعريض أحيانًا في مواضع كثيرة من القرآن المكي، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِی اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (28) [الملك]، هو سؤال يردّهم إلى تدبّر حاشم، والتفكير في شأنهم وهو الأولى، لا يقول لهم: فمن يجيركم من عذاب أليم؟ ولا ينصّ على أنهم كافرون إنما يلوح لهم بالعذاب الذي ينتظر الكافرين، (فمن يجير... ) وهو أسلوب في الدعوة حكيم، يخوفهم من ناحية، ويدع لهم فرصة للتراجع عن موقفهم من ناحية، فلو جابههم بأنهم كافرون، وأنه لا مفرّ لهم من العذاب الأليم.. فرمما جهلوا أو حمقوا وأخذتهم العزة بالإثم أمام الاتهام المباشر والتهديد، إذ أن أسلوب التلميح أفعال في النفس من أسلوب التصريح <sup>4</sup>، كما يتضمن هذا الاستفهام التعجيز، والتهديد، والوعيد، والتحذير، والتيسيس من مجير يجيرهم من عذاب الله. وعليه يكون نمط الجملة ونسقها الإنكاري كما يلي:

[أداة الاستفهام(من) مبتدأ + فعل مضارع وفاعله ومفعوله + جار ومجرور + صفة]

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص200.

<sup>2</sup> تفسير المنار، 177/8.

<sup>3</sup> محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص201.

<sup>4</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس، الجزء التاسع والعشرون، ص3647.

ومن صور الاستفهام الإنكاري التي تكررت في السور المكية ما يمكن أن يصنّف تحت صنفين: الاستفهام الذي يخرج إلى معنى التمثيل والتشبيه، وقد ورد في ثلاثة مواضع من سور محتشبه<sup>1</sup>، وتراكيب متشابهة، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (40) [الزحرف]، ليس إسماع الصّمّ ممّا يدّعيه أحد فيكون ذلك للإنكار وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه وأن يتزلّ الذي يظن بهم أنهم يسمعون، أو أنه يستطيع إسماعهم، منزلة من يرى أنه يسمع الصّمّ ويهدي العمي، فحوظب باستفهام الإنكار وسلط الاستفهام على كلام فيه طريق قصر بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي مع إيلاء الضمير حرف الإنكار وهو قصر مؤكّد<sup>2</sup>، أي أنت أيها الرسول لم تؤت القدرة على إسماع الصّمّ أي فاقد حاسة السمع حقيقة، فكذلك لا تستطيع الإسماع لتضع الصّمّ مجازاً وهم الذين لا يعقلون ما يسمعون ولا يفقهون معناه فيهدتوا به، والبلاغة في ظاهر تفسير الآية وصفهم بفقد السمع والعقل معاً، وهو مجازاً قطعاً<sup>3</sup>، وكأنّ الله عز وجل -بذلك- يريد أن يبيّنه رسوله صلى الله عليه وسلم - الحريص على هدايتهم إلى حقيقة مفادها، "لست أنت -يا رسول الله- المسؤول عن سيرهم في طريق الضلال أو عن فقد سمع قلوبهم، وفقد بصائرهم، ولست بمعلوم عن هدايتهم بل هم الملمومون،" فإنّ الله لا يهدي من يضل<sup>4</sup> [النحل: 37] "4. وبالتالي يكون نمط الجملة في هذه الآية وفي الآيات التي على نسقها كما يلي:

[أداة الاستفهام (الهمزة) + فاء ترتيب الإنكار + ضمير المخاطب المفرد (مبتدأ) + فعل وفاعل ومفعوله + أداة العطف (أو) + جملة فعلية تامة]

وإن التركيز على الفاعل الذي يمثله الضمير المنفصل في مثل هذه الآيات الموضّحة في الجدول الإحصائي السابق، فلأنّه محل الاهتمام ومكمن الاستفهام، ولو اقتصر على الفعل دون تقديم تفسير المنفصل لصح التركيب ولكن يحنّفي الجمال الأسلوبية، وتخفّ قوة الشحنة الدلالية المراد إيبرها؛ يقول محمد الطاهر بن عاشور: "وتقدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: "أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا" للتقويّ إشارة على إنكار ما حمل الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه من الحرص الحزب في طلب إقلاعهم عن الهوى كقوله تعالى: "أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" [يونس: 99] "5.

<sup>1</sup> انظر: سورة الزحرف: 40، يونس: 42، 43.

<sup>2</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء الخامس والعشرون، ص 216.

<sup>3</sup> تفسير المنار، 382/11-383.

<sup>4</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الخامس والعشرون، ص 216،

<sup>5</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء التاسع عشر، ص 36.

ومن صور الاستفهام التي آثرها الأسلوب القرآني والتي شكّلت حيزاً كبيراً من أنواع الاستفهامات، هي استخدامه لفعل (رأى) الذي يلي همزة الاستفهام، وبتصريفه مع ضميري المخاطب المفرد والجمع، وضميري المفرد والجمع الغائبين، في حالتَي الإثبات والنفي، وقد ورد هذا الفعل مع هذه الضمائر في أربع وعشرين موضعاً من القرآن المكي في حالة الإثبات.

وإن دخول الاستفهام على الفعل "رأى" مع وجود ضميري الخطاب، هو استعمال قرآني لم يُعرف أن العرب قد استعملوه كثيراً قبل القرآن<sup>1</sup>، وفيه من معاني الاستكثار أو التنبيه أو التعجيب في أبلغ صورها، وأن هذا من أسرار الإعجاز في أساليب القرآن، ولا سيما من ذلك، دخول همزة الاستفهام على كلمة (رَأَيْتُكُمْ)<sup>2</sup>، وهو تركيب استفهامي اختلف فيه المفسرون، وكثرت حوثة أقوال العلماء من المعربين، فيرى البيضاوي أنه استفهام تعجيب، والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب، والمفعول محذوف تقديره رأيتكم أهتكم تنفعكم تدعوها<sup>3</sup>، ويسرى بعضهم أن هذه التاء في (رَأَيْتُكُمْ) و (رَأَيْتُكَ) من الأمور الغريبة في لغتنا<sup>4</sup>، لأن في التركيب حلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف<sup>5</sup>، والكاف حرف خطاب يدل على اختلاف المخاطب، والتاء مفتوحة دائماً في جميع أحواله<sup>6</sup>، ومعنى الكلام: أخبروني عن حالتكم العجيبة، وقد جرى ذلك على سبيل المجاز<sup>7</sup>، ويخلص صاحب تفسير المنار إلى القول - بعد تقليب آراء العلماء في هذا التركيب -: "والذي أراه جامعاً بين الأقوال أن "رَأَيْتُكُمْ" و "رَأَيْتُمْ" استفهام عن الرأي أو عن الرؤيا التي بمعنى العلم، وأن الاستفهام في هذا الاستعمال للتقرير، وأن المراد منه التنبيه والتمهيد، لما يذكر بعده من نيا غريب أو عجيب أو استفهام تقوم به في المسألة الحجة، وتدحض الشبهة"<sup>8</sup>، أو أنه توطئة لكلام يأتي بعده يكون هو كالدليل عليه أو الإيضاح له، فيؤول معناه بما يتصل به من كلام بعده<sup>9</sup>، وغالباً ما

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة، القرآن المعجزة الكبرى، ص 209.

<sup>2</sup> ورد هذا التركيب الاستفهامي في موضعين من سورة الأنعام في الآيتين: 40، 46، وورد مع ضمير المخاطب المفرد "رَأَيْتُكَ" في موضع واحد في سورة الإسراء: 62.

<sup>3</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص 174.

<sup>4</sup> محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 3/ 110.

<sup>5</sup> الكشاف 2/ 22.

<sup>6</sup> الفراء، معاني القرآن، 1/ 333.

<sup>7</sup> محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 3/ 109. وانظر: تفسير القاسمي، 6/ 40.

<sup>8</sup> تفسير المنار 7/ 408.

<sup>9</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثاني والعشرون، ص 324.

يتضمن هذا التركيب جملاً شرطية، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ أَوْ اللَّهُ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(40)﴾ [الأنعام]، وعليه فقد رأى الفراء أن العرب هنا في (أرأيت) لغتان، ومعنيان، إحداهما أن العرب أوقعت فعل الشيء على نفسه: هل رأيت نفسك، ثم تثنى وتُجمَع، وأن الكاف في محل نصب<sup>1</sup>، وهذا أقرب للاستعمال كما يرى محمد الطاهر بن عاشور، والذي يسوغه -حسب رأيه- أن أفعال الظن والعلم قد تنصب على المفعولية ما هو ضمير فاعلها<sup>2</sup>، والمعنى الآخر أن تقول أرأيتك، وأنت تريد: أخبرني وتنصب التاء منها وتترك الهمزة إن شئت، وهو أكثر كلام العرب وتترك التاء موحدة مفتوحة للواحد والواحدة والجميع في مؤنثه ومذكوره<sup>3</sup>.

وإن مجيء أسلوب الاستفهام مصدرًا بلفظ "رأيت" أو "رأيتكم" أو "أرأيتك" ومسبقًا بـهـمزة الاستفهام، قد تعددت معانيه وأغراضه البلاغية من الاستنكار والتعجيب والتوبيخ والتفريع، إلى الاستفهام التقريري الذي يؤكد الرؤيا العالمة من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذا، فإن مجيء العبارة بطريق الاستفهام، فيه تأكيد لمعنى الرؤية القلبية أو البصرية، إذ أن "مثل هذا التركيب يستعمل في التنبيه على ما يجب أن يعلم على إرادة التعجيب مما يعلم من شأنه. ولذلك كثير إردافه بكلام يشير إلى شيء من عجائب أحوال مفعول الرؤيا كقوله تعالى: "أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى" [النجم:34]، "أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ" [الشعراء:75]"<sup>4</sup>.

ويلحق بهذا النوع من الاستفهام، الاستفهام المسلط على نفي فعل "رأى" الذي شاع في القرآن المكي في مواضع مختلفة من السور، بلغ عددها سبعة وثلاثين موضعًا، حملت في مجملها معاني متعددة ومتباينة هي: الإنكار والتوبيخ والتفريع، والتقرير المشوب بالتعجيب، والتهديد والوعيد.

ومثل هذا الأسلوب من الاستفهام شائع في كلام العرب، يجعلون الاستفهام على نفي الفعل، والمراد حصول ضده بحث المخاطب على الاهتمام بتحصيله، أي كيف لم تر ذلك<sup>5</sup>، وهذا الأسلوب يفيد في توضيح المعنى، وإنزال معمول الفعل "يرى" منزلة الشيء المرئي المشاهد، ليقع التعجيب من مرآه. وكذا، إنزال المخاطب منزلة من لم يعلم، أو يفهم منه أنه مستعمل في التعجيب من عدم العلم

<sup>1</sup> الفراء، المصدر السابق، 333 / 1.

<sup>2</sup> تفسر التحرير والتوبيخ، الجزء الخامس عشر، ص150.

<sup>3</sup> الفراء، المصدر السابق، 333/1.

<sup>4</sup> ابن عاشور، تفسر التحرير والتوبيخ، الجزء التاسع عشر، ص142.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الجزء السابع عشر، ص165.

بذلك مع أنه مما تتوفر الدواعي على علمه، أو هو للتقرير<sup>1</sup>، ومثله في التقرير كثير، وهو كناية عن التحريض على العلم بذلك، وغالبا ما يتعلق الفعل "رأى" الذي يلي همزة الاستفهام بـ "كيف"، وإيثار "كيف" للدلالة على أن "حالة ضرب هذا المثل ذات كيفية عجيبة من بلاغته وانطباقه"<sup>2</sup>.

أما نظام الجملة وأنماطها الاستفهامية فيكون -غالبا- على النسق الآتي:

1- همزة الاستفهام + حرف نفي وقلب وجزم "لم" + فعل مضارع "تر" مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة + أداة التوكيد والنصب "أن".

2- همزة الاستفهام + لم + فعل المضارع "رأى" المجزوم + "كيف" للاستفهام عن الحال + فعل ماض.

3- همزة الاستفهام + لم + فعل المضارع "رأى" المجزوم + إلى + اسم مجرور.

4- همزة الاستفهام + لم + فعل المضارع "رأى" المجزوم + أن الناصبة واسمها وخبرها.

5- همزة الاستفهام + لم + فعل المضارع "رأى" المجزوم + كم الخبرية الدالة على الكثرة.

وهناك ما هو شبيه بأسلوب الاستفهام السابق، وقد حضر بكثافة تلفت انتباه الدارس وهو دخول أداة الاستفهام على حرف النفي "لا" أو "لم" وكثيرا ما يجيء بينهما فاء وهي للدلالة على أن السؤال مرتب على ما كان قبله، وما قبله كان تعجبا من إنكار أو جحود، كإنكار البعث: ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (3) [ق]، فيعقب الاستفهام ليفتح منافذ العقل: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (6) [ق]، وأخبرت الفاء عن أداة الاستفهام لأن الاستفهام له الصدارة، فهي مؤخرة عن تقدم في نسق الترتيب الفكري، والاستفهام الداخل على النفي مؤداه الحث على النظر، كما شاع بهذين النسقين من الاستفهام: "أفلا ينظرون..." و"أفلم ينظروا..."، فيكون الاستفهام عن نفي النظر، وتقرير عدم النظر، فإذا كان الاستفهام ابتداء يقرر أنهم لم ينظروا، وفي النظر تعرف آيات الله تعالى في الكون، فالواجب أن ينظروا، لأن عدم النظر كان موضع الاستفهام<sup>3</sup>. وقد تعددت أغراض الاستفهام الذي تكون أدواته داخلة على حرف النفي من إنكار وتوبيخ وتبكيك وتهديد ووعيد وتعجيب، وبذلك خضع نظام الجملة الاستفهامية -غالبا- في ترتيب عناصره إلى الشكل التالي:

<sup>1</sup> انرجع نفسه، الجزء الثالث عشر، ص 223.

<sup>2</sup> نفس النكاح.

<sup>3</sup> عمدة أبو زهرة، القرآن المعجزة الكبرى، ص 217.

[ أداة الاستفهام "الهمزة" + حرف العطف "الفاء" أو "الواو" + أداة النفي "لم" أو "لا" + فعل مضارع مجزوم بعد "لم" الجازمة، وفاعله + جار ومجرور].

وهذا النظام في الجملة الاستفهامية، قد سلك فيه القرآن مسلكا جديدا، ويقرر ذلك أبو زهرة، بأنه لم يرَ هذا المسلك كثير الاستعمال عند العرب من قبل نزول القرآن ولكنه شاع بعد نزوله من غير ستمو إلى مسلك القرآن<sup>1</sup>.

كما شاع استفهام التريديد بين أمرين في ظاهر القول، وليست الغاية متحدة، والعقل يقرر صدق أحدهما مثلما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27)﴾ [النازعات] ظاهر الخطاب أنه عام، والمقصود منكروا البعث، ومستبعدي إعادة الله للأجساد، "ولو تدبروا آيات الله في الكون لوجدوا فيها ما ليس أسهل ولا أهون من إحياء العظام وهي رميم، وقد ساق القرآن هذه الآيات بأسلوب الاستفهام ليرجعوا إلى أنفسهم فيلتمسوا جواب ما سُئلوا عنه"<sup>2</sup>. ويتكرر مثل هذا الاستفهام في سور عديدة منها، الصافات، الطور، الدخان، الواقعة، ويكون مؤدى هذا الاستفهام الذي ينطوي على نفي سلبى وحكم إيجابى، ليحمل المخاطب على الحكم الصحيح، لينطقوا بالصواب، أو يلزموا به، إن لم ينطقوا، أو ليفحموا إن لم يسترشدوا وضلوا، وهو استدلال على الحكم.<sup>3</sup> وإن هذه الحمل الاستفهامية المتقابلة التي يرد فيها بين الاستفهامين لفظ "أم" التي تدلّ على التعادل بالظاهر من اللفظ، ولكنها ليست متعادلة من درجة الحقيقة الثانية فهي مقابلة بين حق وباطل، للتنبيه على الحق بالدليل أو الاستدلال على الحق بالإشارة إلى البطلان الذي يكون في الجانب المقابل للحق؛ فإنه إذا أبطل النقيض كان الحكم بصحة نقيضه.<sup>4</sup>

وقد تربط أساليب الاستفهام بما قبلها بحرف وصل، ويكون هذا الحرف إما "الفاء" أو "الواو" أو "ثم" أو "أم" المنقطعة، وإنّ التصفح لآيات القرآن المكى ليجد كثرة من الآيات ربط فيها الاستفهام بما قبله بحرف من هذه الحروف الرابطة، مثل الآية التي تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة وهي "فبأي آلاء ربكما تكذبان" والتي وردت في مقام الامتنان والتعظيم ضمن التذكير بدلائل قدرة الله تعالى فيما أتقن صنعه مدججا في ذلك التذكير بما في ذلك كله من نعم على الناس، وتخلل كل هذا

<sup>1</sup> نفس المكان..

<sup>2</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البيان للقرآن الكريم، 1/150.

<sup>3</sup> محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص210.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص211.

استفهام عن تعيين نعمة من الله يتأتى لهم إنكارها<sup>1</sup>، وهو تذييل لكل نعمة يذكرها الله للمخاضين، وهذا الاستفهام الرابط بين الآيات، استفهام يقصد به التعريض بسطحية عقول هؤلاء المكذبين الذين لا يرون ما تحتهم، وما فوقهم ولا يفقهون حديثا. ومن براعة هذا الأسلوب في الاستفهام أنه لا يلزم غرضا بلاغيا واحدا، فقد يكون للتعريض، أو للتعجب، أو للإنكار أو للوعيد.. ، على حسب موقعه من الفواصل، وهو سؤال واحد<sup>2</sup>.

أما الربط بحرف "أم" المنقطعة، فيعتبر من سمات الاستفهام البارزة في القرآن المكي؛ إذ شاع في كم من سورة إلى حد أنه يتجمّع ويتوالى في السورة الواحدة، وأحيانا يتفرّق بين الآيات، ونجد ذلك في سور هي: الطور، الملك، النمل، المؤمنون، الزخرف، القلم، الصافات، الأنبياء، ص، السجدة، وهذا الحرف رابط للجمل ضمن سياق معين، ولكن ليس المقصود من الربط، تعلق جملة بجملة بحيث لا يتم معنى الجملة الثانية إلا باتصال الأولى، وإنما الذي يفيد الإضراب الانتقالي، أو إبطال الحكم السابق، ونفي مضمونه، والقطع بأنه غير واقع، والحكم على مدعيه بالكذب، والانصراف إلى حكم آخر يجيء بعدها<sup>3</sup>، ولذلك يمكن القول، أن "أم" المنقطعة ليست عاطفة، على الرأي الراجح عند عباس حسن، وإنما هي حرف ابتداء يفيد الإضراب، ولا تدخل إلا على الجمل<sup>4</sup>، أي أن قوام معناها هو الإضراب والعدول عن المعنى الأول إلى المعنى الثاني. كالذي ورد في سورة الطور، في سياق نفي الله عزّ وجلّ عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كلّ نقص رموه به، وإبطال ما ينسب إليه:

- ﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (29).
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبِ الْمُتُونِ﴾ (30).
- ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (32).
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (34).

فقد تكررت "أم" في هذا السياق للإضراب الذي يعقبه الاستفهام الذي ينفي عن النفس الإنسانية الغفلة و يُرغمها على الانتباه. فكل استفهام تضمنته الآيات السابقة، هو إضراب انتقالي

<sup>1</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء السابع والعشرون، ص 243.

<sup>2</sup> منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، ص 47.

<sup>3</sup> عباس حسن، النحو الوافي، ج 3، حاشية ص 597.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، 599/3.



يتصل بالذي قبله، و أن الاستفهام بعد "أم" مقدر واستعمل: إمّا في التشكيك ليكون التشكيك باعثة على التأمل في حالهم<sup>1</sup>، وإمّا مستعمل في التقرير لكل سامع، ليرجع إلى الصواب.

ومن إبداع القرآن الكريم في أسلوب الاستفهام، الاستفهام بـ "أين"، يستفهم به عن المكان، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26]، وهو استفهام إنكاري عن مكان ذهابهم أي طريق ضلالهم، تمثيلاً لحالهم في سلوك طرق الباطل<sup>2</sup>، واستضلال لهم كما يقال لتارك المادة اعتسافاً أو ذهاباً في بنيات الطريق: أين تذهب<sup>3</sup>، وقد يكون الاستفهام مستعملاً في التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن<sup>4</sup>؛ ويعلق الطاهر بن عاشور على هذا النوع من الاستفهام بقوله: "واعلم أن جملة "أين تذهبون" قد أرسلت مثلاً، ولعله من مبتكرات القرآن وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يذهب بك، لمن كان في خطأ وعماية"<sup>5</sup>.

أما الاستفهام الذي يكون غرضه التهويل والمبالغة، فأخذ حيزاً مهماً في كثير من سور القرآن المكي، ولكن الذي ميّز القرآن وأصبح علامة بارزة في بنائه الأسلوبية، ذلك التركيب في الجملة الاستفهامية المشكّلة من العناصر التالية: [ما الاستفهامية (مبتدأ) + (أدراك) خيرها + ما الاستفهامية (مبتدأ) + خيرها].

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)﴾ [الحاقة]، والمعنى: الحاقة أمر عظيم لا تدركون كنهه<sup>6</sup>، على أنه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قدرت حافظاً فهي أعظم من ذلك<sup>7</sup>، وكاف الخطاب في هذا الاستفهام خطاب لغير معين فلذلك لا يقترن بضمير تثنية أو جمع أو تأنيث إذا خوطب به غير المفرد المذكور<sup>8</sup>. والمتصفح لمواضع "وما أدراك" يرى أن استعمالها غير استعمال "ما يدريك"، كما في قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17)﴾، وذلك على قول من رأوا أن استعمال الصيغتين قائم على قاعدة لطيفة، وهي أن كل

<sup>1</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء السادس والعشرون، ص 64.

<sup>2</sup> نفسه، الجزء الثلاثون، ص 164.

<sup>3</sup> الزمخشري، الكشاف، 713/4.

<sup>4</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 164.

<sup>5</sup> نفسه، الجزء ثلاثون، ص 165.

<sup>6</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء التاسع والعشرون، ص 113.

<sup>7</sup> الكشاف 598/4.

<sup>8</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء التاسع والعشرون، ص 114.



ما في القرآن: "وما أدراك"، فقد أدراه -عليه الصلاة والسلام-، وما كان: "وما يدريك"، فمسا أدراه بعدُ صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

والذي تجدر الإشارة إليه، هو أن هذا الأسلوب من الاستفهام، لم يرد إلا في السور المكيّة، كما أنه أسلوب بديع في لغة العرب من حيث التركيب والدلالة، مما حدا ابن عاشور إلى القول: "لم أر من اللغويين من وفّى هذا التركيب حقّه من البيان وبعضهم لم يذكره أصلا"<sup>2</sup>.

وأيضاً مما جاء من أساليب الاستفهام على نمط ونظام من التركيب تفرّد به القرآن وأصبح من علامات أسلوبه البارزة، الاستفهام بـ "هل أتاك"، وأكثر ما يكون في السور المكيّة، وأما نظام حملته الاستفهامية و ترتيب عناصرها، فهي كما يلي:

[أداة الاستفهام (هل) + (أتاك) + فاعل + مجرور بالإضافة]

ومن المقاصد الدلالية لهذا النمط من الجملة الاستفهامية التنبيه إلى الاستماع وإثارة العجب والتشويق إلى الخبر من غير قصد إلى استعمال المخاطب عن سابق علمه بذلك الخبر<sup>3</sup>، كما في ظاهر الجملة "هل أتاك"، ويأتي عقب هذا الاستفهام بتفصيل ما أوهم الاستفهام عنه بهذا الاستفهام كناية عن أهمية الخبر بحيث إنه مما يتساءل الناس عن علمه<sup>4</sup>.

وكون الاستفهام بـ (هل) المفيدة معنى (قد)<sup>5</sup>، فيه مزيد تشويق وترغيب للسامع في استماع حديثه، كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخيرك به<sup>6</sup> وإذ كان يعبر به عن أهمية الخبر وما يترتب عليه من الموعظة فشأنه أن يبلغ السامع لتحصل المعرفة، من وراء الخطاب الذي يحمل مع ذلك دلالة تشسليّة للرسول -صلى الله عليه وسلم- وعبرة للمشركين.

إلى هنا، يمكن القول أنّ هذا ما أمكن التركيز عليه من صور وأنماط الجملة الاستفهامية ليروزها الأسلوب بين العديد من أشكال نظم الجملة الاستفهامية في القرآن المكي، وأنّ المقام لا يسمح بمعالجة موضوع الجملة الاستفهامية بكل ما يقتضيه الموضوع من الدقة والشمول إلاّ بقدر ما يبرزه بوصفه سمة أسلوبية استخدمها القرآن المكي لتحقيق قيم معنوية تهدف إليها الدعوة المكيّة. لذلك توالت

<sup>1</sup> ابن خالويه النحوي، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د.ط، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى، د.ت، ص 159.

<sup>2</sup> تفسير التحرير والتوير، الجزء التاسع والعشرون، ص 114.

<sup>3</sup> تفسير التحرير والتوير، الجزء الثلاثون، ص 73.

<sup>4</sup> نفسه، ص 74.

<sup>5</sup> إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص 81.

<sup>6</sup> تفسير القاسمي، 44/10. وانظر: تفسير أبي السعود، الجزء السابع، ص 148.

أساليب الاستفهام في الآيات المكية لتقرير الحقائق، وتثبيت العقائد، وإبطال الشبهات وإقامة الأدلة على وجود الخالق القادر وحقيقة البعث والنشور. وهذا من صميم خصائص القرآن المكي، والاستفهام من أقدر الأساليب على تنشيط آلة التفكير، وإثارة مشاعر الوجدان في النفس البشرية، ولذلك كان وروده في أغلب سور القرآن الكريم، وقد تبين من خلال الدراسة أنه في القرآن تنكبي أكثر منه في المدني، وهذا دليل على أن الاستفهام لا تنكر مساهمته في عملية الإقناع القرآنية التي تراعي مواقف السامعين، وحالات المخاطبين، وكل ذلك يدل على بلاغة هذا الأسلوب في التعبير، وقدرته على الإقناع والتأثير، مما جعل القرآن الكريم يعتمد عليه اعتمادا كبيرا ويمنحه حيزا واسعا من التعبير في السور المكيّة، إذ أن الاستفهام من أنسب الأساليب في مراعاة أقدار السامعين في تحريك حاسة التأمل والتدبر والتفكير في مسائل العقيدة وعجائب الكون، لأن قضايا العقيدة كثيرا ما تترع مترعا تأمليا، تساؤليا، في خطاب العقل والضمير، وبذلك فهو أسلوب يبعد التعبير القرآني عن السرد والملل والرقابة، ويضفي عليه نوعا من الحركة الفكرية والجمالية على حدّ سواء، وقد أظهر هذا المبحث ناحية إبداع القرآن - في أسلوب الاستفهام - ومظاهر إعجازه فيه.

## 2- أسلوب القسم

أسلوب القسم من الأساليب التي تحتل مساحة كبيرة من القرآن المكي، وتعتبر من أبرز الخصائص الأسلوبية التي قام عليها التركيب اللغوي في أغلب السور المكيّة، لما يتمتع به القسم من مزايا في عملية التواصل البلاغي لجذب المخاطب وإقناعه، وهيبته النفسية لتقبل الحقائق واطمئنائه لها. وإن انتشار القسم بين آيات القرآن المكي بالصورة المكثفة - كما هو واضح - فذلك حتى يأتي الخطاب مؤكدا، شديدا؛ لأن المخاطبين قريبو عهد بالجاهلية، ولا تزال تختم على عقولهم أصدا، يعوزها هذا الأسلوب المؤكّد القوي<sup>1</sup>، كالذي نجد في قوله الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسَأَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (56) [النحل]، هذه الآية مكيّة، وإن وعيد الله لهؤلاء الذين أشركوا به لم يكن في حاجة إلى قسم أو تأكيد، ولكنه أمام نكرانهم، وجعلهم نصيبا من الزروع والأنعام لأصنام لا يعلمون عنها شيئا، ويريدون أن يتقربوا إليها - وإن هو إلا محض افتراء -

<sup>1</sup> السيد عبد الغفار، قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه، ص 90.

فالإتيان بالقسم هنا بحرف التاء مؤذن بأنهم يسألون سؤالاً عجبياً بمقدار غرابة الجرم المسؤول عنه. إذ السؤال الموعود به يكون يوم البعث، وهم ينكرونه فناسب أن يؤكد<sup>1</sup> ويوثق بما لا يدع مجالاً للشك. من هنا، كان للقسم الأهمية البالغة في الخطاب القرآني الذي يمثل الحق والهدى والنور؛ إذ أن الناس - وهم المخاطبون بذلك - يختلفون من حيث الاستعداد النفسي في تقبل الحق والانقياد لنوره، "فالنفس الصافية التي لم تتدنس نظرتها بالرجس تستجيب للهدى، وتفتح لأشعاعه، ويكفيها في الانصياع إليه اللمحة والإشارة، أما النفس التي رانت عليها سحابة، الجهل وغشيتها ظلمة الباطن، فلا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر وصيغ التأكيد، حتى يتزعزع نكيرها"<sup>2</sup>.

ومن يتبع القسم في القرآن المكي يلاحظ أنه لا يخرج عن الأمور الاعتقادية، وأن الله تعالى يُقسم على أصول الإيمان الثلاثة: التوحيد، والرسالة، والبعث، وتحت هذه الأصول الكبرى تندرج فروع وجزئيات متعددة، أشد ما أثارت إنكار المشركين ورفضهم وتكذيبهم، ومن هنا كانت الدعوة إلى الإيمان بالغيب من أولويات الدعوة الإسلامية، ومنها قضية البعث، وهي أهم قضية شغلت أذهان العرب في بداية الدعوة ووقفوا منها موقف التعجب والتساؤل والإنكار الشديد والمقاومة التي لا تلين. وقد سجل القرآن الكريم في كثير من آياته هذا الموقف، كما وصف هذه القضية بأنها "النبأ العظيم" في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: 1].

وقد وقف القرآن أمام تلك القضايا الثلاثة يؤكد بها بكل أساليب التوكيد، ويرد على الذين ينكرونها تارة بالحجة والدليل الهادي المقنع، وتارة بالتهديد والوعيد والنذر القارعة، لذلك كانت هذه القضايا الاعتقادية من أهم ما شغل به القرآن في المرحلة المكية من تاريخ الدعوة الإسلامية، وكان هذا من بين الأسباب التي طبعت السور والآيات المكية بذلك الطابع الأسلوبى الحاد العنيف الذي يميزها من السور والآيات المدنية.

وعليه فإن كل أقسام القرآن المكي تدور في أغلبها حول الأصول الاعتقادية الثلاثة، ففي سورة (الصافات)، تجد القسم على الأصل الأول وهو "التوحيد" حيث يقسم الله تعالى بملائكته على وحدانيته، وفي سورة (يس) القسم على الرسالة. وفي سورة (الذاريات) القسم على البعث. ووراء هذه الأصول الثلاثة الكبرى هناك فروع كثيرة تتردد في الأقسام القرآنية؛ كالقسم في سورة الليل،

<sup>1</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الرابع عشر، ص 181.

<sup>2</sup> مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 290.

والشمس، والضحي، والتين، والنجم... وكلها تدور في فلك الأصول الثلاثة لأنها حقائق لا تنفصل عن الحقيقة الأزلية وهي وحدانية الله وما تقتضيه.

والأصل في جملة القسم أن يُؤتى بالفعل "أقسم" أو "أحلف" متعدياً بالباء إلى المقسم به، ثم يليه المقسم عليه (وهو المسمى بجواب القسم)، كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَظًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (38) [النحل].

وليس في القرآن الكريم من أقسام الله تعالى جملة قَسَمَ فيها الفعل "أقسم" بدون نفي سابق لها، وبذلك كان القرآن على أسلوب العرب في أقسامه، إذ يُقسَم علماء اللغة القَسَمَ إلى قسمين: صريح ومضمر، فالأول منهما ما ذكر معه حرف من حروف القسم كالواو أو الباء، أو ما ذكر فيه فعل من الأفعال الدالة عليه كما سبقت الإشارة إليه. والقسم المضمر وهو قسمان<sup>1</sup>: قسم دلّت عليه اللام نحو قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (88) [ص]، وقسم دل عليه المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (71) [مرم]. وتقديره: والله إن منكم واردها<sup>2</sup>.

وقد ورد القسم في القرآن الكريم صريحاً ومضمرًا في آيات كثيرة في المرحلتين: المكية والمدنية، وإن يكن في الآيات المكية أكثر ورداً منه في الآيات المدنية. وقد جرى القسم المضمر في القرآن الكريم على أساليب العرب المألوفة لهم، أمّا القسم الصريح فهو الذي لفت نظر المفسرين والباحثين، لما تميز به من خصائص أسلوبية تفرّد بها القرآن الكريم حتى صارت إحدى السمات البارزة في نظمه.

كما تجدر الإشارة إلى أن القرآن قد استخدم كل أساليب الاستفهام عند العرب، لتحقيق الخير وتوكيده<sup>3</sup>، إلا أنه صاغها صياغة جديدة منحتها قوة التأثير والنفوذ إلى القلوب بأقصر طريق. وأما تحليل سبب انتشار شيوع ظاهرة القسم في المرحلة المكية، فيعزوه بعض الباحثين إلى أن هذه المرحلة في تاريخ الدعوة الإسلامية "هي التي شهدت حملات الرفض والإنكار لهذه الدعوة، والتشكيك فيما جاء به الدين الإسلامي الجديد من أمور غيبية جديدة على العرب لم يكونوا على استعداد لتقبلها، أو من أمور روحانية لم تهيء لهم حياتهم المادية فرصة الاقتناع بها"<sup>4</sup>. ويمكن تلخيص أغراض القسم في السور المكية في النقاط الآتية:

<sup>1</sup> الإتيان 170/2.

<sup>2</sup> نفس المكان، وانظر: ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، دط، سوريا، دار الفكر، دت، ص 116-117.

<sup>3</sup> الإتيان 169/2.

<sup>4</sup> يوسف حليف، دراسات في القرآن، ص 96.

- 1- لتعظيم المقسم به
- 2- لتنبية أذهان السامعين
- 3- لتنبية الأذهان إلى وحدانية الله تعالى في الأمر والخلق
- 4- لإدخال التسلية على نفس الرسول - صلى الله عليه وسلم- لما يلاقه من آلام في سبيل الدعوة.
- 5- للابتعاد عن الجدل في تحقيق الأخبار وتوكيدها ولا سيما منها ما تعلق بعالم الغيب وأصول الاعتقاد.

### أ- صيغ القسم في السور المكية

تنوع القسم في القرآن المكي بتنوع المقسم به، أو نوع الصيغة التي جاء عليها أسلوب القسم، وتبعاً لذلك اختلفت جملة القسم من حيث التركيب والبناء. وأما الصيغ الأسلوبية للقسم الشائعة في السور المكية فيمكن تلخيصها كالآتي:

- 1- القسم بذاته تعالى، فقد أقسم الله تعالى بذاته الجليلة في ثلاثة مواضع وكان القسم فيها صريحاً وعناصر بناء الجملة في هذه المواضع هي على النظام الآتي:

[واو القسم + "رب" المقسم به مضافاً إلى اسم ظاهر أو ضمير المخاطب المفرد]

وقد ظهر هذا النظام في الآيات التالية:

- ﴿فَوَرَّبُّكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 92]

- ﴿وَرَّبُّكَ لَنُحْشِرُنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مریم: 68]

- ﴿فَوَرَّبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: 23].

ففي هذه الآيات الكريمة كان القسم فيها لتعظيم المقسم به، وتأكيد للمقسم عليه، وهو ما يتضمنه الخبر من تهديد للمكذبين، ووصف الربّ مضافاً إلى ضمير المخاطب وهو النبي-صلى الله عليه وسلم- إيماء إلى أن في السؤال المقسم عليه حظاً من التنويه به، وهو سؤال ربّ يغضب لرسوله -عليه الصلاة والسلام-<sup>1</sup>. وإظهار اسم السماء والأرض لإدخال المهابة في نفوس السامعين بعضمة الربّ سبحانه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثالث عشر، ص 87.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الجزء السادس والعشرون، ص 355.

2- أسلوب القسم المنفي، وهو ما كان فيه الفعل "أقسم" مسبقاً بأداة النفي "لا"، حيث لا يصرح بالفعل "أقسم" إلا في هذا النوع المنفي، ولم يستعمل في القرآن المكي "لَا أَقْسِمُ" إلا حين يكون الفعل مسنداً إلى الله تعالى، كما تبين من استقراء كل مواضع الاستعمال، وكان من براعة هذا اللون من القسم، أن جعله الله عز وجل في مستهل سورتين مكيتين وهما: (البلد، والقيامة)، وبقي المواضع وردت في مستهل آيات أخرى لكن في غير مفتتح السورة. كما أنه لم يرد هذا الأسلوب من القسم في أي آية مدنية:

السورة	رقم الآية	مواضع القسم المنفي
الواقعة	76 - 75	1- فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ
الحاقة	39-38	2- فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ
المعارج	40	3- فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
البلد	1	4- لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ
القيامة	1	5- لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ
القيامة	2	6- وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ
التكوير	16-15	7- فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُفِ، الْجَوَارِ الْكُنُفِ
الانشقاق	17-16	8- فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ

وقد وقف العلماء أمام هذه الظاهرة القرآنية، واختلفت آراؤهم في تفسير دلالاتها؛ إذ أن هذا الأسلوب نادر في كلام العرب حتى أنه يُعدّ أسلوباً قرآنياً خالصاً، وإنما الذي كثر في كلام العرب هو اقتران "لا" النافية بغير الفعل، على نحو ما يتردد في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد كثر في أيامه ورود ذلك القسم الرقيق "لا والذي نفسي بيده" أو "لا والذي نفس محمد بيده".  
فمن المفسرين من اكتفى بالقول أن "لا أقسم" معناها أقسم، وزيدت "لا"، للتأكيد، دون الإشارة إلى المقضى البياني للعدول عن "أقسم" إلى "لا أقسم" أو إيضاح وجه تأكيد القسم، نقيضه وهو النفي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الرمحشري، الكشاف/4/468.

<sup>2</sup> عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، 1/165.

ويرى ابن قتيبة أنها زيدت -ويَقصد "لا" النفي- في الكلام على نية الرد على المكذبين، وإدخال "لا" في الكلام أولاً، أبلغ في الرد<sup>1</sup>، ولم يفت محمد عبده الوقوف عند هذه الظاهرة وذلك بقوله: " (أفلا أقسم) عبارة من عبارات العرب في القسم يزداد بها تأكيد الخير كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم، و يقال أنه يوتى بها في القسم إذا أريد تعظيم المقسم به كأن القائل يقول إني لا أعظمه بالقسم لأنه عظيم في نفسه و المعنى على كل حال على القسم"<sup>2</sup>، و بعض المفسرين نحا هذا النحو من البيان<sup>3</sup>، و لكن هناك باحثين-من لهم صلة بالدراسات القرآنية- قد أعطوا هذه الظاهرة من الاهتمام بحيث تجاوزوا منهج التفسير القديم، وذهبوا إلى النظرة الشاملة والموضوعية لآيات القرآن الكريم، في تفسير قضاياها اللغوية و البلاغية وحتي الأثر الجمالي للقيم التعبيرية على نسق معين .

فقد ورد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (76) [الواقعة] بعد القسم بمواقع النجوم، و هذا يدل على أن "لا" الداخلة على القسم ليست زائدة، و المعنى، إني لا أقسم والقسم عظيم لأن الأمر أوضح من أن ينكره ذو بصيرة، ولهذا أشار سبحانه و تعالى إلى البصر في القسم<sup>4</sup> في قوله جل شأنه في سورة الحاقة: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40)﴾، و يدلنا -أيضا- أن "لا" في القسم أصلية غير زائدة، قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5)﴾ [الفجر] أي أن الأمر لفرط وضوحه ليس في حاجة إلى أن يقسم عليه للمخاطب، لكن أقسم بهذا البلد أو بيوم القيامة<sup>5</sup> أو بما هو واضح الدلالة في أفهام البشر.

ومنه فإن استقراء الاستعمال القرآني لهذا الأسلوب في نفي القسم " صريح الدلالة على أنه سبحانه ليس في حاجة إلى القسم و أن نفي الحاجة إلى القسم تأكيد له، و من مألوف استعمالنا أن نقول: لا أوصيك بفلان، تأكيدا للتوصية، كما نقول: بغير عيب، تأكيدا للثقة التي تحتاج معها إلى عيب"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> تأويل مشكل القرآن، ص 247، وانظر: محمد أحمد يوسف القاسم ومنيع عبد الحكيم محمود، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط1، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، 1405هـ/1985م، ص 145.

<sup>2</sup> تفسير جزء عم، ص 32.

<sup>3</sup> انظر: تفسير التحرير والتنوير، الجزء السابع والعشرون، ص 330، وانظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المسمى: تفسير البيضاوي، د. بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، د.ت، ص 713.

<sup>4</sup> أحمد ماهر البكري، أساليب النفي في القرآن، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1405هـ/1985م، ص 59.

<sup>5</sup> عبد الفتاح لاشين، الفاصلة في القرآن، د.ط، الرياض، دار المريخ، د.ت، ص 135.

<sup>6</sup> التفسير البياني للقرآن الكريم، 1/166، وانظر: محمد أحمد يوسف القاسم، المرجع السابق، ص 145.



أما العدول عن أسلوب القسم المثبت إلى القسم المنفي، فملحظ بياني و بلاغي واضح لدى بصر و ذرية بلغة العرب، فهو أسلوب ذو تأثير في تقرير الحقيقة التي لا تحتاج إلى القسم لأنها تامة واضحة<sup>1</sup>، وهو بهذا أوقع في الحس من القسم المباشر، وهذا الوقع هو المقصود من هذا الاختيار الأسلوبي في القسم، الذي يبرز من ورائه حقيقة القيامة وحقيقة النفس اللوامة، ورب المشارق والمغارب، وما يبصرون من عالم الشهادة وما لا يبصرون من عالم الغيب، فكل ذلك يقين لا يقبل الجدل ولا الشك ولا المماراة.

3- أسلوب القسم المضمّر، وهو - كما سبقت الإشارة إليه - ما لم يذكر معه القسم صريحاً، وتكون لام التوكيد دالة عليه، أما تحديده عند النحاة، فهو كل فعل في آخره نون التأكيد نحو: لتركبن، ولتذهبن، فتحتهما يمين مقدرة وتلخيصه: والله لتذهبن، والله لتركبن<sup>2</sup>، وهذا النوع من القسم ألفه العرب في كلامهم، وقد حضر في السور المكيّة بنسبة عالية تدعو إلى التأمل والدراسة، ويمكن اعتباره سمة تحسب في تعداد الخصائص البنائية للغة القرآن المكي، وعليه يكون نمط جملة هذا القسم ونسقه في التركيب كما يأتي:

[لام التأكيد + الفعل المضارع + ن التوكيد]

كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)﴾ [التكاثر]، هذه الآية من سور التكاثر التي تضمنت ثلاث جمل من القسم المضمّر متتالية النسق فقد أتى بتاء القسم لتوكيد الوعيد<sup>3</sup>، وأتبع كل قسم بقسم آخر على جهة التأكيد، والترهيب، وإن اجتماع توكيدين في فعل مستقبل كدلالة واضحة على عظمة الموقف، أو أهمية القسم عليه في عالم الغيب وأصول العقيدة. ويمكن إحصاء هذا الأسلوب من القسم في مختلف السور المكيّة بغية الوقوف على نسبة حضوره وشيوعه فيها، مقارنة بنسبة حضوره في المدني من القرآن، وإن المعتد به في هذا الإحصاء هو كل قسم صادر من الله تعالى:

السورة	رقم الآية	مواضع القسم المضمّر
الأنعام	12	لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
الأعراف	6	فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
الأعراف	6	وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ

<sup>1</sup> في ظلال القرآن، المجلد السادس، الجزء السابع والعشرون، ص3471.

<sup>2</sup> ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص186.

<sup>3</sup> تفسير التحرير والتوير، الجزء الثلاثون، ص522.



الأعراف	7	فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ
الأعراف	18	لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
الأعراف	167	لَيَعْنَنَّ عَلَيْهِم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
هود	7	لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ
هود	10	لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي
هود	111	لَيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ
هود	119	لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
إبراهيم	7	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ
إبراهيم	13	لَتَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ
إبراهيم	14	وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
الحجر	92	لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
النحل	41	لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
النحل	56	لَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ
النحل	92	وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
النحل	93	وَلَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
النحل	96	وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا
النحل	97	فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً
النحل	97	وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
الإسراء	4	لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
الإسراء	4	وَلَنَعْلَنَّ عُلوًّا كَبِيرًا
مريم	68	لَنَخْشُرَنَّهِنَّ وَالشَّيَاطِينَ
مريم	68	ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهِنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ جَنِّيًا
مريم	69	لَنَرَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا
طه	97	لَنَسْفَعَنَّهُ فِي الْيَوْمِ نَسْفًا

الأنبياء	46	لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ
الحج	40	وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
//	58	لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا
//	59	لَيُدْخِلَنَّهُمُ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ
//	60	لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ
المؤمنون	40	لَيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ
العنكبوت	7	لَتَكْفُرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
//	7	وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ
//	9	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
//	10	وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ
//	11	وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
//	11	وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
//	13	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ
//	13	وَلَيَسْتَنُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ
//	53	وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَعْتَةٌ
//	58	لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا
//	61	لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
//	63	لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
//	69	لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
الروم	58	لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَثْمًا إِلَّا مُبْطِلُونَ
السجدة	13	لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
//	21	وَلَنُدْفِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى
ص	85	لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

//	88	وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ
الزمر	38	لَيَقُولَنَّ اللَّهُ
//	65	لَيَحِطَنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
فصلت	27	فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا
//	27	وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ
//	50	لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي
//	50	لَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
//	50	وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
الزخرف	09	لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ
//	87	لَيَقُولَنَّ اللَّهُ
الانشقاق	19	لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ
العلق	15	لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ
التكاثر	6	لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ
//	7	ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ
//	8	ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ
الهمزة	4	لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ

4- تاء القسم، لم ترد إلا في تسعة مواضع من القرآن الكريم وهي جميعها في سور مكية، كما

يحدد مواضعها الجدول الآتي:

المقسم	السورة	رقم الآية	مواضع القسم بالتاء
إخوة يوسف	يوسف	73	-قَالُوا قَالِ اللَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
إخوة يوسف	//	85	-قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُنَا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ
إخوة يوسف	//	91	-قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ
إخوة يوسف	//	95	-قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ

الله سبحانه وتعالى	النحل	56	-تَاللّٰهِ لِنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتُرُونَ
//	//	63	-تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
إبراهيم عليه السلام	الأنبياء	57	-وَتَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ
أهل النار من المشركين	الشعراء	97	-تَاللّٰهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
مؤمن من أهل الجنة	الصفات	56	-قَالَ تَاللّٰهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ

إن حرف التاء في جملة القسم من هذه الآيات، تنفرد دون أحرف القسم الأخرى بمعنى معين يقتضيه السياق المناسب، على ما ذهب إليه بعض علماء اللغة والتفسير، فيرى ابن هشام أن التاء تختص بالتعجب وباسم الله تعالى<sup>1</sup>، غير أن الزمخشري-الذي استند إليه ابن هشام تدعيماً لرأيه<sup>2</sup> فيتوسع في المسألة موضّحاً أكثر، بقوله " فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء؟ قلت: أن الباء هي الأصل، والتاء بدلا من الواو المبدلة منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب"<sup>3</sup>.

وخلاصة ما تقدم في هذه المسألة، أن القسم بحرف التاء يلازمه أمران: أولهما- أن حرف التاء يختص بالدخول على اسم الله تعالى، لأن القسم باسم الجلالة أقوى القسم.

ثانيهما- أنه يختص بالمقسم عليه العجيب النادر الوقوع، لأن الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه ومن ثم قل استعمال التاء إلا مع اسم الجلالة، كما ورد في القرآن الكريم.

5- دعوة الله عزّ وجلّ لنبيه أن يقسم برّبّه في أكثر من موضع، وتتجلى عناصر بناء جملة القسم في هذا الأسلوب كالآتي:

<sup>1</sup> ابن هشام الأنصاري، معني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وعلّق عليه: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغان، ط6، دمشق، دار الفكر، 1985، ص157.

<sup>2</sup> نفس المكان.

<sup>3</sup> الكشاف، 124/3، وانظر: تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثالث عشر، ص29، 44، والجزء السابع عشر، ص97، والجزء الثالث عشر، ص118.

[قل + حرف جواب (أي/ بلى) + واو القسم + ربّ + ضمير متصل للمتكلم المفرد (الياء)]

وقد وردت الآيات الثلاثة على هذا النظام في سورة مختلفة:

- ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 53].

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: 3].

- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7].

فالجامع بين هذه الآيات هو أمر الله تعالى رسوله أن يقسم بجلالته على هذا النسق من الأسلوب، عنى من أنكر أمورا هي من صميم العقيدة، كالجزاء والمعاد " وإنما أقرّ بالقسم لاستمالتهم، وللجري عنى ما هو المألوف في المحاوره، من تحقيق المدعي"<sup>1</sup>، وقد أكد القرآن ما اقتضاه كل من الحرفين "أي" و"بلى" بالقسم على المقسم عليه - في هذه الآيات الثلاث - دلالة على ثقة المتكلم وليس ذلك لإقناع المخاطبين وهو تأكيد يروّع السامعين والمكذّبين<sup>2</sup>، أما المعنى الذي ينطوي عليه تركيب القسم في الجملة - في الآيات الثلاث - إنما يكمن في ضمير المتكلم المتصل بالمقسم به: (أي وربي)، و (بلى وربي) والمقسم هو الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - . فقسمه بهذا الأسلوب يوحي للمخاطبين بقوله: " الذي أعرف قيمة ربوبيته فلا أقسم به حائثا، ولا أقسم به إلا في حدّ و يقين"<sup>3</sup>. وفي ذلك دلالة عظيمة من وراء هذا الاختيار الأسلوبي للفظ "رَبِّي" دون غيره من أساليب القسم.

6- القسم برسوله - صلى الله عليه وسلم - : فإلى جانب قسم الله تعالى بذاته، بأساليبه المختلفة في

البناء التركيب، أقسم سبحانه وتعالى برسوله - صلى الله عليه وسلم - في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72]، فالمخاطب بهذا القسم هو محمد - صلى الله عليه وسلم - من قبل الله تعالى وهو ما اتفق عليه جمهور المفسرين، وقد انفرد الزمخشري بالقول بأنه يقسم بحياة لوط عليه السلام، وأنه من قول الملائكة<sup>4</sup>. ولكن ليس في اللفظ ما يدل على ذلك، بل ظاهر اللفظ وسياقه إنما يدل على أن ما فهمه السلف أطيّب<sup>5</sup>، وعلى رأسهم ابن كثير وابن عباس<sup>6</sup>، وابن

<sup>1</sup> القاسمي، تفسير محاسن التأويل، 43/6.

<sup>2</sup> تفسير التحرير والتوير، الجزء الثاني عشر، ص 139.

<sup>3</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الثالث، الجزء الحادي عشر، ص 1798.

<sup>4</sup> الكشف 585/2.

<sup>5</sup> القاسمي، محاسن التأويل، 62/6.

<sup>6</sup> النبيان في أقسام القرآن، ص 272.

القيم الجوزية<sup>1</sup>، ووافقهم المتأخرون من المفسرين، فكلهم يرون دلالة واضحة لهذا القسم، وهو أن الله سبحانه وتعالى أقسم بحياة نبيه - صلوات الله وسلامه عليه-، وفي هذا تشریفٌ عظيمٌ ومقامٌ رفيعٌ وجاهٌ عريض<sup>2</sup>، وهذه مزايا لا تعرف لغيره، ولا ريب أن عمره وحياته من أعظم النعم والآيات، فهو أهل أن يُقسم به، والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات<sup>3</sup>.

7- القسم بآيات الله ومخلوقاته، وهو أكثر أقسام القرآن انتشاراً في آياته الكريمة، وهي التي تميز أسلوب القسم فيه بهذا الطابع الفريد الذي ينفرد به القرآن عامة والمكي منه خاصة؛ إذ أن الناظر في القرآن يرى أن أساليب القسم بمظاهر الطبيعة وظواهر الكون ومخلوقات الله تعالى التي شاءت حكمته أن يقسم بها، قد احتفت من الآيات المدنية، وذلك يُعزى إلى مراعاة مقتضى حال المخاطبين في المدينة الذين يتجه الخطاب إليهم، لأن "الخطاب في المرحلة المدنية كان موجهاً إلى جماعة المسلمين الذين صدقوا بالنبي ودعوته بخلاف أهل مكة الذين ظلوا طوال المرحلة المكية ينكرون على النبي رسالته إنكاراً شديداً فاحتاجوا إلى أساليب التوكيد ومن بينها القسم"<sup>4</sup>.

وقبل تسليط الضوء على هذا الأسلوب من أساليب القسم من حيث تشكيله البنائي ودلالاته الأسلوبية، تقتضي الدراسة معرفة مدى شيوع هذا اللون من القسم في القسم المكي من القرآن. قصد الإحاطة بكل جزئياته في مختلف السياقات، ويتجلى ذلك من خلال الجدول الآتي<sup>5</sup>:

رقم الآية	السورة	جملة القسم	رقم الآية	السورة	جملة القسم
2	ق	26- وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ	12	الطارق	1- وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ
1	ص	27- وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ	6	الشمس	2- وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا
2	الشمس	28- وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا	6	الطور	3- وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ
18	الانشقاق	29- وَالْقَمَرَ إِذَا آتَسَقَ	4	//	4- وَالْبَيْتَ الْمَعْمُورَ
1	القلم	30- وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ	1	التين	5- وَالتِّينِ وَالتَّيْتُونَ
2	الطور	31- وَكِتَابَ مَسْطُورٍ	1	الذاريات	6- وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

<sup>1</sup> نفس المكان.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير 1020/2.

<sup>3</sup> القاسمي، محاسن التأويل، 62/6، وانظر: ابن القيم الجوزية، البيان في أقسام القرآن، ص273.

<sup>4</sup> يوسف خليف، دراسات في القرآن، ص70.

<sup>5</sup> الجدول راعى في ترتيب الآيات الترتيب الألفبائي.

2	الدخان	32- وَالكِتَابِ الْمُبِينِ	4, 3	النازعات	7- وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا
2	الزخرف	33- وَالكِتَابِ الْمُبِينِ	5	الطور	8- وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ
33	المدثر	34- وَاللَّيْلِ إِذَا أُدْبِرَ	1	البروج	9- وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ
2	الضحى	35- وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى	7	الذاريات	10- وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ
17	التكوير	36- وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ	11	الطارق	11- وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ
1	اليل	37- وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى	1	//	12- وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ
4	الشمس	38- وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا	5	الشمس	14- وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
17	الانشقاق	39- وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ	1	//	15- وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا
2.1	المرسلات	40- وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالعَاصِفَاتِ عَصْفًا	1	الصفافات	16- وَالصَّافَّاتِ صَفًا
2.1	النجم	41- وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ	24 18	المدثر التكوير	17- وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ - وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ
1	النازعات	42- وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا	2, 1	الضحى	19- وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ
3	المرسلات	43- وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا	1	الطور	20- وَالطُّورِ
2	النازعات	44- وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا	2	التيين	21- وَطُورِ سِينِينَ
2	اليل	45- وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ	1	العاديات	22- وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا
3	الشمس	46- وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا	2, 1	العصر	23- وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
7	الشمس	47- وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا	2, 1	الفجر	24- وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ
3	التيين	48- وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ	2	يس	25- وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

فالمتمم في الجدول السابق يلحظ أن كل ما ورد بعد واو القسم هو مما أقسم به الله سبحانه وتعالى من الحقائق الكونية العظيمة، ويكفي في ذلك دلالة، أن أغلبها ورد في مطالع السور المكية، وعددها ست عشرة سورة.

وقد تنبّه المفسرون إلى ضرورة البحث عن دلالة هذا النوع من القسم والوقوف على أغراضه المعنوية والبلاغية، ويمكن تلخيص ما ذهبوا إليه في أمرين اثنين:

**الأول:** أنّ الله تعالى أقسم بمظاهر الطبيعة الدالة على وحدانيته وقدرته أنه ربّ السموات والأرض وما فيهن، ولا يقسم بمخلوقات الله إلاّ خالقها ومبدؤها<sup>1</sup>.

**الثاني:** أنّ هذا القسم يحمل معنى التعظيم للمقسم به، وإقسامه-تعالى-ببعض مخلوقاته دليل على أنّها من عظيم آياته<sup>2</sup>. ولهذا ترى أغلب المفسرين لجأوا إلى الاعتساف في بيان وجه التعظيم في كل ما أقسم به القرآن الكريم بحرف الواو، إذ أن ما يأتي بعد واو القسم-في القرآن- من المقسمات لا ينتهي إلى زمرة واحدة من أصناف المخلوقات، فقد أقسم بالزمان بما فيه؛ الليل والنهار ومراحلها المتعاقبة؛ الفجر والصبح والضحى والعصر والشفق، كما أقسم بالمكان؛ الطور والبلد الأمين، وهما من الأماكن التي شاءت حكمته تعالى أن تكون أرض رسالاته ورسالته. وأقسم سبحانه بالرياح والسحاب والنجار والجبل والملائكة والحيل العادية والنجم الهاوي والسماء والطارق، وبأعظم هذا كله، أقسم بسائر القرآن الكريم في مطلع ثلاث سور كما أوضح ذلك الجدول السابق .

وعليه فإن دلالات هذا النوع من القسم تتعدّد وتختلف بحسب المُقسَم به، وإن كان التعظيم يُعدّ إحدى هذه الدلالات وهو المنحى السائد لدى الأقدمين. فترى عائشة عبد الرحمن-وهي من المتأخرين- أنّ الرأي الذي تطمئن إليه، وخاصة في السور المستهلة بهذه الواو، " هو أنّ القسم بها يمكن أن يكون، والله أعلم، قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم، إلى معنى بياي، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له، للملحظ بلاغي، فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قوياً إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل، توظفه إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس"<sup>3</sup>. أي بما يعني قوة اللّفت إلى مادي محسوس وواقع مشهود، ليس مظنة ممارسة، وأن القسم بهذه الأشياء لا لكونها محسوسة، و"إنما هو تنبيه إلى ما تشتمل عليه من إحكام في الخلق و الصنعة وما تنطوي عليه من أسرار وعجائب نعم وآلاء فيؤدي النظر إلى

<sup>1</sup> انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1787/4. وانظر: القاسمي، محاسن التأويل، 163/10. وابن القيم الجوزية: التبيان في أقسام القرآن، ص 87.

165. محمد عبده، تفسير جزء عم، ص 33، والطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 237.

<sup>2</sup> انظر: ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص 3، 165، ومحمد عبده، تفسير جزء عم، ص 60، 61، 64، 65، 80، 81. وتفسير

التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 237.

<sup>3</sup> التفسير البیان للقرآن الكريم، 25/1.



الإيمان بخالقها وموجدتها، والإذعان لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -<sup>1</sup>. وبذلك يتأكد السامع البياني الذي قد تنطوي عليه هذه المقسمات، ويمكن اعتبار القسم بما لونا من ألوان البيان الفني للمعاني بالمدرجات الحسية، وما يلمح فيه من الإعظام إنما يقصد به إلى قوة اللفظ. واختيار المتسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف<sup>2</sup>. فالقرآن الكريم في قسمه بالصبح إذا أسفر، وإذا تنفس، والنهار إذا تجلّى، والليل إذا عسعس، وإذا يغشى، وإذا أدبر، "يجلو معاني من الهدى والحق، أو الضلال والباطل، بماديات من النور والظلمة. وهذا البيان للمعنوي بالحسي، هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو، فتقبلها دون تكلف أو قسري التأويل"<sup>3</sup>.

كما تجدر الإشارة -هنا- إلى أن القسم في القرآن المكّي قد أخذ أبعاداً تأويلية لما في بعض المقسمات من الإهام الذي من شأنه أن يوجّه أنفس السامعين إلى تطلب بيانه، إذ أن في افتتاح السورة بهذا القسم تشويق إلى ما يرد بعده وإشعار بأهمية المقسم عليه، وهو مع ذلك يلفت ألباب السامعين إلى الأمور المقسم بها<sup>4</sup>.

ثم إن القسم بالمخلوقات عامة يحتوي على دلالة دقيقة لا تخفى على المتدبر أو المتأمل لسياق القرآن المكّي العام، وذلك أنه يتضمن فكرة هامة قوامها العقيدة الإلهية والدعوة إلى الإيمان بالخالق القادر، وتتجلّى هذه القدرة اللامتناهية في بدائع ما خلق، كما يلخّص ذلك صاحب الإتقان أحسن تلخيص بقوله: "القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل"<sup>5</sup>.

### ب- حذف جواب القسم

لعل من أوضح سمات القسم في القرآن المكّي حذف جواب القسم في بعض الآيات، وانظاهرة التي تلفت النظر -هنا- أن هذا الحذف لم يرد إلا في الآيات المكّية، ولم يرد في أية آية مدنية، وأكثر ما يكون ذلك إذا كان في المقسم به ما يدل على المقسم عليه أو -بعبارة أخرى- إذا كان في لفظ القسم

<sup>1</sup> محمد بن محمد أبو شهبة، مدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 222.

<sup>2</sup> عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، 1/ 25.

<sup>3</sup> نفسه، 1/ 26.

<sup>4</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 237.

<sup>5</sup> الإتقان 170/2.

ما يدل على موضوعه، وذلك لأن المراد من القسم يفهم بذكر المقسم به، "فيكون ذكر المقسم عييه لا ضرورة له ويكون حذفه أوجز وأبلغ"<sup>1</sup>.

ولذلك يمكن -بعد الملاحظة والاستقصاء- حصر حالات حذف الجواب في حالتين: في حالة ظهوره والعلم به، وفي حالة دلالة السياق عليه<sup>2</sup>. فالقسم في مطلع سورة (ق) ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ جوابه محذوف دل عليه سياق السورة -كما يرى ابن هشام<sup>3</sup>- أي "ليهلكن" بدليل ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [ق:36]، أو "إنك لمنذر" بدليل ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ [2]، ومثله في مطلع سورة (ص) ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي "إنه لمعجز"، أو "إنك لمن المرسلين" أو "ما الأمر كما يزعمون"<sup>4</sup>.

وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" أن حذف جواب القسم من الاختصار، ويكون إذا كان في الكلام بعده ما يدل على الجواب، كالقسم في مطلع سورة (ق) وكذا قوله عز وجل: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالتَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، وَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾. ثم قال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:1-6]. ولم يأت الجواب لعلم السامع به؛ إذ كان فيما تأخر من قوله دليل عليه؛ كأنه قال: والنازعات وكذا وكذا، لتبعثن؛ فقالوا: ﴿أَنْذَا كُنَّا عِظَامًا فَخِرَةً﴾ [النازعات:11] نُبعث؟!<sup>5</sup>. ويوافق هذا كثير من المفسرين والباحثين، تعويلا على إشارة ما قبل المقسم، ودلالة ما بعده<sup>6</sup>.

ويذهب ابن القيم مذهبا طريفا في تفسير هذه الظاهرة الأسلوبية، إذ يرى في كتابه "التيبان في أقسام القرآن" أن من بين أقسام القرآن التي حذف جوابها، ما أريد به التنبيه على أهمية المقسم به دون أن يراد مقسم عليه بعينه، ولهذا يستغنى عن ذكره، لكن هذا القسم في الحقيقة يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظا<sup>7</sup>، وهي لحة فنية طريفة أخذت بها عائشة عبد الرحمن في كتابها "التفسير البياني

<sup>1</sup> يوسف خليف، دراسات في القرآن، ص108.

<sup>2</sup> ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص87.

<sup>3</sup> مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص847.

<sup>4</sup> نفس المكان.

<sup>5</sup> ص223-224. وينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص876.

<sup>6</sup> انظر: الإتيان 171/2، ووالزرکشي، البرهان 44-45/3، وتفسير القاسمي، 41/10.

<sup>7</sup> التبيان في أقسام القرآن، ص87.

للقرآن الكريم" حين ذهبت إلى أن هذا الأسلوب من القسم القرآني إنما قصد به اللفت إلى المتقسم به بما يعني عن تأويل جواب محذوف أو غير محذوف، فلم يعد السياق في حاجة إلى تكملة أو جواب<sup>1</sup>. وبعد فإن الذي يمكن استخلاصه من كل ما سبق عن أسلوب القسم في القرآن المكّي. أن القسم وسيلة من وسائل الخطاب القرآني وأحد أساليب التوكيد التي يقتضيها المقام في مختلف السياقات القرآنية، لتقرير الحقائق وتوكيدها، وإزالة الشبهات والردّ عليها، وإثبات الرسالة الخاتمة ودفع معارضيتها بشدّة، وهو مع ذلك، يتضمن أغراضا بلاغية ودلالات بيانية هامة، ومن أهمها لفت الانتباه، وإثارة حاسة التفكير والتدبر لدى المخاطبين، ومن ثم حمل النفس على هدى من العقل والبصيرة الناقدة.

### ثالثا- خصائص التكرار في السور المكّية

التكرار ظاهرة بارزة في السور المكّية؛ إذ هو أحد الأساليب البلاغية المقصودة في الخطاب القرآني، وهو على اختلاف فنونه وتباين معانيه وتعدد دلالاته، أسلوب اقتضته البلاغة الرفيعة والبيان العربي الفصيح، و"ذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذ أجمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقرعه، أو قصدت الدعاء عليه، كرّرت توكيدها، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطبته جارية فيما بين بعضهم وبعض"<sup>2</sup>. وكان القرآن بذلك يوسّع أمامهم المنادح، ويمنحهم الفرص (ليأتوا مثله) ويقسم عليهم الحجة، ويقروا بالعجز أمام هذه البلاغة العالية<sup>3</sup>.

وإذا كان التكرار في اللغة، هو بمعنى الإعادة والترديد<sup>4</sup>، فإنه في الاصطلاح البلاغي "هو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده"<sup>5</sup>، وقد قصده القرآن في أساليبه، لفوائده العظيمة وملاءمته في مواقف من الخطاب يكون التكرار فيها ضرورة ملحّة لا محيد عنها، ولا سيما أن القرآن الكريم هو كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، فيكون تكراره أحسن وأبلغ، وعلى ذلك "يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعيد، لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع،

<sup>1</sup> 137/2.

<sup>2</sup> الزركشي، الرمان في علوم القرآن، 9/3.

<sup>3</sup> قحى أحمد عامر، المعان الثانية في الأسلوب القرآني، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت، ص 444.

<sup>4</sup> لسان العرب، مادة (كرّر)، 450/6.

<sup>5</sup> الفوائد المشوق لى علوم القرآن، ص 111، وينظر: المثل السائر، 3/3، والرمان 10/3.

قال تعالى: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ" [القمر:17]: أي سهلناه للذكور والاعتباط بأن نسجناه بالمواظب الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد.. فهل من طالب لحفظة ليعان عليه<sup>1</sup>. إذ " أن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد في النسيان"<sup>2</sup>. ولو جاءت الحقائق التي احتوتها تلك السور بأسلوب يخلو من هذا التكرار لغفل عنها كثير من الناس، وربما كان الالتفات إليها بنفس فاترة وعقل شارداً<sup>3</sup>.

ولقد لفتت ظاهرة التكرار في القرآن الكريم نظر عدد كبير من علماء السلف، فتناولها المنسرون والباحثون في إعجاز القرآن وعلماء البلاغة والبيان ويبدو أن ما أثاره بعض الملاحدة والطاعنين من تساؤل حول تلك الظاهرة قد حمل بعض العلماء على الاعتناء بها، والبحث عن تعليل لها، والسعي لإظهار حكمتها، بل هناك من ذهب في هذا الباب إلى حد أن أفرد له بالتصنيف والتأليف<sup>4</sup>، وكان همهم في ذلك توجيه الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة وحروفها المتشابهة وتفسير وتعليل التكرار اللفظي بنوعيه المتصل والمنفصل والتكرار المعنوي، وقصدهم من وراء ذلك كله، هو إبراز ما في تلك الآيات من حكم ومعان إلهية سامية تعلق بها عن نقيصة التكرار والحشو والابتذال، وبيان عظمة الإعجاز القرآني في تكرارات القرآن التي يتوهمها القاصرون عيباً في البلاغة والأسلوب.

هذا، وإن الحديث عن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم بحث واسع متشعب الأطراف لا يتسع له هذا المقام، وإنما وجه الدراسة في هذا البحث، هو محاولة ربط الظاهرة بما يقتضيها المقام أو سياق الحال من السور المكّية، وتعليل حضورها وشيوعها المكثف في النص المكّي، من حيث هي خاصية أسلوبية بارزة في خطاب القرآن المكّي، قصد إدراك ما يوحي به التكرار في الأسلوب القرآني من بيان وتفصيل، لم نكن نتوصل إليه إلا من خلاله، ولا أن ندرك ما يرمي إليه إلا بتدبر ووعي لمواطنه السيّ جاء فيها.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، 435/4.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 334/3.

<sup>3</sup> السيد أحمد عبد الغفار، قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه، ص 293-294.

<sup>4</sup> من أهم ما ألفت في هذا الباب: "درة التزليل وغرة التأويل" (مجلد واحد) للخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله 420 هـ). و "كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن من الحجة والبيان"، وطبع باسم: "أسرار التكرار في القرآن"، لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانلي (المنقسط بالشافعي)، (420هـ-500هـ). و "ملاك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التزليل"، للإمام الحافظ العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (780هـ).

## 1- أسباب التكرار في أسلوب السور المكية

الناظر في القرآن الكريم، يجد أن التكرار يكاد ينحصر في قسمه المكي، ولمعرفة سر ذلك، ينبغي أن نعرف أن الآيات تنقسم إلى قسمين:

### 1- آيات الأحكام

2- آيات غير الأحكام، التي فيها بيان آلاء الله، وتذكير بأيام الله وتخويف من عذابه، وذكر

الحشر والتوحيد، أي كل ما يشمل أصول العقيدة وتفرعاتها.

ومن ثمة، يكون الأمر واضحاً للذي يتأمل التكرار الوارد في القرآن الكريم ويتعمقه، فإنه يجد أن أغلب مباحث الأحكام لم يحصل تكرارها، بل التكرار حصل في القسم الثاني من الآيات كما سبق البيان، فإذا علم الحكم مرة وصار المجهول معلوماً في حق المخاطب، فالتكرار حينئذ غير مطلوب إذ كان المقصود قد حصل بيانه، وما على المكلف إلا العمل بمقتضاه، إما كان الحكم أمراً بترك، أو أمراً بفعل.

أمّا ما يتعلق بعقيدة التوحيد، وصفات الله، والآخرة، ومسئوليتها وعذابها وثوابها، والرسالة والإيمان بالكتاب، وتقوى الله والصبر، والتوكل وما إلى ذلك من حقائق أساسية- في مرحلة الدعوة المكية- فإنك ترى القرآن يعيد ذكرها ويردّد بيانها في جميع القرآن ولاسيما في قسمه المكي، لأن الدعوة في مرحلتها الأولى لا تستطيع الإغماض عن هذه القضايا أو التساهل فيها، ولو كانت هذه العقائد الأساسية وهنت في نفوس المؤمنين لما تقدّمت حركة الإسلام بروحها الصحيحة وطبيعتها الفذة<sup>1</sup>.

لذلك، لا ينبغي أن يتناول النص القرآني بمعزل عن عناصره المكونة التي هي: الخطب والمخاطب، والمخاطب، وهذه السياقات النصية وغير النصية ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار عند الدراسة الأدبية للأسلوب "فالنص في نهاية الأمر ليس سوى تعبير يُشكّل جزءاً من عملية اجتماعية معقدة مما يجعل من الضروري استحضار الملابس الشخصية والاجتماعية واللغوية والأدبية "والإيديولوجية"، التي كُتبت فيها النص ما دمنا نريد أن نجري عليه اختباراً جاداً في نطاق تحليل أدبي مكتمل ويطلق بعض الدارسين على استخدام هذه العوامل "موقعة السياق الثقافي للنص"<sup>2</sup>. وهذا ضروري لتحديد

<sup>1</sup> أهر الأعلی المدودي، مبادئ أساسية لفهم القرآن، ص 31-32.

<sup>2</sup> صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د.ط. القاهرة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، 1992م، ص 212.

مؤشرات المقام في الدراسة الأسلوبية وضمنا موضوعية لغة النص<sup>1</sup>، وعليه فبلاغة التكرار تقوم على هذه العناصر، وإليها يؤول الإعجاز في هذه الظاهرة الأسلوبية، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1- مصدر الخطاب: يستمد الخطاب قوته وسموه من مصدر الخطاب، بما له من أهمية بالغة في طبيعة الخطاب نفسه، ولا سيما إذا كان المخاطب هو الله تعالى فلا بد أن يكون للخطاب قوته الباهرة، والتكرار حين يصدر من هذا المصدر، الذي هو الله تعالى، يكون له الوقع الكبير الذي لا يكون له أن يصدر عن سواه، ويكون له ذلك الأثر الحقيقي النفاذ الذي يحسه كل قارئ للقرآن الكريم.

2- طبيعة الخطاب: ولما كان مصدر الخطاب هو الله تعالى، فكذلك طبيعة الخطاب أنه إلهي، والقرآن كتاب هداية ويشمل التوحيد والذكر والدعاء والدعوة إلى هذا الدين الحق، وكل هذا وغيره، يقتضي التكرار لترسيخها والتذكير بها من حين لآخر، إذ أن الغفلة عنها ضعف وانحلال.

3- تجديد الخطاب: إن غاية الترسيع والتثبيت للقيم الإيمانية، أو القضايا الكبرى التي أولى شأنها القرآن المكّي مساحة تتسع لأهميتها ودورها في مرحلة الدعوة المكّيّة التي تقتضي الحاجة إلى تكرارها، فقد كذب المشركون بيوم الدين على شكل أسئلة متكررة، أو شبه متماثلة، وأكثر الشبه التي أثارها المعاندون قضية البعث بعد الموت، وكان القرآن يدحض مزاعمهم، ويبدئ ويعيد في كثير من السور المكّيّة أو بالأحرى، خلال ثلاث عشرة سنة من الترتيل القرآني في المرحلة المكّيّة. والآيات الآتية خير شاهد على ذلك:

- ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَئِنْدَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: 5].
- ﴿أَئِنْدَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَمْ لَمْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: 49].
- ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: 35].
- ﴿بَلْ قَالُوا أَئِنْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَمْ لَمْبَعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: 82].
- ﴿أَئِنْدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنْدَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: 10].
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِنْدَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا أَمْ لَمْبَعُوثُونَ﴾ [النمل: 67].
- ﴿أَئِنْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَمْ لَمْبَعُوثُونَ﴾ [الصفافات: 16].
- ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَمْ لَمْبَعُوثُونَ﴾ [الصفافات: 53].

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 213.

- ﴿أَعِدَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:3] .

- ﴿أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة:47].

من هنا يتضح سرّ ترديد بعض بيانات القرآن بكثرة، لذلك "فإن المباحث التي تخص مرحلة من المراحل وتمس الحاجة إلى عرضها مرة بعد أخرى كان يجب أن تصاغ في كلّ مرة في ألفاظ مبتكرة وأساليب ناضرة ومحاسن بيانية غضة طريّة تشتتها الأنفس وتلقفها القلوب. وبذلك تصبح كل مرحلة من المراحل متينة القواعد محكمة الدعائم مستقيمة البناء"<sup>1</sup>.

4- تجديد المخاطب(المتلقي): إذا كان الخطاب يتجدد بتجدد الأسئلة، فإنه أيضا يتجدد بتجدد المخاطب؛ إذ أن القرآن الكريم كتاب هداية لجميع الناس في كل العصور، وفي كل عصر يتجدد المعاندون والمكذّبون والمرحفون، والملحدون في آيات الله تعالى، وتبعاً لذلك يتجدد التلقي بتجدد الأحوال والأزمنة، وتجدد الناس الذين يتلقون هذا الخطاب على اختلاف أجناسهم وثقافتهم واستعداداتهم الإيمانية.

## 2- أقسام التكرار في القرآن المكي

ورد التكرار في أسلوب القرآن على مستويات متعددة، مثل تكرار الحروف والكلمات، والعبارات، والجمل، والقصص أو المواقف. ولذلك يمكن تقسيمه إلى قسمين: تكرار لفظي وتكرار معنوي، لكن ستقتصر هذه الدراسة على ظاهرة التكرار اللفظي، باعتبارها سمة من سمات الأسلوب البارزة في الخطاب القرآني في السور المكيّة، كما أن التكرار اللفظي هو أسلوب من أساليب الجملة، الذي يساهم في تشكيل التركيب البيوي للنص، ويثريه بالقيم البلاغية والجمالية والدلالية، وإن تناول ظاهرة التكرار عامّة ليضيق المقام عن استيعابها، ومن هنا سوف تتجنّب الدراسة القضايا غير الأسلوبية. أما معنى التكرار اللفظي، هو أن يعاد اللفظ الواحد بنصّه، وكذا العبارة أو الآية، ويعرفه الزركشي بقوله: "وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى"<sup>2</sup>. ويُقسّم التكرار اللفظي على قسمين أيضاً، هما: التكرار اللفظي المتصل و التكرار اللفظي المنفصل.

<sup>1</sup> أبو الأعلى المودودي، المرجع السابق، ص31.

<sup>2</sup> الزركشي، البرهان، 10/3.



أ- التكرار اللفظي المتصل: وهو ما كرّر فيه اللفظ أو العبارة من غير فاصل بين الأول والثاني. ويمكن حصر مواضع التكرار اللفظي المتصل التي تشمل تكرار الكلمة، وتكرار الجملة أو الآية في الجدول الآتي، ثم يعقبها تحليل يبيّن الدلالات القرآنية من وراء هذا التكرار:

السورة	رقم الآية	مواضع التكرار المتصل
الرعد	5	1-أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْتَابِهِمْ وَأَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
النمل	5	2-أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ
المؤمنون	36	3-هِيَئَاتَ هِيَئَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ
ص	84	4-قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ
الواقعة	8	5-فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
الواقعة	9	6-وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ
الواقعة	10	7-وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
الواقعة	27	8-وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ
الواقعة	41	9-وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ
الحاقة	3-1	10-الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ
المدثر	20-19	11-فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرًا، ثُمَّ قَتِلَ كَيْفَ قَدَرًا
القيامة	35-34	12-أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ، ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ
الإنسان	16-15	13-وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا، قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا
النبأ	5-4	14-كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ
الانفطار	17-16	15-وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
الفجر	22-21	16-إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا
الشرح	6-5	17-فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
القارعة	3-1	18-الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ
التكاثر	4-3	19-كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ
الناس	3-1	20-قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ



من خلال هذا الجدول السابق، يتبين - كما هو واضح - أن مثل هذا النوع من التكرار يجاد يقتصر حضوره على القرآن المكي وذلك لأن المقام الذي ورد فيه التكرار - باستقراء الآيات في الجدول - كان في أغلبه ينحصر في دائرة العقيدة الأخروية، أو بالأحرى ما يتعلق باليوم الآخر، والوعد والوعيد، وهي من القضايا التي تحتاج إلى توكيد وعناية بالغة قصد ترسيخها في الفهم، وإثباتها للذكر، لتكون أمكن في القلب، وأبعد في النسيان، إذ أن العقيدة لها من الأهمية العظيمة في تشكيل شخصية الإنسان بكل أبعادها ولذا كان الحرص على توكيدها في القرآن المكي أمراً تحتمة الضرورة الدينية وتتطلبه مقتضيات الدعوة.

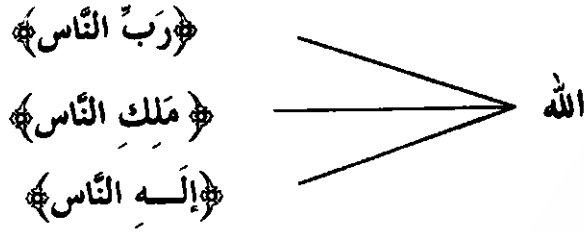
ويمكن إدراج كل الآيات التي ورد ذكرها في الجدول السابق ضمن ما تكرر لفظه ومعناه متحد، وهذا اللون من التكرار من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني، والفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس<sup>1</sup>. ويتجلى هذا التأكيد بوضوح في التكرار الذي نلمسه في سورة "الناس"، تكرر فيها لفظ "الناس" في خمس آيات من السورة، إذ أن في "تكرير كلمة "الناس" في هذه الآيات المرتين الأولين باعتبار معنى واحد إظهار في مقام الإضمار لقصد تأكيد ربوبية الله تعالى وملكه وإلهيته للناس كلهم"<sup>2</sup>. ويرى محمد عبده، أن في إظهار لفظ "الناس" دون إضماره عدولاً أسلوبياً له دلالة الهامة فيقول: "إنما كرر ذكر الناس باللفظ الظاهر دون الضمير لتقرير الأمر فضل تقرير لشدة تعلق الجمهور الأعظم من الناس بخيالهم وتمسكهم بأوهامهم وظنهم أنهم لكونهم ناساً أي بشراً عقلاء متفكرين قد وصلوا فيما تعلقوا به إلى ما هو الصحيح المنطبق على الواقع فأراد أن ينبّه بذكر اللفظ الدال عليهم بجانب كل صفة إلى أن الله هو ربهم وهم أناس متفكرون وهو ملكهم وهم كذلك وإلههم وهم كذلك وباطل ما اخترعوا لأنفسهم بعقولهم من حيث هم بشر فإذا لم يكن للإنسان ربّ ولا ملك ولا إله إلا الله فاستعذبه وحده"<sup>3</sup>. لذلك كان الإظهار أنسب بالإيضاح المسوق له عطف البيان<sup>4</sup>، كما لا يخفى ما لهذا التكرار من دور في تحقيق تماسك السورة ولاسيما ما تضمنته من تكرار لاسم الله مضافاً إليه الناس، وتكرار للنمط النحوي.

<sup>1</sup> ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص111.

<sup>2</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص653.

<sup>3</sup> تفسير جزء عم، ص188.

<sup>4</sup> الفاسمي، محاسن التأويل، 309/10.



وكذلك من تكرار الكلمة، ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 84، 85]، فإن جملة (والحق أقول) جملة معترضة بين المقسم به والمقسم عليه، ومعناه التوكيد والتشديد<sup>1</sup>، في مقابل تأكيد الشيطان الذي أقسم بعزة الله تحقيقاً لقيامه بالإغواء، لذلك قوبل تأكيد عزمه الذي دلّ عليه قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [82، 83] بتأكيد مثله، وهو لفظ "الحق" الدال على أن ما بعده حق ثابت لا يتخلف، ولم يزد في تأكيد الخبر على لفظ "الحق" تذكيراً بأن وعد الله تعالى حق لا يحتاج إلى قسم عليه ترفعا عن جلال الله عن أن يقابل كلام الشيطان بقسم مثله. ولذلك زاد هذا المعنى تقريراً بالجملة المعترضة وهي "الحق أقول" الذي هو بمعنى: لا أقول إلا الحق، ولا حاجة إلى القسم<sup>2</sup>.

وكما يرد التكرار في الاسم الظاهر، فإنه يأتي كذلك في الضمائر، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾ [النحل: 5]، فقد جاء تكرار الضمير ليحقق الخسارة، ويؤكد لها، فالضمير الأول (وهم) يفيد تعيين هؤلاء الذين لهم سوء العذاب، والضمير الثاني يعمل على تأكيد إلحاق العذاب بهم، وتحقيق الخسارة<sup>3</sup>. وكذا يأتي التكرار في أسماء الإشارة، كما في الآية الخامسة من سورة الرعد-المذكورة في الجدول-التي كررت فيها لفظة (أُولَئِكَ) ثلاث مرات وذلك لمكان شدة النكير، وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث<sup>4</sup>، وأمثال هذا في القرآن كثير.

<sup>1</sup> الكشاف 108/4.

<sup>2</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثالث والعشرون، ص 306.

<sup>3</sup> السيد أحمد عبد الغفار، قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه، ص 297.

<sup>4</sup> فضحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، ص 440.

هذا من حيث تكرار الكلمة، أما تكرار الجملة فهو أبرز سمات التكرار في القرآن المكي وينشأ بذاته ظاهرة أسلوبية تثير الانتباه، وهذه الظاهرة نلمسها في الربع الأخير من القرآن الكريم ولاسيما في المفصل منه، يقول الله تعالى في سورة التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [3-5]. يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآيات: "(سوف تعلمون) إنذار ليخافوا فينتبهوا من غفلتهم، والتكرير: تأكيد للردع و الإنذار عليهم. و(ثم) دلالة على أن الإنذار الذي أبلغ من الأول وأشد.. والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدأمكم من هول لقاء الله. وإن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة بكم"<sup>1</sup>. ويرى أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي في تكرير ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أنه تهديد ووعيد وقد ناسبه التكرير تحقيقاً وتثبيتاً<sup>2</sup>. وإلى جانب تكرار الآيتين باللفظ والمعنى، تكرر فيهما النمط النحوي.

أما قوله تعالى في سورة الشرح: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾، فهناك من لم يعتبره تكراراً، وكان الجملة الثانية تتضمن خبراً ليس في الأولى وهذا ما ذهب إليه الكرماني معللاً ذلك بقوله: "لأن المعنى: إن مع العسر الذي أنت فيه من مقاساة الكفار يُسرًا في العاجل، وإن مع العسر الذي أنت فيه من الكفار يُسرًا في الآجل، فالعسر واحد، واليسر اثنان"<sup>3</sup>. وبهذا يكون حسب قوله -عسر واحد في مقابل يسرين، بدليل تنكير "يسر" في الجملتين، وإلى هذا الرأي ذهب ابن خالويه مبيناً أن العسر الثاني هو العسر الأول، واليسر الثاني غير الأول، لأنه نكرة، والنكرة إذا أعيدت أعيدت بألف ولام... فلما ذكر اليسر مرتين، ولم يدخل في الثاني ألفاً ولا ما، علم أن الثاني غير الأول"<sup>4</sup>.

إلا أن البعض الآخر من المفسرين أثبتوا التكرار في الآيتين، باعتبار أن الآيتين تضمنتا موعظة وبشرى عامة من الله لعباده، بأن العسر يتبعه اليسر، وتأكد ذلك بـ(إن) المؤكدة للخبر، وزيد تأكيداً بالتكرير وتوسيع التأنيس بالإشعار الحاصل من تنكير اليسر وتعريف العسر، فإن العسر إذا أعيدت الاسم بأداة العهد -وهي الألف واللام- كان المذكور ثانياً هو المذكور أولاً وسواء كان

<sup>1</sup> الكشاف 4/ 793. وانظر: تفسير القاسمي، 242/10. ومحمد عبده، تفسير جزء عم، ص152. وانظر: تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص521.

<sup>2</sup> ملاك التأويل، تحقيق: سعيد الفلاح، ط1، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/1983م، 1149/2.

<sup>3</sup> أسرار التكرار في القرآن، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1983، ص221.

<sup>4</sup> إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص142.

المذكور أولاً نكرة أو معرفة<sup>1</sup>. ويميل محمد عبده إلى هذا الرأي معتبراً (أل) في العسر للاستغراق ولكنه "استغراق المعهود عند المخاطبين من أفراده أو أنواعه"<sup>2</sup>. ثم يخلص إلى القول بأن كل عسر فمعه عسر يسوقه الله إلى العامل الآمل العاقل جزاء عمله وأن تنكر اليسر لأنّ الذي يأتي بعد العسر أي نوع من أنواعه لا يختص بيسر معين والتعبير بالمعية لتوثيق الأمل بأنه لا بد منه كأنه معه إذا علمت أن مع العسر يسراً فاعلم أن مع التعب في العمل النافع راحة"<sup>3</sup>.

أما صاحب التحرير والتنوير فيعارض الرأي الأول الذي ينفي التكرار في الآيتين، مناقشاً أدلتهم، منطلقاً من الأسلوب العربي الذي يساعد على ذلك، باعتبار أن جملة (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) مؤكدة لجملة (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)، وفائدة هذا التأكيد تحقيق اطراد هذا الوعد وتعميمه لأنه خير عجيب<sup>4</sup>. ويفهم من ذلك أن الحكم المستفاد من هذه الجملة هو ثبوت التحاق اليسر بالعسر عند حصوله، والتكرير يستلزم قوة الشيء المكرر فكانت القوة لآزَمَ لآزَمَ التثنية وإذا تعددت اللوازم كانت الكناية رمزية وذلك اقتضى أن الآية غير خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بل تعمه وأمته<sup>5</sup>. وقد عضد هذا الرأي كلٌّ من الزمخشري<sup>6</sup> وابن هشام<sup>7</sup> وابن قتيبة<sup>8</sup>.

فهذا اللون من التكرار في القرآن الكريم والذي يمكن أن يطلق عليه بالتكرار الموضوعي، يراد به في المقام الأول التأكيد للمعنى الذي كرّر به اللفظ، لأن العرب متى تهممت بشيء أرادت له لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنها تقيم مكان القسم عليه والاجتهاد في الدعاء عليه حيث يقصد الدعاء<sup>9</sup>، ويؤيد ابن يعيش جدوى التأكيد -من وراء التكرار- فيقول: "أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجت أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصدده فأزلته"<sup>10</sup>. ويكون التأكيد غاية التكرار المتصل إذا اقتضاه

<sup>1</sup> ابن الزبير الفرناطي، ملاك التأويل، 1147/2.

<sup>2</sup> تفسير جزء عم، ص 118.

<sup>3</sup> نفسه، ص 120.

<sup>4</sup> التحرير والتنوير، الجزء الثلاثون، ص 415.

<sup>5</sup> نفسه، الجزء الثلاثون، ص 416.

<sup>6</sup> الكشف، 771/4.

<sup>7</sup> مغني اللبيب، ص 862.

<sup>8</sup> تأويل مشكل القرآن، ص 236.

<sup>9</sup> ملاك التأويل، 1130/2.

<sup>10</sup> شرح المفصل، د. ط، بيروت، عالم الكتب، د. ت، 40/3.

المعنى، وطلبه السياق، فكان له فائدة في كمال المعنى وتجليته، وهذا حدُّ يجب أن يُراعى في التكرار - كما يقول ابن سنان الخفاجي -: "فمتى وجدت المعنى عليه، ولا يتم الآبه، لم تحكم بقبحه، وما خالف ذلك قضيت عليه بالاطراح وسوء الصناعة"<sup>1</sup>.

ثم إن هذا التكرار المتصل، يمدّون أن يجد منه القاريء أو السامع شيئاً يلفته إليه، إذ يقع في موضع من السورة على نحو مألوف للأذن، على ما جرت به الأساليب البيانية في اللغة فمثل هذا التكرار لا يجابه حاسة السمع بجديد لم تألفه الأذن من إعادة الجملة أو بعض أجزائها، بصورتها الكاملة، أو بتغير بعض حروفها أو حركاتها، فذلك مما وقع كثيراً في أساليب الخطاب في لغتنا العربية"<sup>2</sup>.

إلى هنا يمكن اعتبار التكرار المتصل خاصية أسلوبية بارزة وواضحة في الأسلوب المكي من الخطاب القرآني، الذي استدعته حال الدعوة في مرحلتها المكية، ولا سيما في القضايا التي كانت ولا تزال ذات شأن وخطر في الحياة الروحية والنفسية للإنسان، وموقفه من اليوم الآخر، لأن "ترك التكرار في الموضوع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة إليه فيه، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركة وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها"<sup>3</sup>.

### ب- التكرار اللفظي المنفصل

وهو ما كررت فيه العبارة مفصولة عن الوضع الذي وردت فيه بفاصل قد يطول وقد يقصر، ويشمل تكرار جملة أو آية أو عدة آيات. وهذا اللون من التكرار، جاء به القرآن على صورة غير مألوفة، لذلك كان الاتجاه البارز لدى العلماء تفسير هذا النوع من التكرار إلى جانب ما يؤديه من معنى التوكيد والتقرير، هو أن السياق استدعى تكرار الآية المكررة، وأنها تتعلق بغير ما تعلقت به الآية الأولى، أي بتعبير أوضح، هو تكرار في الظاهر فقط، أما في الحقيقة فإنه تأسيس لمعنى جديد.

وقبل التعرض إلى بيان التكرار المنفصل من حيث قيمته الأسلوبية والدلالية، لامناس من استقصاء مواضعه في القرآن المكي لمعرفة سياقاته وعدد تكراره، ويظهر ذلك جلياً من خلال الجدول الآتي:

<sup>1</sup> سر الفصاحة، ص 107.

<sup>2</sup> عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ط1، بيروت، دار الفكر العربي، 1974، ص 393.

<sup>3</sup> الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 52.

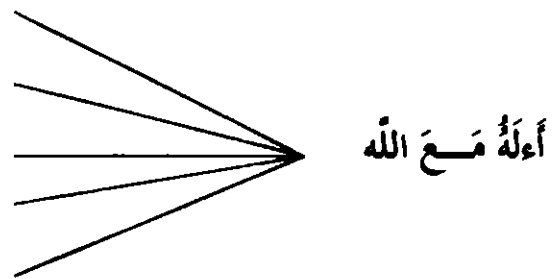
عدد تكرارها	رقم الآية	السورة	مواضع التكرار المنفصل
8	(8، 9) - (67)، (68) - (103، 104) - (121، 122) - (139)، (140) - (158، 159) - (174، 175) - (190، 191)	الشعراء	1- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وقبلها في كل مرة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
5	63، 62، 61، 60 64،	النمل	2- ﴿أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾
4	30، 21، 18، 16	القمر	3- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾
4	40، 32، 22، 17	القمر	4- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ﴾
2	39، 37	القمر	5- ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾
31	، 21، 18، 16، 13 ، 30، 28، 25، 23 ، 38، 36، 34، 32 ، 47، 45، 42، 40 ، 55، 53، 51، 49 ، 63، 61، 59، 57 ، 71، 69، 67، 65 77، 75، 73	الرحمن	6- ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
10	، 28، 24، 19، 15 ، 45، 40، 37، 34 49، 47	المرسلات	7- ﴿وَنِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

فكما هو واضح - من خلال الجدول السابق - أن تكرار الآية يتخلل السورة الواحدة في بعض أجزائها، أو يمتد ويطول في سلسلة تنتظم السورة كلها، وتأخذ بها من جميع أطرافها، كما في سورة القمر، والرحمن، والمرسلات، فلقد تكررت مقاطع خاصة في هذه السور الثلاث مرات، وبصورة واحدة، دون تحوير أو تبديل فيها.

فتكرار قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ هو حثٌ على العظمة والاعتبار والتأمل، وقد كانت ممكنة في موضعها في كل مكان حلت فيه، وإن الذي يتتبع مواضع تكرارها من السورة يرى بأنها تأتي بعد كل تنبيه من الله تعالى للخلق ليتأملوا في آياته العجيبة في السماوات والأرض، وما تتضمن من دلائل قدرة الخالق الواحد، ويأخذوا العبرة والعظة من أحوال الأمم الذين كذبوا الرسل، ولما لم تنفعهم أمثال تلك الآيات العظام لمكابرتهم وعتوهم، ناسب حثهم هذه الآيات أو التذكير بعزته ورحمته، فهو "العزیز" المنتقم من أعدائه الكفرة، "الرحيم" بأوليائه، ولئن تاب وآمن وعمل صالحاً<sup>1</sup>. كما أن هذين الصفتين يناسبان تمام المناسبة السياق الذي يردان فيه، ومقام المخاطبين الذين ﴿مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهم مشركو أهل مكة؛ فتحذاهم بوصفه تعالى بالعزة. أي تمام القدرة ليعلموا "أنه لو شاء لعجل لهم العقاب، وبوصف الرحمة إيماء إلى أن في إمهالهم رحمة بهم لعلهم يشكرون"<sup>2</sup>، لذلك كررت تلك الآية عقب كل ما يجدر أن يكون عظة يُعتبر بها.

أمّا تكرار الاستفهام في قوله تعالى من سورة النمل: ﴿أَأَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ فلايات وحدانية الله تعالى في الخلق والإنبات والرزق والهداية، وكان القرآن- بهذا الاستفهام التقريري- ينطق ألسنتهم بالحق؛ بأنهم "معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق. وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة، من هو المتفرد بالخلق والرزق"<sup>3</sup>. لذلك كان الخطاب الموجه إلى المشركين بأسلوب الاستفهام الإنكاري المشوب بالتوبيخ على الإشراك مع وضوح الدلالة على أن الله تعالى هو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، وكان تذييل الاستفهام المكرر بجملة تناسب الاستدلال الذي قبلها، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

- 1- ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [60]
- 2- ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [61]
- 3- ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [62]
- 4- ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [63]
- 5- ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [64]



<sup>1</sup> الكشاف 300/3، وانظر: ص 317.

<sup>2</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء التاسع عشر، ص 102.

<sup>3</sup> ابن كثير، 3/1381.



فهذه الآيات المذيلة للاستفهام الإنكاري المتكرر جامعة لأسباب ضلالهم ولصفاقتهم التي طبعوا عليها؛ إذ نعتهم القرآن بأنهم في إشراكهم معرضون إغراض مكابرة عدولا عن الحق الواضح، نأب عنهم في الثانية صفة العلم عن أكثر المشركين لقلّة نظرهم وتدبرهم، والتعجب من حالهم لقلّة تذكّرتهم في الثالثة، وتزيه الله تعالى عن إشراكهم معه آلهة في الرابعة، وإذ قد كانوا منكبين للبعث ذُيّلَت الآية الخامسة بأمر التعحيز بالإتيان ببرهان على عدم البعث. وعلى هذا تكون الآيات التي تخللتها الآية المكررة [60-64] قد فصّلت الاستدلال على أحقية الله تعالى بالإلهية وحده، كما استوفت دلالة الاستفهام التقريري في قوله تعالى في مقدمة الأدلة ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وتكرر في سورة القمر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ وهو تحذير كسابقه؛ إذ تتعلق الآية في كل مرة بغير ما تعلقت به سابقتها، أي بمثابة "التعقيب الذي يتكرر. بعد كل مشهد يصور.. ويقف السياق عنده بالقلب البشري يدعو دعوة هادئة إلى التذكر والتدبر، بعد أن يعرض عليه حلقة من العذاب الأليم الذي حلّ بالمكذّبين"<sup>1</sup>. ويفسر الزمخشري الآية: أي سهّلتنا للدكار والاعتاظ، بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ. وقيل: ولقد سهّلتنا للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليعان عليه<sup>2</sup>. فقد ذكّرت السورة مصارع المكذّبين من الأمم السابقة الذين سلّكوا من قبل مسلّكهم، بادئا بقوم نوح ثم قوم هود وصالح و لوط إلى آل فرعون وهو آخر مشهد من مشاهد العذاب والنكال، ليتوجه القرآن إلى المشركين من أهل مكة بالخطاب، يحذرهم مصرعا كهذه المصارع. وينذرهم ماهو أدهى وأفظع بادئا بقوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَانِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [43]. أي "أن كفاركم مثل أولئكم بل شر منهم أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة. أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله"<sup>3</sup>. ولذا كان التكرار في سورة القمر موازيا لتكرار المثالات التي نزلت بالضالين المكذّبين لرسول الله، وما ساق الله إليهم فيها من مهلكات، هي أو مثلها نذر للضالين المكذّبين بمحمد وهي ليست بعيدة منهم وإذ قد أصابت إخوة لهم من قبل<sup>4</sup>. إلا أن المشركين لما ظلّوا معرضين عن استماع القرآن حارمين أنفسهم من فوائده ومواعظه البالغة، ذُيّل كل خير من أخبار

<sup>1</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 6، الجزء السابع والعشرون، ص 3431.

<sup>2</sup> الكشاف 4/435.

<sup>3</sup> الكشاف 4/440.

<sup>4</sup> عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ص 413.



أولئك الأقسام "بتنويه شأن القرآن بأنه من عند الله وأن الله يسره وسهله لتذكر الخلق بما يحتاجونه من التذكير مما هو هدى وإرشاد... تبصرة للمسلمين ليزدادوا إقبالا على دراسته وتعريضا بالمشاكل عسى أن يرعوا عن صدورهم عنه كما أنبا عنه قوله "فهل من مدكر"<sup>1</sup>. ويلحق بذلك تكرار قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ وهو سؤال متوجه إلى أولئك المعاندين المكذبين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم- لينظروا نظر اعتبار في مصائر أولئك الأقسام عسى أن يجدوا الجواب حاضرا هناك، إذ أن هذا الاستفهام يتكرر بين كل قصة وأخرى للتهكم والاستنكار. كما أنه مستعمل في التشويق للخبر الوارد بعده وهو مجاز مرسل لأن الاستفهام يستلزم طلب الجواب والجواب يتوقف على صفة العذاب وهي لما تذكر فيحصل الشوق إلى معرفتها وهو أيضا مكثي به عن تحويل ذلك العذاب<sup>2</sup>، لأن مقام التهويل والتهديد يقتضي تكرير ما يفيدهما<sup>3</sup>.

وعلى النسق السابق تكرر قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ففسدت تكررت هذه الآية كثيرا فأنت عقب بضع آيات أول السورة، ثم عقب كل آيتين، أو كل آية. وتأتي هذه الآية المكررة مصاغة بأسلوب الاستفهام التقريري والتوبيخي في آن، و"إنها وإن تعددت، فكل واحد منها متعلق بما قبله، وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن، وعدد عليهم نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فضلا من فضول النعم طلب إقرارهم، واقتضاهم الشكر عليه وهي أنواع مختلفة وصور شتى"<sup>4</sup>.

أما صاحب الإيضاح فيرى أن هذه الآية كررت لتعدد المتعلق، لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة، وعقب كل نعمة بهذا القول، ومعلوم أن الغرض من ذكر عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى<sup>5</sup>. وعلى هذا تكون دلالة التوبيخ والتقريع للمشركين على أن "أشركوا في العبادة مع المنعم غير المنعم، والشهادة عليهم بتوحيد المؤمنين، والتكذيب مستعمل في الجحود والإنكار"<sup>6</sup>. وعليه يكون تكرار ذلك الاستفهام من قبيل أنه توبيخ على عدم الاعتراف بنعم الله تعالى، جيء به بمثل ما جيء به في نظيره الذي سبقه ليكون التوبيخ بكلام مثل سابقه، وذلك تكرير من

<sup>1</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء الثامن والعشرون، ص 187-188.

<sup>2</sup> نفسه، ص 191.

<sup>3</sup> نفسه، ص 195.

<sup>4</sup> الزركشي، البرهان 18/3. وانظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 239.

<sup>5</sup> الخطيب القرظي، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 304.

<sup>6</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء السابع والعشرون، ص 243.

أسلوب التوبيخ ونحوه أن يكون يمثل الكلام السابق، فحق هذا أن يسمى بالتعداد لا بالتركار، لأنه ليس تكريرا مجرد التأكيد<sup>1</sup>. ويرى أحمد بن الزبير الغرناطي أن القرآن أعقب- في سورة الرحمن- كَلِمَةً قصة بتقرير الثقلين وتعجيزهم لقيام الحجة عليهم فقال: ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وتكررت الآية بتكرار القضايا، وكلها مما لا مطمع لأحد في ادعائه، فقامت الحجة بها<sup>2</sup>. كما أن ربوبية الله تقتضي الاعتراف له بنعمة الإيجاد والإمداد وتحصل من تماثل الجمل المكررة فائدة التأكيد والتقرير أيضا<sup>3</sup>.

وفي سورة المرسلات تكرر قوله تعالى: ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ وهو تكرر على نسق التكرار الوارد في السور السابقة، أي أن الآية وإن تعددت، فكل واحد منها متعلق بما قبله؛ وإن الناظر إلى هذه السورة يجد أنها تتحدث عن بعض حقائق الكون والنفس، وعن وقوع اليوم الآخر وتصفه، لذا يكون حمل هذه الجملة المنذرة عن نظائرها الآتية في هذه السورة "يقتضي أن تجعل استئنافا لقصد تهديد المشركين الذين يسمعون القرآن، وهويل يوم الفصل في نفوسهم ليحذروه، وهو متصل في المعنى بجملة ﴿إِنَّ مَا تَوْعَدُونَ لَأَوَاقِعٌ﴾ اتصال أجزاء النظم"<sup>4</sup>، لأن معنى الآية هو الوعيد بالعذاب والهلاك للمكذبين يوم القيامة، وأن تكرر هذه الآية المهلكة يُعدّ تأكيدا لمعنى التهديد الذي يوحي بالرهبة والخوف، ويملاً القلب رعباً<sup>5</sup> من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب.

أما لتعليل ورود هذه الآية بعد ذكر جزاء المتقين، يقول الفخر الرازي: "اعلم أن هذا هو النوع الثامن من أنواع تهديد الكفار وتعذيبهم، وذلك لأن الخصومة الشديدة، والنفرة العظيمة كانت في الدنيا قائمة بين الكفار والمؤمنين. فصارت تلك النفرة بحيث أن الموت كان أسهل على الكافر من أن يرى للمؤمن دولة وقوة، فلما بين الله تعالى في السورة اجتماع أنواع العذاب والحزني والنكال على الكفار، بين في هذه الآية اجتماع أنواع السعادة والكرامة في حق المؤمن، حتى أن الكافر حال ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والحزني والخسران، ويرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 246.

<sup>2</sup> ملاك التأويل 1063/2.

<sup>3</sup> تفسير التحرير والتنوير، الجزء السابع والعشرون، ص 246.

<sup>4</sup> نفسه، الجزء التاسع والعشرون، ص 427.

<sup>5</sup> انظر الآيات: 41-44.

والمقبة، تتضاعف حسرتة وتترايد غمومه وهمومه، وهذا أيضا من جنس العذاب الروحاني، فلهذا قال في هذه الآية: ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾<sup>1</sup>.

وبعد هذا البيان لجملة الآيات التي يشملها التكرار المنفصل تجدر الإشارة إلى أن هذا التكرار المتعدد يُعدّ من بين مقتضيات الأسلوب القرآني، وأحد مقوماته الوظيفية والجمالية؛ إذ أنه على تعدده في السورة الواحدة، إلا أنه لم يحدث اضطرابا في الأسلوب، أو ثقلا على السمع كما يظهر ذلك في الأساليب العادية، وإنما كان في المواضع التي جاء فيها نغما جديدا من أنغام الحس الرائع، "وأنت إذ تقرأ هذه السور الثلاث [القمر، الرحمن، المرسلات]، تجد لهذه الآيات في سورها موقعا غير الموقوع الذي وجدته حين قرأتها وحدها بعيدة عن الجو الذي يحيط بها، فيما بين يديها وما خلفها من آيات! وهنا يتجلى لك إعجاز القرآن، ويبدو لك من هذه الآيات - في روعة نظمها، وحسن نغمها - ما لم يد لك من قبل"<sup>2</sup>. وقد توقف الزمخشري عند دلالة هذا النوع من التكرار بقوله: "فائدته أن يجدوا عند استماع كل نبي من أنباء الأولين أدكارا واطعانا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعق لهم الشن تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة، وهذا حكم التكرير"<sup>3</sup>.

ومن ثم يمكن اعتبار التكرار بنوعيه؛ المتصل والمنفصل سمة أسلوبية طبعت القرآن المكي بنمط تعبيرية خاص منحه إيقاعا يخضع لمحتويات أغراضه في أوسع معانيه، فجاء أخف وقعا وألطف مدخلا على الأذن من الشعر بجميع ما فيه من ألوان النغم والموسيقى فيجتمع بذلك غرضان؛ الإمتاع والإقناع، ويظهر ذلك بشكل واضح ومثير في قضايا العقيدة، إذ أن التكرار من أهم الوسائل التي تستخدم في الخطاب لتقرير الحقائق وبت الفكرة في نفوس الناس وترسيخها في قلوبهم حتى تصبح عقيدة راسخة. ومن هنا تبرز وظيفته الإقناعية التي تتجلى في بلاغة تعبيره، وقدرته على مراعاة المواقف النفسية للمخاطبين، فهو أسلوب تقتضيه مقامات السامعين، وحالاتهم المختلفة، كما أن له استعمالات دقيقة لا يمكن أن يستغني عنها أي تعبير بليغ. ومهما يكن من شيء، فلتكرار القرآن دلالة الفنية التي لا يسبر غورها إلا ذو الفكر المتأمل والذوق السليم، وليس للمرء - بعد - إلا أن يُقر بالعجز أمام هذه البلاغة العالية.

<sup>1</sup> التفسير الكبير، ط2، طهران، دار الكتب العلمية، د.ت، الجزء الثلاثون، ص282.

<sup>2</sup> عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ص399.

<sup>3</sup> الكشاف 4/439.

وجملة القول فيما تقدم أن السمات الأسلوبية البارزة في القرآن المكي من حيث المستوى التركيبي العام تتحلّى من خلال بنيتها الأسلوبية المقتصدة للوحدات اللغوية القائمة على الإيجاز والتكثيف المعنوي، ويظهر ذلك في قصر الجمل والآيات وبساطة التركيب الجملي في أسلوب يجمع بين الإمتاع بالقيم الجمالية الفنية، والإقناع بالقيم المعنوية والحقائق الدينية، وهو أسلوب يوافق وجهة الكلام العربي الذي يميل إلى الإيجاز والاقتصاد في القول. كما تتحلّى أيضا من خلال تكريس لأساليب الإقناع والتوكيد والمثثلة في أساليب لغوية بارزة في مساحة السور المكية وهي: أسلوب الاستفهام، والقسم، والتكرار. والجامع في أهمية توظيف هذه الأساليب هو ملاءمتها لمقام الدعوة في المرحلة المكية التي تتحرّى - في تقرير الحقائق وتثبيت الأسس - أساليب الترسخ والتأثير والإقناع التي تُكسب الخطاب القوة البلاغية والدلالية في آن، وذلك ما تقتضيه المواقف القرآنية في السور المكية، التي ما فتت تخاطب في الإنسان وجدانه قصد شحنه بالعقيدة الصحيحة، وتخاطب فيه عقله قصد تنويره بالتصور الحق للحياة والإنسان والكون والأشياء.



أَتَمَّتْ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبعد هذه الوقفة المتواضعة في رحاب القرآن الكريم، والتي تركّزت في ناحية من نواحي بنائه اللغوي ألا وهي "خصائص أسلوب الخطاب في السور المكية"، حريٌّ بنا القول أن البحث من أوله إلى آخره لم يكن ليبحت عن حدود فاصلة بين المكي والمدني من الوجهة الأسلوبية أو البلاغية؛ إذ ليس في القرآن ما يعلو بعضه بعضا في البلاغة، وإنما فيه ما يفترق بعضه عن بعض في صورة النظم والتأليف تبعا لطبيعة المعنى والغرض، وكلُّ في الصورة التي ليس وراءها غاية في حسن العرض وجمال النسق وروعة الأداء، وقوة التأثير. كما أن هدف البحث كان يرمي إلى محاولة تلمّس العلامات الرئيسية التي برزت في أسلوب القرآن في المرحلة المكيّة، وترجع هذه العلامات - كما تبين ذلك من خلال فصول البحث - إلى سياق الأسلوب وشكله، ومناسبته للموضوع في المرحلة الأولى من الدعوة.

لذلك يمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصلت إليها حول موضوع البحث في النقاط التالية:

أولا- أن القرآن الكريم لم يخضع في خطابه لضوابط أسلوبية تُطبَّق بشكل قاطع، بقدر ما كان موافقا- في أسلوب خطابه - لمقتضيات الأحوال ومتطلبات السياق، مراعيًا في ذلك: الموضوع، وضمان المتلقين على اختلاف أنماطهم وأحوالهم، وحال الدعوة وسيرها المتدرج من مرحلة إلى أخرى.

ثانيا- لم يكن القرآن في أسلوبه على النمط التألفي المألوف من الأعمال الأدبية في نمو الفكرة والتطور المتناسق، والترتيب المنطقي المطّرد، وإنما هو ثمرة للتفاعل مع الواقع التاريخي و الذي يتجلى من خلال مواكبة التزليل القرآني لحال الدعوة وذلك من حيث الأسلوب والمضمون.

ثالثا- الخصائص الأسلوبية في دلالتها ودقتها وشمولها يمكن اعتبارها ضوابط مكّملة للضوابط الموضوعية؛ إذ أن الضوابط المضمونية بمفردها لم تكن قادرة على الحصر، ولم تحسم الأمر في السور المختلف فيها من حيث انتمائها من النوازل المكيّة أو المدنيّة.

رابعا- باستقراء الملامح الأسلوبية للطابع المكي في السور المكيّة، ألحق البحث بعضا من السور المختلف فيها والمعدودة في كثير من المصاحف من بين السور المدنيّة بالسور المكيّة، والتي هي: سورة الرعد، والحج، والرحمن، والتغابن، والإنسان، والزلزلة.

خامسا- توصل البحث إلى اعتبار قضية "أسباب النزول" و "نزول القرآن منجما" دليلين واضحين وكافيين على أن القرآن الكريم كان يراعي الموقف ومقتضى الحال في مختلف أساليب خطابه، لأنّ

اكتشاف الدلالات في النصوص لا تتم بمعزل عن دراسة سياق النصوص أو معرفة بالوقائع التي تحدد الإطار الواقعي الذي يمكن فهم الآية أو الآيات من خلاله، لذلك كان أسلوب القرآن حياً ومقنعاً ومؤثراً في آن واحد، بخلاف لو أنزل القرآن جملة واحدة، كما كان يتمنى الكافرون.

سادسا- أمّا من حيث المستوى الصوتي، فقد توصلت إلى عدة سمات إيقاعية تزخر بها السور المكية مما يجعلها متميزة بطابعها الأسلوبي، ويتجلى ذلك في العلامات التالية:

1- الإيقاع بالجرس الذي يشاكل المعنى و الذي يتجلى من خلال صفات حروف الألفاظ من ناحية أنها جاءت معبّرة-صفة ومخرجا-عن الحدث بكل أبعاده، فساهمت إلى حد بعيد في تقريب الدلالة للمتلقى. ومن ناحية أخرى، نجد أن كثيرا من الألفاظ قد اتسمت بحروفها بخاصية المحاكاة التي ساهمت في تقريب الصورة الحسية، وكأن المتلقي يسمعها أو يشتمها، أو يراها ماثلة أمام ناظره، ويتأتى ذلك بتطابق أو توافق الإيقاع الصوتي للكلمة مع معناها الدلالي. وقد تواتر هذا أكثر في مقام تصوير أحداث يوم القيامة.

2- يشكّل الجناس عنصرا هاما في إثراء المنظومة الإيقاعية للسور المكية؛ إذ أن المماثلة في حروف الكلمات أو التماثل بنوعيه-الجزئي والكلّي-في الحركات والسكنات، قد ساهم في الملاءمة بين وحدات الآية لتوفير التناسب الإيقاعي.

3- أن الغالب في ألوان الجناس التي تواترت في خطاب القرآن المكي، جناس الاشتقاق القائم على حروف تشترك من الواجهة الإيقاعية مما زاد في عمق المعنى وتصوير الدلالة.

4- إن استخدام القرآن للجناس كان استخداما وظيفيا، فحضوره لم يكن عبثيا، أو أنه خارج عن السياقات باعتباره محسّنا بديعيا يرضي الأذن بالنغم القائم على التناسب الصوتي والتقابل الإيقاعي منقطعا عن الدلالة والإفادة، بل رفعه الأسلوب القرآني من مجرد البهرجة البديعية والعبثية التي لا تسهم أو تؤثر في المعنى إلى أداة أسلوبية لا تطفئ على أداء المعنى أو تعطيل الإفادة، وإنما تسهم في تصوير الدلالة وشحنها بقوة الإقناع والتأثير وشدّ الانتباه إلى جانب الإمتاع والإهمار الفني البديع.

5- يشكّل قالب الصوتي المكرّر لبعض التراكيب اللغوية ضمن الخطاب القرآني حيزا كبيرا من التشكيلة الإيقاعية في السور المكية، مما أسهم في تلوين الإيقاع وإثراء النغم بجماليات الإيقاع المتوارن.

6- إن تكرار القالب النمطي في السور المكية جاء نتيجة لتوافق وتطابق صوتي، إمّا على مستوى أركان العبارة، وإمّا على مستوى الحركات و السكنات، لكنه في المحصلة لم يكن تكرار على مستوى

الدلالة، وإتاما الذي أفرز الدلالة وجلاها هو ذلك التقابل والاتساق وما تضمّنه القالب الصوتي من آليات لغوية كالطباق والمقابلة والتضاد والمزاوجة والازدواج، لإبراز البنى المتقاربة إيقاعياً.

7- مراعاة الفاصلة بين الآيات من أهمّ الفروق الأسلوبية بين القرآن المكي والقرآن المدني وهي مراعاة تُؤكّد تماثل النص القرآني مع النصوص الأخرى العربية في آليات الخطاب، إلا أن الصورة الصادقة الصحيحة للشجع ومقطعاته وفنونه فإنّما هي في القرآن؛ حيث يمكن أن يرى المرء في السجع القرآني فناً وذوقاً وجمالاً وتأثيراً نافذاً وقوّة أداء.

8- كانت الفاصلة القرآنية في السور المكية ضرورة إيقاعية لحفظ التوازن القائم في أغلب السورة ذاتها، وما ذلك العدول الإيقاعي أو ما يسمّى بـ "الانحراف عن الأصل" الذي وقع على مستوى الفواصل في كثير من المواضع إلا لأجل سلامة الإيقاع والإبقاء على التناسب دون الإخلال بالمعنى، وذلك قصد الجمع بين غرض التأثير وتمكين المعنى أقوى تمكين وأحسنه.

9- تضمّنت أغلب السور المكية أنماطاً متعددة من الفواصل، وذلك تبعاً لما يفرضه كل مقام؛ إذ إن الدلالة هي الموجّه الرئيس لنمط الفاصلة القرآنية، أي أن المزاوجة بين ألوان الفواصل داخل السورة الواحدة لم يكن إلا مراعاة للموضوع وللنمط؛ فالفاصلة في مقام القص، غيرها في مقام التقرير، وفي موضع الوعيد غيرها في موضع الوعد والترغيب والتبشير، ومثل هذا مطّرد في مراعاة سياقات النظم القرآني في السور المكية، ليتعانق الغرض الديني بالتأثير البياني في لون موسيقيّ تهتّر له القلوب حين يطرق الأسماع.

10- تميّزت الفواصل المكية بأنماط مختلفة تواتر شيوعها في أغلب السور، وهي: الفواصل المتوازية، والمتطرفة، والمتوازنة، مما يمثل قمة الإيقاع الموسيقي في السور المكية؛ فاتحاد المقاطع في أواخر الكتل الصوتية، بحيث نسمعها منسجمة متزنة تشعرنا بسهولة ترديدها، وتبعث فينا الرضا والاطمئنان إليها، وهذا من أهمّ السمات الإيقاعية في القرآن المكي.

11- في تحلّف الفاصلة في ثنايا السورة ذات نمط الروي الموحد، برهاناً دامغ على أن النغم القرآني ليس مجرد ألفاظ أو أوزان، بل إن له صلة بالمعاني وارتباطاً وثيقاً بها، أي بمعنى أن الدلالة في النظم القرآني هي المقصد الأول، وأنّ الفاصلة بريئة من كل تكلف، حيث تتبّع فيها الألفاظ المعاني، وتنهض خير نهوض بما تتطلبه هذه المعاني، بل كانت جزءاً من مكوناتها، وبها تكتمل الدلالة فلانقص ولا زيادة ولا تكرار لضرورة السجع.



12- تميّزت الفواصل المكية بدلالاتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، ومراعاتها في الآيات للنظائر، فضلا عن خاصية التناسب بين الصوت والمعنى، كل ذلك بلغ بالآيات المكية قمة الشعرية المؤثرة وإن لم يرتكز على التفاعيل والأوزان وأعاريض الشعر المألوفة.

13- وقد رأى البحث في فواتح السور المكية ذات الحروف المقطعة دلالة صوتية لأنها مجانسة لأسلوب القرآن المكي في ذاته، باعتبارها ضربا من الإثارة وأداة للتنبيه والمفاجأة التي ما فتئت تبهر بلغاء العرب بأسرار النظم الإلهي المعجز.

14- بالحروف المقطعة يكون النص القرآني قد خالف بين أجزائه (بين المكي والمدني) من جهة، وخالف بين ذاته وبين غيره من النصوص من جهة أخرى، ولم تكن هذه المخالفة إلا آلية من آليات النص القرآني حقق بها تميّزه وأكد بها تحدّيه في المكان والزمان.

سابعا: قد تبّعت الدراسة الصرفية إلى أهم الوحدات الصرفية التي طبعت البنية الصرفية للقرآن المكي بعدة سمات يمكن اعتبارها علامات محورية في أسلوب السور المكية، ولعل أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة ملخصة كما يلي:

1- توفر القرآن المكي على خاصية العدول الصيغي القائم على الاختيار الأسلوبي أو المفاضلة بين الصيغ توخيا للأنسب من حيث استيفاء الدلالة المنوطة بالسياق، وهذه دقة بيانية لم يكدها يخطئها موضع واحد من مواضع النص القرآني.

2- العدول عن الفعل المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول أو إلى صيغة المطاوعة، هو اختيار أسلوبى اقتضاه السياق لأغراض دلالية متعددة، منها:

- تعلق الغرض بغير الفاعل تركيزا للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه، وهي ظاهرة بيانية مطردة في السور المكية قل أن نخطئها في أحداث اليوم الآخر.

- تعلق الغرض بالفاعل وإن حُذِف لدلالات عديدة ومختلفة تبعاً للسياق وهي: - الإنكار والتعنت والتجاهل من قبل ناكري التوحيد- والدعوة إلى التفكير والتدبر وإعمال العقل في خالق الموجودات قصد إدراك الحقيقة الغائبة عن أذهانهم- وبيان أثر النعيم ووفرة أسباب الراحة والمتعة الخالدة- وإظهار مدى السخط والإنكار والتعجب الناجم عن شناعة وفضاعة ما يحاوله المشركون -عبثا- للنيل من الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية.

3- لم يتقيد القرآن الكريم بالزمن الصرفي وتقسيماته الجامدة باعتباره نسبيا واعتباريا؛ فقد استثمر القرآن قيم صيغ الفعل للدلالة على حقائق لغوية متعددة، ووسّع دائرة الفعل الزمنية باعتبار أن

الصيغة هيئتها الإفرادية لا فضل لها في تحديد الزمن، وإنما تُوكَل هذه المهمة إلى السياق، أو القارئ المعنوية التي كان لها الدور الأساس في توجيهه وتحويل الدلالة الزمنية، وتتجلى مظاهر هذا التحول الزمني وخصائصه أو ما يسمّى بـ "الزمن الأسلوبى" في السور المكية في الصور التعبيرية التالية:

أ- إنَّ الفعل الماضى يعيّن أحياناً الحال والاستقبال بدلالته على التحقيق والثبوت أو على التقرّب والتأكيد، ولاسيما في مقام الحديث عما سيقع يوم القيامة، لأنَّ الفعل الماضى إذا أُخبر به عن المضارع الذى لم يوجد بعدُ كان أبلغ وأكد وأعظم موقعا وأفخم بيانا، وهو أسلوب من أساليب الإقناع القرآنى القائم على استحضار الصورة وتقرّب الحدث وإيجاده.

ب- تنصرف دلالة الفعل الماضى إلى الزمن العام، وذلك إذا أُسند إلى الذات العلية ضمن مقام التثنية والتعظيم، فالصفات الإلهية الأزلية لاتقبل التحديد الزمنى.

ج- أنَّ الفعل المضارع يعيّن أحياناً الزمن العام بدلالته على البقاء والاستمرار أو الدوام والتحديد، وذلك إذا أُسند إلى ظاهرة طبيعية لاتتخلّف، أو دلّ على خلق أو صفة ثابتة راسخة لا تنفك عن موصوفها، وكلّ ما يتكرر حدوثه حيناً بعد حين، إلى جانب أنَّ الأفعال المضارعة في السور المكية قد نهضت بدور دلاليّ آخر هو إكساب الصورة قدرا من الحيوية بما يجعل مظاهر النعيم أو الشقاء -يوم القيامة- حية شاخصة متحركة في مخيلة المتلقى.

د- اقترنت لفظة "يوم" بالفعل المضارع بصورة متواترة-في السور المكية- إلى حدّ يمكن تسمية الظاهرة بـ "أسلوب يوم"، وهي ظاهرة قرآنية فريدة تضمنت صرف دلالة الفعل المضارع إلى المستقبل البعيد المتمثل في يوم القيامة الذى هو أحد أهمّ مقومات الدعوة المكية.

4- البناء الصرفى في السور المكية، كان له فضل التماسك الأفقى بين السور، وذلك من خلال الصيغ الاشتقاقية التى تكاملت في فواتحها؛ بحيث حققت - بذلك - التماسك الشكلى والدلالي للقرآن عامة و المكيّ منه خاصة.

5- تميّزت السور المكية باستخدامها وحدات صرفية تعبّر عن الهيئة، أو تعرب عن درجة الصفة فى المعنى الذى تتضمنه البنية الصرفية، وتتمثل فى صيغ التكثير والمبالغة التى عمد إليها القرآن للتعبير عن دقة الاستخدام الأسلوبى القائم على الاختيار الموفق والملائم بين الصيغة والمعنى المعبّر عنه داخل التركيب، أو ضمن سياق معين، وهذه الصيغ هي: فَعُول، فَعِل، فَعَّال، فَعَّالٌ وَفُعَّالٌ، مُفْتَعِلٌ، فُعِّلَ،

فعلّة، افتعل، استفعل، استفعال. فكلّ هذه الصيغ قد عبّرت بصورة دقيقة عن مكنون المعنى بكسر أبعاده، كما استطاعت أن تعكس حالات النفس الإنسانية بمواقفها المختلفة.

6- تميّزت السور المكية باستخدامها وسيلة التضعيف في إيصال المعنى؛ إذ أنّ العدول إليها ينيّد التكثير والمبالغة، وقد تضمن دلالات متعددة وفقا للسياق بما أن التضعيف من أشكال الزيادة في المبنى التي تؤدي في المقابل إلى الزيادة في المعنى من حيث القوة أو الشدة أو التكرير والمبالغة، حيث مكّنت التضعيف من أن ينهض بدور مزدوج ذي بعدين، أحدهما دلاليّ، والآخر فنيّ.

7- كما انفردت السور المكية بخاصية أسلوبية تتمثل في ظاهرة إحلال صيغ محل أخرى، وذلك مراعاة للمقام من جهة، ولأغراض دلالية وإيقاعية يتوخاها النظم القرآني من جهة ثانية.

ثامنا: أمافي المستوى التركيبي أو الجملي الذي اقتصر على الخصائص النوعية لبنية الأسلوب القرآني في السور المكية، فقد تركّزت الدراسة على التراكيب الجمالية التي شكّلت بروزا أسلوبيا والتي تأخذ شكل ظاهرة أسلوبية يمكن أن تطبع القرآن المكي بسمات بارزة ومطرّدة، وقد أسفرت الدراسة عن نتائج يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1- قصر الآيات وبساطتها علامة بارزة وسمة واضحة في بنية السور المكية التي تضمنت آيات تتكوّن من كلمة أو بنية واحدة، وأخرى ثنائية البنية، وهو الحد الأدنى لقصر الآيات في القرآن كلّه، وقد حضرت هذه الوحدات القصيرة في بداية السور كما حضرت في الوسط والختام.

2- تميّزت السور المكية بالإيجاز السريع الخاطف، والقائم على قصر الجمل والتوقيع الموسيقي في آخر الفواصل، مما يُساهم مساهمة واسعة في إثارة انفعال معين هو أفضل السبل لجذب الانتباه، وللتأثير على المتلقي.

3- الإيجاز في أسلوب القرآن المكي ضرورة فنية لمراعاة حال المخاطبين- وهم أهل مكة-؛ فقد راعى فيهم هذه الخاصية الفنية المكرّسة في خطابهم، كما كان الإيجاز مراعاة لمرحلة "الإنذار" في مسار الدعوة الإسلامية، والتي تعتمد أساسا على الإقناع والتأثير.

4- يُعتبر الإيجاز المولّد الرئيس لأدوات أسلوبية في تقطيع الكلام حفّلت بها السور المكية، مثل: السجع، والمزاوجة والازدواج، والتماثل والتقابل، والطباق والمقابلة.

5- تتميز الآيات المكية التي تميل إلى الطول النسبي ببساطة التراكيب لاشتمالها على وحدات لسانية قصيرة، ويغلب شيوع ذلك في السور التي اتسمت بالطابع القصصي، أو الحوار والوصف والسرد؛ إذ أن ذلك يُسائر تطور المسار الدعوي وطبيعة الترتيل القرآني المتدرج.

6- يُعدُّ أسلوب الاستفهام سمة أسلوبية استخدمها القرآن المكي بكثافة وذلك لتحقيق قيم معنوية تهدف إليها الدعوة المكية كتقرير الحقائق وتثبيت العقائد، وإبطال الشبهات وإقامة الأدلة العقلية.

7- شمل الاستفهام أنماطا عديدة ومتباينة لأنه من أنسب الأساليب في مراعاة أقدار السامعين، وأقدر الأساليب لتنشيط آلة التفكير وإثارة مشاعر الوجدان، باعتباره وسيلة من وسائل الإقناع القرآنية الكفيلة بتحريك حاسة التأمل والتدبر ولاسيما في مسائل العقيدة بكل أساسياتها.

8- الاستفهام بـ "مأدراك" الذي يتضمن معنى التعظيم والتهويل وبـ "هل أتاك" الذي يتضمن التشويق، هما نمطان من الأنماط الاستفهامية التي ميّزت القرآن المكي باعتبارها علامة بارزة في بنيتها الأسلوبية.

9- اختصت "متى" الاستفهامية في القرآن المكي بالاستفهام عن موعد الساعة الذي تكرر الاستفهام عنه بصورة تلفت الانتباه، كاشفاً بذلك عن حقيقة موقفهم إزاء الأيمان بالبعث والنشور، والتي هي: التكذيب والإنكار والاستهزاء واستبعاد وقوعها.

10- قد شغل الاستفهام بـ "الهمزة" حيزاً كبيراً من جملة أنواع أدوات الاستفهام الأخرى، لأن الاستفهام بالهمزة يتسع لمعان ودلالات عديدة ومتباينة؛ من تقرير، وإنكار، وتعجيز، وتهديد، وتوبيخ وتقريع، وتعجب وتعجيب، وتبكيث، وتحقير وتهكم، واستهزاء واستخفاف، وتسوية.

11- لأسلوب الاستفهام دور هام في حركية النص القرآني، لأنه يحقق له وظيفتين أساسيتين؛ إحداها دلالية أو ما يتعلق بالبنية العميقة للنص القرآني؛ إذ أن الاستفهام يسهم في تعميق الدلالات النصية مما يدعو إلى أعمال العقل والروية لإدراك هذه الدلالات، والأخرى جمالية حيث أنه يسهم في تلوين الأدوات الأسلوبية للنص ويعد عنه السرد والملل والرتابة.

12- عمد القرآن المكي إلى توظيف واسع لأسلوب القسم، وذلك لملاءمته لمقام الرسالة في المرحلة المكية؛ فهو -لاشك- من أبرز أساليب التوكيد والإقناع القوية بلاغياً ودلالياً.

13- أثبت البحث أن التوكيد بالقسم من شأنه أن يساهم في تقرير الخبر عند المخاطب، ذلك أن أسلوب القسم يقوم بوظيفة التهيئة النفسية وجذب الانتباه لما سيخبر به، على غرار تقويته للمعنى ودلالته على التقرير.

14- لا يُخْرَجُ القسم القرآني عن أصول الإيمان الثلاثة: التوحيد، الرسالة، البعث، وهذه الأصول هي مقومات الدعوة في المرحلة المكية التي تقتضي أساليب التوكيد قصد الترسخ والتثبيت.

15- لم يُسند فعل القسم المنفي (لا أقسم) إلا إلى الله تعالى، وهو أبلغ في الدلالة من فعل القسم المثبت.

16- شملت السور المكية أنماطا عديدة من القسم، وكان القسم بـ "الواو" أكثرها شيوعا وتواترا.

17- حذف جواب القسم ظاهرة أسلوبية عمد إليها القرآن لغايات بلاغية، وفوائد معنوية متى قامت الدلائل الوفيرة على ذلك المحذوف، فهو أسلوب بلاغي، ووسيلة تعبيرية يمكن بها الاستعناء بالقليل من الكلام عن الكثير.

18- التكرار أسلوب من أساليب البيان العربي، وأن القرآن جرى هذا على ما كان للعرب من أساليب التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر، وفي مواقف التوكيد، والدعاء، والتقرير، وذلك في جسيمات الأمور، وعظماؤها.

19- التكرار مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتا ومثيرا، وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن المكي، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر ترسيخا وتقريرا وإقناعا.

20- إن الإيمان بالله وقدرته والتذكر لآلائه والخوف من القيام عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون وإثبات الرسالة قضايا تتصل بالعقيدة يجب أن تتركز عند الإنسان المجهول على غرائز الغفلة والنسيان، والإنكار والجحود والجدل، ولذا اقتضى النظم تكرارها في القرآن المكي مرّات ومرّات لأجل ترسيخها في القلوب وتثبيتها في النفوس وحمل الناس على الاقتناع به.

21- التكرار ظاهرة جمالية وبلاغية اقتضتها سياقات نصية تجعله ضرورة أسلوبية، لزيادة التقرير والتنبيه، نجدها في مقام الإنذار والوعيد والتهديد، وفي مقام التعظيم والتهويل والتعجيب، وفي مقام التحذير والمدح والاتعاض، وفي مقام إنعام الله على عباده وبيان قدرته.

22- التكرار اللفظي بنوعيه؛ "المتصل" و"المنفصل" من أبرز الخصائص الأسلوبية في القرآن المكي، لملاءمة هذا النوع من التكرار وانسجامه مع الأسلوب المكي المتمسم بالإيجاز والآيات ذات الفواصل

القصيرة و المتوسطة، حيث تبرز دلالة التكرار الفنية بكونها سمة من سمات الإعجاز في هذا الكتاب الكريم.

وهذا نستطيع القول أن العلاقة بين هذه المستويات-الصوتي والصرفي والتركيبي- علاقة تفاعل وظيفي يتحرك من الجزئي إلى الكلي، ومن الأنظمة الصغرى إلى الأنظمة الكبرى في سياق عام يربط المستويات بعضها ببعض لتؤلف أسلوبا متساوقا متجانسا، متماسكا، محققا لكل عناصر الجمال الأدبي التي تسمو به إلى مرتبة الإعجاز.

وعلى الجملة، إن هذه الدراسة تصل بنا إلى نتيجة حتمية، وهي أن النص القرآني برمتة لا اختلاف فيه لا على مستوى النظم والأسلوب ولا على مستوى المضمون والدلالة، ولا تناقض فيه. غير أن كل اختلاف بين أجزائه يصبح نوعا من التنوع لا يتعارض مع الإيمان بوحدة "النص القرآني" ووحدة مصدره، بل هو اختلاف يدل على الإعجاز. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]

وبعد، فلعلني بهذا الجهد المتواضع أكون قد وفقتُ بعض التوفيق فيما رُمتُ من بيان بعض "خصائص أسلوب الخطاب القرآني في السور المكية"، ولا أزعُمُ أني قلتُ في ذلك كلمة الفصل، فهذا ما بلغتُه في محاولتي، قدر طاقتي وجهدي، وأرجو أن يواصل غيري دراسة هذا الموضوع ليكمل ما يراه ناقصا لأني فتحتُ بابا للدراسة والبحث فحسب، ويبقى من أسرار القرآن ما يفوق طاقة البشر ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فإن أصبتُ المحز فلي أجزان: أجرُ الاجتهاد، وأجرُ الإصابة. وإن كانت الأخرى، فحسبي أجرُ الاجتهاد، والخير والإصلاح أردتُ، والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْبَدءِ وَالْحَتْمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَتْمَّةِ الْأَعْلَامِ

وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ



فهارس رسالة البحث الفنية

فهرس الحديث الشريف والآثار

فهرس مصادر البحث ومراجعته

فهرس محتويات رسالة البحث

## فهرس الحديث الشريف والآثار

1. عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْحِجْرَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ».....2

2. عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةٌ مِنَ الْمَفْصَلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ. وَكَوْنَهُ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَكَوْنَهُ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي جَارِيَةٌ أَلْعَبُ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ».....5

3. عن ابن مسعود-رضي الله عنه- أنه قال: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ».....13





# فهرس مصادر البحث ومراجعته

## القرآن الكرم

(بروابة حفص عن عاصم)

### 1- الكتب

• حرف الهمزة

- ❖ إبراهيم، محمد اسماعيل.
- 1. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ط2، منقحة ومزودة، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
- ❖ ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح الجزري.
- 2. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط2، الرياض، دار الرفاعي، 1403هـ/1984م.
- ❖ آسير، محمد سعيد. وبلال جنيدى.
- 3. معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ط2، بيروت، دار العودة، 1985م.
- ❖ إسماعيل، عز الدين.
- 4. الأسس الجمالية في النقد العربي، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
- ❖ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب.
- 5. المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمة، ط1، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ/2002م.
- ❖ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي.
- 6. كتاب الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، ط6، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1404هـ/1983م.
- ❖ الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي.

7. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط منقحة مصححة جديدة، بيروت، دار الفكر، 1402هـ/1983م.

❖ أمين، بكرى شيخ.

8. التعبير الفني في القرآن، ط4، بيروت، دار الشروق، 1400هـ/1980م.

❖ الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد.

9. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، 408هـ/1987م.

❖ أنيس، إبراهيم.

10. دلالة الألفاظ، ط6، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1991م.

11. من أسرار اللغة، ط7، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1994م.

12. موسيقى الشعر، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1965م.

### • حرف الباء

❖ الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب.

13. إعجاز القرآن، تحقيق: السيد احمد صقر، د.ط، مصر، دار المعارف، 1963م.

❖ باي، ماريو.

14. أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، ط3، القاهرة، عالم الكتب، 1408هـ/1987م.

❖ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة بن الأحنف الجعفي.

15. الجامع الصحيح، ضبطه ورقمه و شرح جملة وخرّج أحاديثه في صحيح مسلم، ووضع

فهارسه: مصطفى ديب البغا، د.ط، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1992م.

❖ البدري، محمد عبد الله المهدي.

16. القرآن تاريخه وعلومه، د.ط، دبي، دار القلم، 1984م.

❖ البقري، أحمد ماهر.

17. أساليب النفي في القرآن، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1405هـ/1985م.

- ❖ البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي.  
18. أنوار التذليل وأسرار التأويل، المسمى تفسير البيضاوي، د.ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

### • حرف الجيم

- ❖ الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر.  
19. البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط4، دار الفكر، د.ت.  
❖ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد.  
20. أسرار البلاغة، صححه وعلق حواشيه: محمد رشيد رضا، د.ط؛ بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت.  
21. دلائل الإعجاز، د.ط، وحدة الرغاية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991م.  
❖ ابن جنّي، أبو الفتح عثمان.  
22. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، د.ط، مصر، المكتبة العلمية، د.ت.  
❖ الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب المعروف بابن القيم.  
23. التبيان في أقسام القرآن، د.ط، سوريا، دار الفكر، د.ت.  
24. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، حققه وضبطه: جماعة من العلماء، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م.

### • حرف الحاء

- ❖ حسان، تمام.  
25. اللغة العربية: معناها ومبناها، ط2، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.  
26. اللغة بين المعيارية والوصفية، د.ط، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م.  
❖ حسن، عباس.  
27. النحو الوافي، ط5، مصر، دار المعارف، د.ت.  
❖ الحسناوي، محمد.  
28. الفاصلة في القرآن، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، دار عمان، 1406هـ/1986م.  
❖ حسين، عبد القادر.

29. أثر النحاة في البحث البلاغي، د.ط، القاهرة، الفجالة، دار النهضة للطباعة والنشر، د.ت.
30. التفسير البلاغي الميسر، د.ط، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.
- ❖ أبو حمدان، سمير.
31. الإبلاغية في البلاغة العربية، ط1، بيروت، منشورات عويدات الدولية، 1991م.
- ❖ الحملاوي، أحمد.
32. شذا العرف في فن الصرف، ط6، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي.
- 1384هـ/1965م.

### • حرف الخاء

- ❖ ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، التَّحوي.
33. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د.ط؛ عين مليلة، الجزائر.
- د.ت.
- ❖ الخطَّابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم.
34. بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطَّابي وعبد القاهر).
- تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، ط4، مصر، دار المعارف، د.ت.
- ❖ الخطيب، عبد الكريم.
35. الإعجاز في دراسات السابقين، ط1، بيروت، دار الفكر العربي، 1974م.
- ❖ الخفاجي، ابن سنان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد.
36. سر الفصاحة، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1402هـ/1982م.
- ❖ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد.
37. المقدمة، ط2، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1979م.
- ❖ خليف، يوسف.
38. دراسات في علوم القرآن والحديث، د.ط، القاهرة، مكتبة غريب، د.ت.
- ❖ خليل، السيد أحمد.
39. دراسات في القرآن، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1968م.

❖ خليل، حلمي.

40. العربية وعلم اللغة النبوي-دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث-، د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م.

### • حرف الدال

❖ الدرة، محمد علي طه.

41. تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، ط1، دمشق، دار الحكمة، 1412هـ/1991م.

❖ دروزة، محمد عزة.

42. سيرة الرسول ﷺ - صور مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية-، ط1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1384هـ/1965م.

43. القرآن المجيد-تترّله وأسلوبه، وأثره، وجمعه، وتدوينه-، د.ط، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

❖ درويش، أحمد.

44. الأسلوب بين التراث والمعاصرة، د.ط، القاهرة، دار غريب للطباعة والتوزيع، د.ت.

❖ درويش، محمد طاهر.

45. الخطابة في صدر الإسلام، ط2، مصر، دار المعارف، 1968م.

❖ الدروييش، محيي الدين.

46. إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط2، بيروت، مؤسسة الإيمان، 1983م.

❖ الدمشقي، محمد منير.

47. معجم آيات القرآن الحكيم، د.ط، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

### • حرف الراء

❖ الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي، الطبرستاني.

48. التفسير الكبير المشتهر بمفاتيح الغيب، ط2، طهران، دار الكتب العلمية، د.ت.

❖ رضا، محمد رشيد.

49. تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، ط2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت.

❖ الرافي، مصطفى صادق.

50. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط3، الجزائر، مكتبة رحاب، د.ت.

❖ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى.

51. النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر)،

تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ط4، مصر، دار المعارف، د.ت.

### • حرف الزاي

❖ ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي، الغرناطي.

52. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التزويل، تحقيق:

سعيد الفلاح، ط1، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/1983م.

❖ الزرقاني، محمد عبد العظيم.

53. مناهل العرفان في علوم القرآن، د.ط، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

❖ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله.

54. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، صيدا، بيروت، منشورات

المكتبة العصرية، د.ت.

❖ الزفزاف، محمد.

55. التعريف بالقرآن والحديث، ط4، الكويت، مكتبة الفلاح، 1404هـ/1984م.

❖ أبو زهرة، محمد.

56. المعجزة الكبرى-نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره، حكيم الغناء به ،

د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

❖ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد.

57. أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، د.ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت.

58. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

رثبه وضبطه وصحّحه: مصطفى حسين أحمد، ط3، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.  
1407هـ/1987م.

❖ بوزونة، عبد الحميد.

59. بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي - دراسة فنية وصفية تحليلية-، د.ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت.

❖ الزيات، أحمد حسن.

60. تاريخ الأدب العربي، ط29، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1985م.

❖ أبو زيد، نصر حامد.

61. مفهوم النص -دراسة في علوم القرآن-، ط5، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.  
2000م.

❖ أبوزقية، علي.

62. "بحث وتقديم"، دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، د.ط، وحدة الرغاية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، موفم للنشر، 1991م.

### ● حرف السين

❖ سيويو، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.

63. كتاب سيويو، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1403هـ/1983م.

❖ سالم، أحمد موسى.

64. العقل العربي ومنهج التفكير الإسلامي، د.ط، بيروت، دار الجيل، 1980م.

❖ سلطان، منير.

65. البديع -تأصيل وتجديد-، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1986م.

66. بلاغة الكلمة والجملة والجملة، ط3، مصر، الإسكندرية، منشأة المعارف جلال جزوي وشركاه،  
1996م.

❖ سلام، محمد زغلول.

67. أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ط3، مصر، دار المعارف، د.ت.

❖ السلامي، عمر.

68. الإعجاز الفني في القرآن، د.ط، تونس، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1980م.

❖ سلوم، تامر.

69. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط1، سوريا، دار الحوار، 1983م.

❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الشافعي.

70. الإتقان في علوم القرآن، وبالهامش: إعجاز القرآن، تأليف: أبي بكر الباقلائي، د.ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت.

71. المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته، وعلّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، د.ط، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1408هـ/1987م.

❖ أبو السعود، محمد بن محمد العمادي.

72. تفسير أبي السعود المسمّى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط2، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1411هـ/1990م.

### • حرف الشين

❖ أبو شهبّة، محمد بن محمد.

73. المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط1، القاهرة، مطبعة مكتبة السنة، 1416هـ/1996م.

❖ شلتوت، محمد.

74. إلى القرآن الكريم، د.ط، بيروت، دار الشروق، 1403هـ/1983م.

### • حرف الصاد

❖ الصالح، صبحي.

75. مباحث في علوم القرآن، ط21، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1997م.

❖ الصابوني، محمد علي.



76. صفوة التفاسير، ط4 (منقحة)، بيروت، دار القرآن الكريم، 1402هـ/1981م.  
❖ صبيح، محمد.

77. بحث جديد عن القرآن الكريم، ط8، بيروت، دار الشروق، 1403هـ/1983م.

### • حرف الضاد

❖ ضيف، شوقي.

78. الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط5، مصر، دار المعارف، د.ت.

### • حرف الطاء

❖ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.

79. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر، واعتنى بتصحيحه وفهرسته: مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام، ط1، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، عمان، الأردن، دار الأعلام، 1423هـ/2002م.

❖ طحان، ريمون.

80. الألسنية العربية، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1989م.

### • حرف العين

❖ ابن عاشور، محمد الطاهر.

81. تفسير التحرير والتنوير، د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، والجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982م.

❖ عامر، فتحي أحمد.

82. بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دراسة تاريخية فنية مقارنة، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف جلال جزوي وشركاه، د.ت.

83. المعاني الثمانية في الأسلوب القرآني، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف جلال جزوي وشركاه، د.ت.

❖ العبد، محمد.

84. إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي -مدخل لغوي أسلوبى-، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1988م.
- ❖ عبد الرحمن، عائشة.
85. التفسير البياني للقرآن الكريم، ط4، مصر، دار المعارف، 1394هـ/1974م.
- ❖ عبد العزيز، أمير.
86. دراسات في علوم القرآن، ط2، باتنة، الجزائر، دار الشهاب، 1408هـ/1988م.
- ❖ عبد الفغار، السيد أحمد.
87. قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه، د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م.
88. القرآن الكريم - تاريخيته ولغته - د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1986م.
- ❖ عبد المطلب، محمد.
89. البلاغة والأسلوبية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- ❖ عبده، محمد.
90. تفسير جزء عمّ، د.ط، الجزائر، دار الكتب، د.ت.
- ❖ عبد الباقي، محمد فواد.
91. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د.ط، بيروت، دار الجيل، د.ت.
- ❖ عتر، حسن ضياء الدين.
92. بينات المعجزة الخالدة، ط1، حلب، سوريا، دار النصر، د.ت.
- ❖ العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، أبو الفضل الكناني الشافعي المعروف بابن حجر.
93. فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت.
- ❖ العشماوي، محمد زكي.
94. قضايا في النقد الأدبي، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1979م.
- ❖ العقاد، عباس محمود.
95. أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ط3، مصر، دار المعارف، د.ت.
96. اللغة الشاعرة -مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية- د.ط، بيروت، صيدا، منشورات المكتبة  
العصرية، د.ت.
- ❖ العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، اليميني.

97. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، أشرف على مراجعته وضيضه وتدقيقه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، د.ط، الرياض، مكتبة المعارف، د.ت.
- ❖ العمري، أحمد جمال.
98. المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز القرآني، نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري. د.ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1410هـ/1990م.
- ❖ عمارة، خليل أحمد.
99. في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، ط1، حدة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 1404هـ/1984م.
- ❖ عيد، رجاء.
100. البحث الأسلوبي - معاصرة وتراث - د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف جلال جزى وشركاء، 1993م.

### • حرف الفاء

- ❖ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، اللغوي.
101. الصاحبي في فقه العربية وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له: مصطفى الشويبي. د.ط، بيروت، لبنان، مؤسسة أ- بدران للطباعة والنشر، 1383هـ/1964م.
102. معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، د.ط، (?)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ/1979م.
- ❖ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، الديلمي.
103. معاني القرآن، تحقيق: أحد يوسف نجاتي، وعبد الفتاح إسماعيل شليبي، ومحمد علي النجار، مراجعة: علي النجدي ناصف، د.ط، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
- ❖ فضل، صلاح.
104. علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د.ط، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، 1992م.
105. مناهج النقد المعاصر، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1417هـ/1997م.

❖ فضل الله، محمد حسين.

106. الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، د.ط، عين عبيد، قسنطينة، الجزائر، دار المنصوري للنشر، د.ت.

### • حرف القاف

❖ القاسم، محمد أحمد يوسف. و منيع عبد الحكيم محمود.

107. دراسات في علوم القرآن، ط1، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، 1405هـ/1985م.

❖ القاسمي، محمد جمال الدين.

108. تفسير القاسمي، المسمى: محاسن التأويل، وقف على طبعه وتصحيحه، وترقيمه: محمد فؤاد

عبد الباقي، ط2، بيروت، دار الفكر، 1398هـ/1978م.

❖ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري.

109. أدب الكاتب، حققه وعلق حواشيه ووضع فهرسه: محمد الدالي، ط3، (؟)، مؤسسة الإيمان،

1406هـ/1986م.

110. تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، د.ط، (؟)، المكتبة العلمية، د.ت.

❖ القطان، مناع.

111. مباحث في علوم القرآن، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ/1981م.

❖ قطب، سيد.

112. في ظلال القرآن، ط جديدة مشروعة، مزينة ومنقحة، بيروت، لبنان، دار الشروق،

1395هـ/1995م.

113. التصوير الفني في القرآن، ط8 الشرعية، بيروت، دار الشروق، 1403هـ/1983م.

114. مشاهد القيامة في القرآن، ط7، بيروت، دار الشروق، 1403هـ/1983م.

❖ قطب، محمد.

115. دراسات قرآنية، ط3، بيروت، دار الشروق، 1402هـ/1982م.

❖ القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الخطيب.

116. الإيضاح في علوم البلاغة، ط4، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1395هـ/1975م.

❖ قمحاوي، محمد الصادق.

117. شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردّها، ط1، مصر، دار الأنوار للطباعة، 1389هـ/1978م.

### • حرف الكاف

❖ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي.

118. تفسير القرآن العظيم، ط1، جديدة، ومنقحة مصححة، ومضبوطة، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ/2000م.

❖ الكرمانلي، محمود بن حمزة بن نصر.

119. أسرار التكرار في القرآن، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1983م.

❖ كمال، أحمد عادل.

120. علوم القرآن، ط3، بيروت، دار الإرشاد، 1388هـ/1968م.

### • حرف اللام

❖ لاشين، عبد الفتاح.

121. من أسرار التعبير في القرآن، (حروف القرآن)، ط1، المملكة السعودية، عكاظ للنشر والتوزيع، 1983م.

122. الفاصلة في القرآن، د.ط، الرياض، دار المريخ، د.ت.

### • حرف الميم

❖ المبارك، محمد.

123. دراسة أدبية لنصوص من القرآن، ط4، دمشق، سوريا، دار الفكر، 1392هـ/1973م.

124. فقه اللغة وخصائص العربية، ط7، بيروت، دار الفكر، 1401هـ/1981م.

❖ مبارك، زكي.

125. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د.ط، صيدا بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت.

- ❖ مخلوف، حسنين محمد.
126. كلمات القرآن تفسير وبيان، د.ط، بوزريعة، الجزائر، المطبعة الجزائرية، د.ت.
- ❖ مخلوف، عبد الرؤوف.
127. الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن - دراسة تحليلية نقدية-، د.ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1978م.
- ❖ المخزومي، مهدي.
128. في النحو العربي - نقد وتوجيه -، ط2، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي، 1406هـ/1986م.
- ❖ المررد، أبو العباس محمد بن يزيد، النحوي.
129. الكامل في اللغة والأدب، مراجعة وشرح وتصحيح: لجنة من المحققين بإشراف الناشر، د.ط، بيروت، مؤسسة المعارف، د.ت.
- ❖ مدكور، عاطف.
130. علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د.ط، القاهرة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987م.
- ❖ المراغي، أحمد مصطفى.
131. علوم البلاغة، د.ط، بيروت، دار القلم، د.ت.
- ❖ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري، النيسابوري.
132. الجامع الصحيح، تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، بيروت، لبنان، دار التراث العربي، 1972م.
- ❖ المقدسي، أنيس.
133. تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط7، بيروت، دار العلم للملايين، 1982م.
- ❖ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن أبي الحسن بن أحمد، الأنصاري.
134. لسان العرب، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر، 1412هـ/1992م.
- ❖ المودودي، أبو الأعلى.
135. مبادئ أساسية لفهم القرآن، ترجمة: أحمد الحامدي، د.ط، دار السعودية للتوزيع والنشر، 1404هـ/1984م.

## • حرف النون

❖ ابن نبي، مالك.

136. الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، د. ط، دمشق، سوريا، دار الفكر، 1405هـ/1985م.

❖ نخلة، محمد أحمد.

137. لغة القرآن الكريم في جزء عم، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م.

❖ النص، إحسان.

138. الخطابة العربية في عصرها الذهبي، ط2، مصر، دار المعارف، د. ت.

❖ النمر، عبد المنعم.

139. علوم القرآن، ط2، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، 1403هـ/1983م.

## • حرف الهاء

❖ ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، الأنصاري، المصري.

140. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، حققه وعلّق عليه: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله،

وراجعه: سعيد الأفغاني، ط6، دمشق، دار الفكر، 1985م.

## • حرف الياء

❖ ياقوت، محمود سليمان.

141. علم الجمال اللغوي-المعاني والبيان والبديع-، د. ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م.

❖ ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي.

142. شرح المفصل، د. ط، بيروت، عالم الكتب، د. ت.

## 2- الدوريات

-أ-

❖ أنيس، إبراهيم.

143. (جهود علماء العرب في الدراسات الصوتية)، مجلة مجمع اللغة العربية، ج15، القاهرة، 1962م.

-ب-

❖ بشر، كمال.

144. (مفهوم علم الصرف)، مجلة مجمع اللغة العربية، ج25، القاهرة، نوفمبر1969م.

❖ تاج، عبد الرحمن.

145. (السجع وتناسب الفواصل في القرآن الكريم)، مجلة مجمع اللغة العربية، ج36، القاهرة،  
ذو القعدة/نوفمبر1375هـ/1975م.

-ح-

❖ الحيا، مصطفى.

146. (خصائص جمالية في الأسلوب القرآني)، مجلة المشكاة، السنة الخامسة، عدد20، وجدة، المغرب،  
ربيع 1415هـ/1995م.

-ر-

❖ رشيد، بلحبيب.

147. (إعجاز القرآن والإطار البياني-التقليم لمراعاة الفاصلة نموذجاً-)، مجلة المشكاة، السنة الخامسة،  
عدد20، وجدة، المغرب، ربيع 1415هـ/1995م.

-ز-

❖ الزيات، أحمد حسن.

148. (البلاغة بين الإيجاز والإطناب)، مجلة الأزهر، ج2، السنة السادسة والثلاثون، صفر/حوان  
1384هـ/1964م.

-ع-

❖ عبد القادر، حامد.

149. (معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم)، مجلة مجمع اللغة العربية، ج10، القاهرة،  
ذو الحجة/حوان 1377هـ/1958م.

150. (معاني المضارع في القرآن الكريم)، مجلة مجمع اللغة العربية، ج13، القاهرة، 1961م.





## فهرس محتويات رسالة البحث

- بيانات الرسالة.....الورقة الأولى.
- ديباجة الرسالة.....الورقة الثانية.
- الإهداء.....الورقة الثالثة.

### مقدمة البحث

(أ - ل)

### الفصل التمهيدي

#### الأسلوب القرآني

#### بين التزيل المكي والتزيل المدني

(1 — 39)

- أولاً- التزيل القرآني والبيئة النبوية في مكة والمدينة.....2.
- 1- القرآن وصفات بيئة المجتمع المكي.....3.
- 2- القرآن وصفات بيئة المجتمع المدني.....7.
- 3- أثر الاختلاف بين صفات المجتمعين على أسلوب القرآن الكريم.....8.
- ثانياً- القرآن الكريم بين مصطلح المكي والمدني.....13.
- 1- المعنى الاصطلاحي للمكي والمدني.....13.
- 2- ضوابط التقسيم بين مكي القرآن ومدنيه.....19.
- 3- المعيار الأسلوبي إلى جانب المعيار الزمني.....30.

الفصل الأول  
في المستوى الصوتي  
(40 — 133)

- 41.....مدخل تمهيدي.
- 48.....أولاً- الإيقاع بالجرس المشاكل للمعنى.
- 60.....ثانياً- إيقاع الوحدات اللغوية.
- 60.....1- التحنيس.
- 71.....2- إيقاع الصيغ المتماثلة.
- 75.....ثالثاً- تكرار القالب الصوتي.
- 84.....رابعاً- في الفواصل القرآنية.
- 100.....1- أنواع السور المكية من حيث الفواصل.
- 102.....2- سمات نظام الفواصل في القرآن المكي.
- 125.....خامساً- الحروف المقطعة في فواتح السور وصلتها بالإيقاع.

الفصل الثاني  
في المستوى الصرفي  
(134—206)

- 135.....مدخل تمهيدي.
- 138.....أولاً- بنية الأفعال (خصائص الزمن الأسلوبي).
- 139.....1 - البناء للمجهول ( المغايرة في الصيغ ).
- 163.....2 - التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل.
- 171.....3 - الماضي المستعمل للتعظيم(المجرد عن الزمان).
- 175.....4 - دلالات الفعل المضارع في السور المكية.
- 176.....أ- الدلالة على الزمن العام.

- ب- الدلالة على الزمن البعيد (أسلوب يوم).....181
- ثانيا- فواتح السور المكية ودلالاتها الصرفية.....187
- ثالثا - المبالغة بالصيغ.....189
- رابعاً- التضعيف.....198
- خامساً- إحلال صيغ محل أخرى.....202

### الفصل الثالث في المستوى التركيبي ( 207 — 304 )

- مدخل تمهيدي.....208
- أولاً- خصائص تركيب الآيات والجملة في السور المكية.....210
- 1- الآية القصيرة والجملة البسيطة.....211
- 2- الآية الطويلة ذات التركيب البسيط.....222
- ثانيا- خصائص في أساليب الجملة المركبة.....228
- 1- أسلوب الاستفهام.....229
- معاني الاستفهام وأنماطه في السور المكية.....273
- 2- أسلوب القسم.....270
- أ- صيغ القسم في السور المكية.....273
- ب- حذف جواب القسم.....285
- ثالثاً- خصائص التكرار في السور المكية.....288
- 1- أسباب التكرار في السور المكية.....289
- 2- أقسام التكرار في القرآن المكي.....291
- أ- التكرار اللفظي المتصل.....292
- ب- التكرار اللفظي المنفصل.....297

خاتمة البحث

(314 — 305)

فهارس رسالة البحث الفنية

(336 — 315)

- 316..... فهرس الحديث الشريف والآثار. ■
- 317..... فهرس مصادر البحث ومراجعته. ■
- 333..... فهرس محتويات رسالة البحث. ■

تمت رسالة البحث  
بحمد الله وحمده